رسائل السلام
(٦)

أدوية من السماء

رواية حول البركة وتأثيراتها على الصحة البدنية والنفسية

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

أحداث هذه الرواية تدور حول رحلة يأخذ معلم السلام فيها تلميذه إلى بلاد السلام، وإلى محل يشبه المسجد الأقصى المبارك، وهناك يلتقي معلم البركة، وبالمتوسمين الذين يدلونه على كيفية الاستفادة من البركات، وكيفية التعامل معها.. وهو يمر في رحلته تلك بأربعة أقسام:

القسم الأول: مرصد البركة.. وهو المحل الذي يبحث فيه على مصادر البركة ووسائطها ومحالها ومواقيتها.

القسم الثاني: منازل البركة.. وهي اللطائف التي يتكون منها بنيان الإنسان، وفيها يعرف حقيقته وعلاقة البركات بها، لأن بركات الله تحتاج إلى محال تنزل فيها، ومنازل تحل بها.

القسم الثالث: مخزن البركة.. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أغذية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

القسم الرابع: مشافي البركة.. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أدوية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

وقد حاور تلميذ السلام في هذه الرواية كل ما مر به من أغذية وأدوية وغيرها، وتبين له من خلال الحوار أن أسباب بركتها هو تلك الأحوال الروحانية العالية التي تعيشها تلك الموجودات التي بارك الله فيها.. فقيمتها ليس في مكوناتها المادية، وإنما في أحوالها الموجبة

رسائل السلام

(6)

أدوية من السماء

رواية

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الثانية

2015 – 1436

دار الأنوار للنشر والتوزيع

0
0

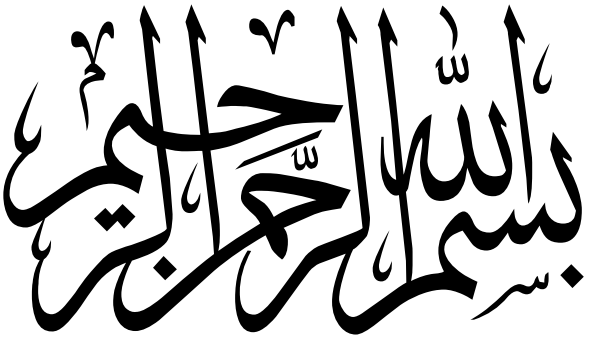
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة	7
البداية	9
أولا ـ مرصد البركة	18
مصدر البركة	42
وسائط البركة	51
بركات الأولياء:	54
بركات البسطاء:	57
بركات الملائكة	63
محال البركة	66
مواقيت البركة	79
أيام البركة	81
شهور البركة	85
ساعات البركة	88
لحظات البركة	90
ثانيا ـ منازل البركة	92
الجسد	95
النفس	104
الطمأنينة:	107
الاعتدال:	109
التوازن:	112
السلام:	116
العقل	118
الروح	122
ثالثا ـ مخزن البركة	127
الماء	134
الماء والسماء:	135

الماء والأرض: 137
الماء والإنسان: 139
شراب العسل: 141
الماء العذب: 143
هيئة الشرب: 145
الماء والذكر: 147
المغتسل المبارك 150
الشراب المبارك 157
الهواء 164

شرح الصدر: 166
تكوين الغذاء: 174
تلطيف الهواء والتربة: 176
تزيين السماء: 178
الرياح والتلقيح: 178
حفظ السماء: 182
الحبوب 183

القمح: 186
الشعير: 187
اللبن 195

لبن الأم: 196
أسرار البركة: 203
بركات الزبادي: 210
التمر 213

بركات الغذاء: 218
بركات الشفاء: 223
الزيتون 231

الخضر 239

اليقطين: 239
الثوم: 242
البصل: 251
الكراث: 254

الفواكه 259

التين: 261
العنب: 264
الرمان: 268
الموز 272
الأترج: 274
البقول 276

اللحوم 278

التسمية: 279
الذبح: 287
الأدب: 291
الاعتدال: 293
رابعا ـ مشافي البركة 297
العسل 300

بركات التكوين: 302
بركات الشفاء: 305
بركات الألوان: 322
بركات الأنواع: 325
الحجامة 332

الحبة السوداء 359

بركات التكوين: 362
بركات الشفاء: 367
الأمران 372

الثفاء: 372
الصبر: 376
السنا والسنوت 380

السنا: 380
السنوت: 384
القسط البحري 386

الحناء 391

الحلبة 398

بركات التكوين: 400
بركات الشفاء: 400
أدوية خاصة 404

الكمأة: 404
الإثمـد: 407
المردقوش: 410
النار الشافية: 411
نباتات من الجنة 415

الزنجبيل: 416
الكافور: 417
الزعفران: 419
الخاتمة 423

المقدمة

كتبت هذه الرواية في فترة كانت جميع وسائل الإعلام منشغلة بالطب البديل، ونظام الماكروبيوتيك وغيره من الأنظمة الغذائية والعلاجية الوافدة من الصين أو اليابان أو الهند أو غيرها من البلاد.

وقد انتشر بين عامة الناس في ذلك الحين الاهتمام بالعناصر المكونة لكل غذاء فهم يسألون عن مكوناته من الفيتامينات والمعادن والبروتينات ونحوها..

وقد صادف أن أهدي إلي حينها ماء زمزم جاء به بعض الحجاج.. وقد كنت فرحا به، وبالبركات التي يحملها.. لكن بعض المتدينين المتأثرين بالموجة الجديدة راح يسخر مني، ويقول: إن المكونات الكيميائية لماء زمزم لا تختلف عن مكونات سائر المياه..

قلت: ولكنه يحوي فوق ذلك عنصرا خطيرا، وهو البركة، فهو ماء وردت النصوص في فضله وبركته، وأنه لما شرب له..

ضحك صاحبي، وهو يقول: ألا تزال تؤمن بالبركة .. إنها هي التي نشرت الشرك في الأمة .. وهي التي جعلتنا في ذيل قافلة الأمم.. وهي التي ..؟

كان هذا موقف فرد رأيته .. لكني رأيت بعد ذلك الكثير من أمثاله.. بل رأيت علماء كبار يزعمون أن ما ذكره رسول الله ﷺ من بركات الأغذية والأدوية هو مجرد اجتهاد، وقد يكون مخطئا فيه..

بل إن بعضهم تجرأ على ما ورد في القرآن الكريم نفسه من اعتبار العسل شفاء، فراح يعتبر ذلك مجرد موافقة لما عرفه العرب من أنواع التداوي.

كل هذه الحوادث كانت السبب الأكبر لتأليفي لهذه الرواية، والتي من خلالها حاولت أن أبين قيمة البركة وأهميتها وأن أي مؤمن بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.. بل أي مؤمن بأي دين من الأديان يقول بها، ويذعن لها.

وقد تعجبت من الذين يؤمنون بتأثير الين واليانغ.. وتأثير الفيتامينات والمعادن وغيرها .. كيف لا يؤمنون بتأثير البركة.. وهي فضل الله الواسع الذي يضعه حيث يشاء ومتى يشاء وكيف يشاء.

ولذلك حاولت في هـذه الروايـة أن أسـتنبط مـا أمكن من قــوانين تــأثير البركــة، بحيث تصــبح علاجــا يمكن اســتعماله والاستفادة منه، وقد سميت النظـام المقيـد بهـذه القـوانين من باب المشاكلة [المباركبيوتيك]

فالمباركبيوتيك هـو نظـام الحيـاة المسـتند إلى البحث عن بركات الله المودعة في الكون، لينهل منهـا المـؤمن، وينـال مـا فيها من خير وفضـل ونعمـة لا باعتبـار مكوناتهـا الماديـة، وإنمـا باعتبار صلتها بصاحب كل فضل وجود في هذا الكون.

وأحداث الرواية تدور حول رحلـة يأخـذ معلم السـلام فيهـا تلميـذه إلى بلاد السـلام، وإلى محـل يشـبه المسـجد الأقصـى المبارك، وهناك يلتقي معلم البركة، وبالمتوسمين الذين يدلونـه على كيفية الاستفادة من البركات، وكيفية التعامل معها.

وهو يمر في رحلته تلك بأربعة أقسام:

القسم الأول: مرصد البركة.. وهـو المحـل الـذي يبحث فيه على مصادر البركة ووسائطها ومحالها ومواقيتها.

القســم الثــاني: منــازل البركــة.. وهي اللطــائف الــتي يتكون منها بنيان الإنسان، وفيها يعرف حقيقته وعلاقة البركـات بها، لأن بركات الله تحتاج إلى محال تـنزل فيهـا، ومنـازل تحـل بها.

القسم الثالث: مخزن البركة .. وهو المحل الذي يعــاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أغذية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

القسم الرابع: مشافي البركة .. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أدوية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

وقد حاور تلميذ السلام في هذه الرواية كل ما مـر بـه من أغذيـة وأدويـة وغيرهـا، وتـبين لـه من خلال الحـوار أن أسـباب بركتهـا هـو تلـك الأحـوال الروحانيـة العاليـة الـتي تعيشـها تلـك الموجودات التي بـارك اللـه فيهـا.. فقيمتهـا ليس في مكوناتهـا المادية، وإنما في أحوالها الروحية.

ولذلك فإن هذه الرواية لا تتعلق فقـط بـالنواحي الصـحية، وإنما تتعلق قبل ذلك بالنواحي الروحية والعرفانية.. حتى نتناول الأشياء من الله لننال ما فيها من فضل وبركة.

البداية

عند عودتي من [حصون العافية] شعرت برحمة الله سبحانه وتعالى، وهي تشمل أجساد عباده وأرواحهم.. بل رأيتها وهي تمد يدها إليهم ترعاهم وتحوطهم بكنفها.. وقد تعجبت من ذلك الكم الكبير من النصوص المقدسة التي لا تخدم الروح فقط، بل تخدم الجسد أيضا، وتخدم معه كل حاجاته ومتطلباته التي يتصور الغارقون في أوحال الدنيا أن الدين ينفر منها، وأن الاتصال بالله يحجب عنها.

وفي غمرة تلك السعادة والسلام الذي استشعرته خطرت على بالي خاطرة، وهي أن تلك الرعاية الإلهية التي وضعت قوانين حفظ الطين، ألا يمكن أن تكون قد وضعت كذلك قوانين علاجه إذا ما طرأ عليه أي طارئ، أو حصل له أي مكروه.

وبمجرد أن خطرت هذه الخاطرة على بالي رحت أسأل نفسي: هل يمكن أن يكون في الطبيبعة التي خلقها ا لله لنا ما يغنينا عن كثير من تلك الأدوية المسمومة التي لا تداوي داء إلا بعد أن تضع بدله أدواء؟

وهل يمكن أن تأتي الإشارة إلى هذا النوع من الأدوية في النصوص المقدسة، مثلما وردت الإشارة إلى الطب الوقائي؟

وهل يمكن أن تستفيد البشرية ـ إن تخلصت من كبريائها من تلك النصوص ـ فتفعلها في حياتها، وتبني عليها منهجا جديدا في التداوي ينطلق من السماء قبل أن ينطلق من الأرض؟

بمجرد أن خطر على بالي هذه الأسئلة وغيرها، رأيت معلم السلام يأخذ بيدي، وهو يقول: هيا بنا إلى الأرض المباركة، حيث تتنزل أدوية السماء.

قلت: الأرض المباركة.. أدوية السماء.. ما تعني؟

قال: سر.. فبالله إن تسر ترى العجائب.

سرت معه فترة من الزمن في عوالم مجهولة إلى أن بدت لنا قبة تشبه قبة المسجد الأقصى في جمالها وسكينتها وروحانيتها، وقد كتب فوقها بحروف من نور قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام: وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ (مريم:31)

قلت للمعلم: أترانا الآن سائران نحو المسيح عليه السلام.. إني أرى المسجد الأقصى.. وأرى كلامه مجتمعان هنا.. أنزل المسيح عليه السلام؟.. كيف؟.. ولم يخرج الدجال بعد؟

قال: ومن قال بأن الدجال لم يخرج.. إن آلاف الدجاجلة الصغار يظهرون كل يوم.. ألم تسمع قوله ﷺ:(لا تقوم الساعة

حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حـتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول اللـه) (1)

قلت: بلى.. الدجالون كثيرون.. ولكن المسيح واحد.

قال: المسيح عليه السلام واحد.. ولكن أنصاره الذين يكونـون معـه أو يسبقونه كثيرون، ألم تسـمع قولـه ﷺ:(لا تـزال طائفـة من أمـتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من نـاواهم حـتى يقاتـل آخـرهم الدجال)(2)

قلت: بلى.. ولكن هل سنزور أحد هؤلاء الأنصار المباركين.

قال: لا.. لن نزور أشخاصا، بل سنزور أدويـة مباركـة.. بـورك فيها كما بورك في المسيح.. وهي الأدوية الـتي إذا رأتهـا الدجاجلـة ذابت واندثرت.

قلت: أي دجاجلة؟

قال: الأدوية الكثيرة التي تفوح بالدجل.. والتي لا يقصـد منهـا غير ملأ الجيوب، وتدمير الصحة.

قلت: أدوية قومي.

قال: أدوية الصراع.. وهي أدوية قومك وغير قومك.

قلت: ولم كانت دجلا؟

قـال: لأنهـا تقـوم على الصـراع.. فتصـارع الجسـم، وتصـارع الصحة، فلا تبني حتى تهدم.

قلت: وأدوية البركة.

قال: هي الإكسير الذي لا يعرف إلا العافية.. والنعمـة الـتي لا تعرف وجه النقمة.. والمنحة التي لا تشم منها روائح المحنة.

قلت: فلم كانت مباركة؟

قال: الله تعالى برحمته بارك فيها.. ألا تعلم سر البركة؟

قلت: العجائز ـ عندنا في العادة ـ هم الذين يتعلقون بالبركة..

قال: ولكنهم يخطئون سبيلها.

قلت: فما البركة؟

قـال: مـا فضـل الصـلاة في الحـرم على فضـلها في سـائر المساجد؟

قلت: ورد في النصوص أن الصلاة فيه تعدل مائـة ألـف فيمـا سـواه، فقـد قـال ﷺ: (صـلاة الرجـل في بيتـه بصـلاة وصـلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسـجد الـذي

1) أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي.
2) أحمد وأبو داود والحاكم.

يجمع(1)فيه بخمس مائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي هذا بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة)(2)

قال: فهذا من البركة.. فصلاة واحدة تعدل مائة ألف صلاة.

قلت: فكيف تطبق هذا على الإكسير المبارك الذي يستعمله أهل هذه الديار؟

قال: إن ما يستعمله أهل هذه الديار من الأدوية لا يمكن مقارنة ما فيه من البركات بأي دواء آخر.

قلت: كيف تقول هذا ـ يا معلم ـ ونحن في عصر الدواء؟

قال: أنتم في عصر الداء والدواء.. ولا يلد الداء مثل الدواء الممحوق البركة.

قلت: أفنستغني عن الدواء بالبركة؟

قال: البركة هي أم الأدوية، كما أن مكة هي أم القرى، فكيف تقارنها بالدواء؟

قلت: أنا لا أعرف البركة بعد.. فإني لا أزال على دين قومي.. ولكني أتعجب من هذه المبالغة في شأن البركة..

قال: لا.. بل أنا مقصر في التعبير عنها، أتعلم ما أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يقوله عندما نزل إلى الأرض بعد الطوفان؟

قلت: بلى.. فقد قص القرآن الكريم علينا ذلك، فقال تعالى: وقل رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(المؤمنون:29)

قال: لو ترك الأمر لعقلك وعقول قومك: ما هي صفة الأرض التي كنت ستطلب النزول فيها؟

قلت: سأضع وصفة طويلة بمطالبي.

قال: مثل ماذا؟

قلت: ذلك يطول.. ولكني سأطلب أرضا جيدة المناخ، طيبة الثمار، حسنة التضاريس، ليس فيها الوحوش الكاسرة، ولا الأفاعي السامة.

قال: ولو ظللت طول اليوم تعد مواصفات الأرض التي تحب أن تنزل فيها، فلن يعدل كل ما تذكره كلمة:(مباركا)التي ورد ذكرها في طلب نوح عليه السلام.

قلت: لم؟

---

1) أي يصلون صلاة الجمعة. النهاية [1/297]

2) ابن ماجه، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف... وقد ورد في أحاديث أخرى ما يؤيد هذا، كما في قوله ﷺ:« صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة » رواه أحمد وابن حبان.

قال: لأنها تحوي كل ما ذكرت، وغير ما ذكرت.. لأن البركة من الله.. والله يعلم ما لا نعلمه.

قلت: ولكني لم أقصر فيما ذكرت، بل قد يكفيني ما ذكرت.

قال: ولكن هناك أراض كثيرة بالوصف الذي ذكرته.. ولكنها أرض موبوءة بالزلازل أو البراكين أو الحروب أو قلة الرزق..

قلت: ولكن..

قال: سأضرب لك مثالا على البركة في الأرض.. أرأيت لو سرت إلى مكة المكرمة قبل أن تنزل فيها هاجر ـ عليها السلام ـ أتراك تطلب القرار بها؟

قلت: لا.. فقد كانت أرضا خاوية خالية.. هي أقرب للموت منها إلى الحياة.. ألم يقل الله تعالى فيها على لسان خليله عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (ابراهيم:: 37)

قال: ولكن البركة لما نزلت عليها تحولت منبعا من منابع الرزق، ومسكنا من مساكن القلوب.. ولم يصب أهلها أي جوع أو ظمأ منذ تنزلت البركات، قال الخليل عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (ابراهيم:37)

قلت: ولكن هناك فرق ــ يا معلم ــ بين الدواء والأرض.. الأرض للجميع.. أما الدواء فللأفراد.. فلذلك لا يمكن القياس في هذا الباب.

قال: أنا لا أقيس.. فأنت تعلم بغضي للقياس.. ولكني أستبصر.. وأطبق سنن الله.. ولست مبتدعا في ذلك، فقد كان من هدي الصالحين البحث في مواطن البركات واستثمارها في الشفاء وغيره، ألم تعرف وصفة الإمام علي ؟

قلت: لا أعرفها.. فهل روي عنه شيء من الطب؟

قال: أجل.. كما روي عن غيره من الأئمة.. وقد رويت عنه وصفة قد تكون أنجع من كثير من الصناديق التي تملؤونها بالسموم.

قلت: فما قال؟

قال: روي عنه أنه قال:(إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب اللّه في صحفة، وليغسلها بماء السماء، وليأخذ من امرأته درهماً عن طيب نفس منها، فليشتر به عسلاً فليشربه كذلك فإنه شفاء، من وجوه)

قلت: أي وجوه يقصدها؟

قال: يقصد الآيات التي ذكر فيها الشفاء والبركـة، وهي قولـه تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الاسـراء: 82)، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكـاً ﴾(قّ:9)، وقولـه تعـالى: ﴿ فَـإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَـيْءٍ مِنْـهُ نَفْسـاً فَكُلُـوهُ هَنِيئـاً مَرِيئـاً ﴾ (النساء:4)، وقوله في العسل: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاس﴾(النحل:69)

قلت: أهذا اجتهاد اجتهده، أم تجربة جربها؟

قال: يمكن أن يكون كل ذلك، ويمكن أن يكون غيره..

قلت: ولكن قومي يسارعون إلى إنكار مثل هذا..

قــال: فلينكــروا.. فلا حــرج عليهم أن ينكــروا.. ولكنهم في إنكارهم مثل من غرق في بحر، فمد إليه منقذ خبير يده، فقال في نفسه: إن يده أضعف من أن تحملني أو تنقـذني، فبقي كـذلك إلى أن التهمه حوت البحر وأمواجه.

قلت: قد يكون ما تقول صحيحا.. ولكن الغريق الـذي تتحـدث عنه يمد يده إلى أدوية كثيرة اخترعها قومي..

قال: لا حرج عليـه في ذلـك.. ولكن الحـرج على إنكـاره على غيره إن شفاه الله بسبب من الأسـباب عجـز عقلـه المحـدود عن فهمه.

قلت: ولكن هل نكتفي بما يهديه إليه تدبرنا واستبصارنا؟

قال: لا.. لا بـد أن نراجـع الخـبراء.. فقـد أمرنـا اللـه بـالرجوع إليهم.

قلت: فكيف يتم العلاج في هذه الديار؟

قال: العلاج في هذه الديار ينقسم إلى أربعة أقسام.

قلت: فما القسم الأول منهما؟

قال: مرصد البركة.

قلت: وهل يمكن رصد البركة حتى ينصب لها مرصدا؟

قـال: أجـل.. فهنـاك المتوسـمون الـذي علمهم اللـه أسـرار البركات، فراحوا ينشرونها بين الناس.

قلت: فما القسم الثاني؟

قال: منازل البركة.

قلت: فما منازل البركة؟

قال: هي المحال التي تـنزل فيهـا البركـة، فليس الشـأن في وجود البركة ولكن الشأن في وجود المستقبل لها.

قلت: فما القسم الثالث؟

قال: مخزن البركة.

قلت: وما مخزن البركة؟

قـال: المخـزن الـذي تجـبى إليـه الثمـرات المباركـة ليأكلهـا المرضى، ويستشفوا بها.

قلت: فما القسم الرابع؟

قال: صيدلية البركـة.. وهـو قسـم يشـبه مخـابركم إلا بفـارق بسيط.

قلت: ما هو؟

قال: ليس فيه الفئران البيضاء.

قلت: أفيه الفئران السوداء؟

قال: ليس فيه أي فئران.

قلت: أيخافون عليها من القطط؟

قال: لا.. ولكن فئرانهم هي البشر أنفسهم.

قلت: لم.. فلا يجوز إجراء التجارب على البشر.. أم أن هـؤلاء يضحون بأنفسهم.

قـال: لا.. لا تخـف.. فالـدواء المبـارك إن لم يصـبك بشـفائه أصابك ببركته.

قلت: فهل سنزور هذه الأقسام؟

قال: لا مناص لنا من زيارتها.

***

في هذا الجزء من هذه الرسالة نرحـل ــ مـع معلم السـلام ـ إلى قسم العلاج بأدوية البركة، لنعلم صـدق قولـه ﷺ:(إن اللـه لم يُنزل داءً إلا أنزل له شفاء، علمه مَن علمه وجهله مَن جهله)

وهذه الأدوية التي نراها في هذا القسم لا نعرضها ليعـالج بهـا المرضـى فقـط، أو لنعـرف بهـا موقـف أهـل السـلام منهـا، وإنمـا نعرضـها ليمتلئ المرضـى بالأمـل الـذي يملأ أنينهم بالابتسـامة، فلا يقتل المريض مثل اليأس، ولا يشرح صدره مثل الأمل.

أولا ـ مرصد البركة

سرنا إلى القسم الأول من أقسام العلاج المبارك، قال لي المعلم ونحن سائران: سنذهب إلى مرصد البركة حيث نلتقي معلم البركة، فقد فتح الله عليه من الفتوح في هذا الباب ما يمكن أن يسد كل ثغرة، ويملأ كل عوز.

قلت: فهل استخلص معلم البركة من أدوية الله دواء جامعا يكتفي به الناس عن كل دواء؟

قال: لا.. هو لا يعرف الهندسة الوراثية، ولا فنون التغيير والتبديل.

قلت: فما يعرف إذن من علوم الدواء إذا لم يعرف هذا؟

قال: هيا بنا إليه.. وسيخبرك بما يعلم.

ما سرنا قليلا حتى رأينا مرصد البركة، وقد كتب على بابه قوله ﷺ:(هلم إلى الغذاء المبارك)(1)، فرأيت جمعا غفيرا من الناس من الأصحاء والمرضى، وقد عجبت لكثرتهم مع عدم تزاحمهم، فقلت للمعلم البركة: ما هذا؟ وأي ميزانية تكفي لتغذية كل هؤلاء؟

قال: هذا مرصد البركة، فكيف تسأل عن الميزانية؟

قلت: وهل يأكل أهل مركز البركة الهواء؟.. لا بد لهم من غذاء.. ولابد للغذاء من مال.

قال: ولكن البركة تحول القليل كثيرا.. والحقير عظيما.. ألم تسمع حديث جابر؟

قلت: حديث الخندق، وتكثير الطعام.

قال: أجل.. فاروه للغافلين ليعتبروا.

قلت: لقد حدث جابر قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برَسُول اللَّهِ ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إلي جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رَسُول اللَّهِ ﷺ، فقالت: لا تفضحني برَسُول اللَّهِ ﷺ ومن معه، فجئته فسررته فقلت: يا رَسُول اللَّهِ ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال:(يا أهل الخندق، إن جابراً قد

1) الحديث رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، ونص الحديث: عن العرباض بن سارية قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان فقال:« هلم إلى الغذاء المبارك »

صنع سوراً فحيهلاً بكم)، فقال النبي ﷺ:(لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء)، فجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك! فقلت: قد فعلت الذي قلت. فأخرجت عجيننا فبسق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك ثم قال:(ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها)، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو)

قال: فقد أطعم رسول الله ﷺ جيشا من الناس بطعام جماعة معدودة.

قلت: ولكنه رسول الله ﷺ.

قال: وقد كثر الطعام ببركته.. فالبركة هي سر التكثير.. وهي عامة لا تتعلق بزمان أو بأفراد.

قلت: تقصد أن هذا يمكن تعميمه.

قال: لا بصورته ولباسه.. ولكن بحقيقته وروحه.. ألم تسمع ما روي في الحديث أن أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ قالوا: يا رَسُول اللَّهِ إنا نأكل ولا نشبع؟ قال:(فلعلكم تفترقون)، قالوا: نعم، فقال ﷺ: (فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه)(1)

قلت: أهذا الحديث يدل على سبيل تحصيل البركة؟

قال: هذا يدل على سبيل من سبلها.

***

بينما نحن نسير في القاعة إذ رأينا رجلا قد امتلأ وقارا، يجمع بين الروح والجسد، والحس والمعنى، والنور والنار، والسكينة والثورة، والسلام والصراع، وقد جلس بين يديه رجل لا يكاد يختلف عني، ولولا أني تلمست بيدي أعضائي لخلتني ذلك الرجل، فسألت المعلم عنهما، فقال: أما الذي يجمع السكينة والثورة، فهو معلم البركة، وأما الذي بجانبه، فتلميذ من تلاميذ السلام امتلأ بالغيب، فأرد أن يمحو به الشهادة.

قلت: هو يشبهني كثيرا.

قال: قد يكون مظهرا من مظاهرك، أو صورة من صورك، أو تجل من تجلياتك.

قلت: ولكني بجانبك.

قال: أنت بجانبي، وهو يمثلك.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لن تعرف ذلك الآن.. فلا تعجل.

---

1) أبو داود.

اقتربنا منهما فسمعت الذي يشبهني يقول: لا أكتمك ــ يا معلم البركة ـ أني بعد ما امتلأت قناعة بتأثير أدوية السماء في الشفاء، خطر على بالي تأسيس مستشفى روحي عظيم يبز كل المستشفيات، أو تغلق معه كل المستشفيات.. لقد قلت لنفسي: لماذا نعالج أدواء الجسد بالجسد، ولا نعالجها بالروح، فالروح أعظم من الجسد، وطاقة الروح أعظم من طاقة الجسد.. فكيف يستطيع الجسد، وهو ضعيف منهك أن يرمم بعضه بعضا؟ لا بد له من طاقة أكبر، وليس هناك من طاقة إلا طاقة الروح..

قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد:9)

قال الذي يشبهني: ماذا تقصد؟ وما الذي تريد؟

قال: الغيب لا يغني عن الشهادة، والشهادة لا تغني عن الغيب، ألا ترى اقترانهما في القرآن الكريم؟

قال الذي يشبهني: أجل فالغيب قرين الشهادة، والله يعلم بهما جميعا.

قال: وربهما جميعا.. فاعبد الله باحترامهما جميعا.

قال الذي يشبهني: وكيف؟

قال: أن تعطي لكل منهما حقه، للغيب حقه وللشهادة حقها.

قال الذي يشبهني: ولكن الشهادة أحقر من الغيب، وأين يجدي علاج الأطباء مع علاج طبيب الأطباء؟

قال: لا تحقر شيئا مما خلق الله، فإن الله ما احتقره حين خلقه، وقد كان طبيب الأطباء يغترف من بحار الغيب والشهادة، ويداوي بأدوية الغيب والشهادة.

وقد قال تعالى لأيوب عليه السلام بعد أن طرق أبواب الغيب: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (صّ:42)، فدعاه إلى اللجوء إلى صيدلية عالم الشهادة.

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ (الصافات:146)، ألا تعلم لم أنبت الله تعالى على يونس عليه السلام بعد خروجه من بطن الحوت شجرة اليقطين؟

قال الذي يشبهني: أجل.. ففي كل ما ذكرته أدوية كثيرة من عالم الشهادة.

قال: فها قد أقررت إذن بتأثير عالم الشهادة.. ألا تعلم أي عبودية تمارس عندما تتناول الدواء من عالم الشهادة؟

قال الذي يشبهني: وهل في تناول الدواء عبودية؟

قال: المؤمن لا يعبد إلا الله، ولا يتحرك إلا بما تتطلبه عبودية

الله، فهذا الدواء صنعة الحكيم، فإن تناولته من يد الله، وعرفت الله في تناوله وشكرته على توفيره، كما تشكر الطبيب الذي عالجك مارست بذلك عبودية الدواء.

قال الذي يشبهني: لست أدري، ما علاقة الشريعة بالدواء، فالدواء دنيا، والشريعة دين، وقد قال ﷺ:(إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، وإذا كان شيء من أمر دينكم فإلي)(1)

قال: الدنيا لا تكون إلا بالدين، ولا يحفظ الدنيا إلا الدين.

قال الذي يشبهني: فكيف تجمع بين الدنيا والدين.

قال: بتطعيم الدنيا ببركات الدين.

ثم انصرف الرجل الذي يشبهني، وقد وعى ما قال له.

***

اقتربت منه، وقلت: إني أراك سكينة تحمل رياح ثورة، ونسيما يطوي إعصارا، فأيهما أنت، فإني لا أكاد أميز السلام فيك عن الصراع، والسكينة عن الثورة؟

قال: أنا النقطة التي تحت الباء.

قلت: ذاك معلمي.. معلم السلام.. ألا تعرفه؟

قال: وهو معلمي الذي تخرجت على يديه في مدرسة السلام.. وكل من تخرج على يديه ينال هذه الشهادة، ويوصف بهذا الوصف.

قلت: أكل من يتخرج من مدرسة السلام يصبح نقطة تحت باء؟

قال: وهل هناك ما هو أشرف منها.. أليست العبودية لله أعلى المراتب؟

قلت: بلى..

قال: فلن تتحقق بالعبودية حتى تتحقق بالسلام.

قلت: ولكني أرى امتزاج الصراع فيك بالسلام، والسكينة بالثورة، فأيهما أنت؟

قال: أنا السلام الذي يتحرك كتحرك النسيم العليل لتمتد الحياة بحركته.. أو يتحرك كتحرك الأمراج العاتية ليملأ الأرض بالبخار المبارك.

قلت: دعنا من كل هذا.. وخبرني.. لقد ذكر لي المعلم بأنك تصف دواء جامعا شافيا كافيا، فما اسم هذا الدواء؟

قال: هو ليس دواء فقط.. بل هو حياة يشكل الدواء أحد جوانبها.

---

1) مسلم.

قلت: وهل لهذا الدوء أو الحياة علاقة بالشفاء؟
قال: أجل.. شـفاء كـل العلـل الحسـية والمعنويـة.. النفسـية والجسدية.. الفردية والاجتماعية.
قلت: أهذا الدواء يحوي كل ذلك؟
قال: من تـداوى بـه عـوفيت نفسـه، وعـوفي جسـده، وصـار سلاما على الأرض.
قلت: فما اسمه؟
قال: نحن نسميه:(نظام الحياة المباركة)
قلت: تقصد:(مباركوبيوتيك)؟
قال: بعضهم يسميه بهذا الاسم ليشـاكل بـه مـا تعرفونـه من الماكروبيوتيك.
قلت: لم؟ وما الفرق بينهما؟
قـال: فـرق عظيم.. فالماكروبيوتيـك نظـر إلى الغـذاء.. وإلى يانه ويانغه أما نحن فننظـر إلى بركتـه.. فالبركـة هي سـر الشـفاء وسر العافية.. بل هي سر كل خير.
قلت: ولكن البركة شيء معنوي.
قال: ولكنه مؤثر.. أتريد تشبيها يشرح لك ذلك؟
قلت: ذلك ما يرضي بصيرتي، ويقنعني بما تقول.
قال: إن مثال البركة في الأشياء كمثـال الـروح في الجسـد.. فهل يمكن للجسد أن يفعل شيئا بدون الروح؟
قلت: طبعا.. الجسد بلا روح كالتراب والحجارة لا يصلح لـه إلا الدفن.
قال: فأنتم كذلك تجعلون بطونكم مقابر للغـذاء بمـا تسـلبونه من بركته، فلـذلك يـدخل ميتـا، ويخـرج ميتـا، وقـد يصـيبكم ببعض سموم الموتى.
قلت: وهل الطعام كائن حي حتى يوصف بالموت؟
قال: هو كائن حي بالبركة.. وهو جماد بنزع البركة.
قلت: فلنفـرض أنـه حي.. فالطعـام طعـام.. وهـو يمـر على جميع الأجهزة، ويصبح دما، وتتغذى منه الخلايا سواء قلنـا بحياتـه أو بموته.. ببركته أو محق بركته.
قال: أرأيت لو أن قائدا من القواد رأى عـدوا يريـد أن يهـاجم حصنه، فأرسل مجموعة من الجنود الموتى، ووضـعهم رغمـا عنهم في مواجهة العدو، أيمكن أن يفعلوا شيئا؟
قلت: لا.. فهم مـوتى.. فلن يردعـوا عـدوا، ولن يقـروا عين صديق.. ولكن لا أظن أن هناك من يفعل هذا.

قال: أنتم تفعلونه.. الغذاء المبارك هـو الغـذاء الـذي نفخ فيـه من روح البركة ما أمـده بالحيـاة.. فلـذلك إن دخـل الجسـم دخـل حيا.. فإن اخترق الخلايـا ملأهـا بالبركـة الـتي تقضـي على كـل داء وتنزل كل عافية.

قلت: فأنت ترى أن سر التأثير لا يعود إلى المكونات، بل إلى البركة التي تكون فيها.

قال: أجل.. فلكل شيء خلقه الله تعـالى من حيث أصـله في منتهى الكمال، ولكن محق البركة فيه يجعله سليبا ميتا ليس له أي أثر.

قلت: هذه دعاوى، فما برهانها؟

قال: ألم تقرأ ما ورد في قصة الخليـل عليه السلام عنـد زيارتـه لابنـه إسماعيل.

قلت: هي قصة طويلة، فاذكر لي منها موضع الاستشهاد.

قال: لقد ورد فيها قوله ﷺ:(فلبث عنهم إبراهيم ما شـاء اللَّه ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه، قـالت خـرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشـهم وهـيئتهم، فقـالت: نحن بخير وسعة وأثنت على اللّه تعالى، فقال: ما طعامكم؟ قـالت اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت المـاء، قـال: اللهم بـارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ:(ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيـه)، قـال:(فهمـا لا يخلـو عليهمـا أحـد بغـير مكـة إلا لم يوافقاه)

قلت: فما موضع الشاهد من هذه القصة؟

قال: لقد أخبر ﷺ عن تـأثير الـدعاء بالبركـة في هـذا الغـذاء، ولذلك صار كافيا موافقا نافعا.

قلت: ومن لنا بالخليل عليه السلام حتى يدعو لنا بمثل هذا؟

قال: لقد جعل الله تعالى للبركة أسـبابا وشـروطا، ونحن في هذا المستشـفى نسـتعملها علاجـا لكـل الأدواء.. فنطعمهم الغـذاء والدواء مطعمـا بالبركـة الـتي تملـؤه بالحيـاة، فتجعلـه يسـري في الجسم كما يسري الجندي النشيط يقتل كل داء، ويصارع كل بلاء.

قلت: أنـا لم أسـلم لـك بعـد مـا تـذكره من نفخ الحيـاة في الطعام بسبب البركة.. فالبركة شيء معنوي.

قال: سأذكر لك ما قد يصح الاستئناس به.. لقد روى ابن مسعود قال: كنا ـ أصحاب محمد ﷺ ـ نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا! بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ:(اطلبوا من معه فضل ماء)، فأتى بماء، فصبه

في إناء ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه، ثم قال:(حي على الطهور المبارك، والبركة من الله)، فشربنا، قال ابن مسعود:(لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)(1)

قلت: فما موضع الشاهد من هذا النص؟

قال: فيه مواضع من الاستشهاد.. ولكن سماع الصحابة المنتجبين تسبيح الطعام، وهو يؤكل فيه من الدلالة ما فيه.. فالتسبيح سر الحياة وعلامتها وقوتها.

قلت: التسبيح عام لكل شيء، فكل شيء يسبح باسم الله.. ولكنا لا نفقه تسبيحه.

قال: من تسبيحه ما يكون شفاء.. وحينذاك يكون مباركا..

قلت: لن أجادلك في هذا.. فإني لم أر بعد تأثير هذا على المرضى، ولكني أريد أن أسألك عن سر هذا وعلاقته بما نرى من أنواع استعمال الغذاء في الشفاء.

قال: لقد رأيت الأطباء في تحليلهم لتأثير الغذاء يركزون على مكوناته من حرارة ووبرودة ورطوبة ويبوسة، أو من ين ويانغ، أو من بروتين وسكريات ودهون وفيتامين ومعادن.. ويغفلون عن شيء أكثر من هذه العناصر جميعا اسمه الحياة.. حياة الغذاء.. فالغذاء كائن حي.. أو هو أشبه بالطبيب الذي ينزل الجسم ليملأه بالعافية.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أرأيت لو أن قومك استطاعوا أن يخترعوا طبيبا مجهريا يسير عبر شبكة الدماء، ويخترق الخلايا، ويبحث بحربته عن العلل ليقلتها، ويداوي بخيوطه الجراح ويرممها..

قلت: لو فعلوا ذلك لقضوا على جميع الأمراض، ومسحوا جميع العلل.. ولكن من لهم بهذا.. وكم يحتاجون إلى طبيب بمثل هذا النوع ففي الإنسان ملايير الخلايا.

قال: فالغذاء المبارك يقوم بهذه المهمة.. وهو لا يكتفي بذلك.. بل إنه يتحول إلى خلايا ودماء مملوءة بالحياة والبركة.

قلت: تركيزك على البركة يكاد يلغي أهم شيء في الغذاء وهو عناصره ومركباته.. فلا يمكن أن نطعم من يحتاج سكريات طعاما مملوءا بالمعادن.

قال: ذلك صحيح.. ولكنك إن أطعمته سكريات وحدها قتلته.

قلت: لم أفهم قصدك.

قال: رأيت بعض قومك يبحثون عن سر الشفاء في العسل.

---

1) أبو داود.

قلت: أعلم ذلك.. وهم يفعلون ذلك ليستخلصوه من العسل، ثم يعالجون به المرضى موضوعا في كبسولات أ وشرابا.

قال: أتدري ما مثلهم في ذلك؟

قلت: وما مثلهم؟

قال: إن مثلهم في ذلك كمثل قائد رأى جنديا قد اتشح بجميع أردية القوة، فكلف مستشاريه وخبراءه بأن يشرحوا جثة هذا الجندي، ثم يستخلصوا منه سر القوة، ليرموا بها أعداءهم.

قلت: سيقتلونه بذلك.. ولن يجدي ما استخلصوه شيئا.

قال: فكلذلك أنتم تفعلون.. أنتم تريدون أن تقتلوا العسل كما قتلتم كل غذاء وكل دواء.

قلت: لقد ذكرتني بنفر من قومي رأوا الـ ADN ورأوا سر تعلق حياة الخلية به، فراحوا يصنعونه، لكنهم فوجئوا بأن ما صنعوه ميت لا حراك له.

قال: وكذلك كل غذاء ودواء لا حياة فيه ولا بركة.

قلت: ولكنا نرى سر التأثير.

قال: لا تقل سر التأثير، بل قل: سراب التأثير.

قلت: فهمت قصدك من هذا، ولكني أريد أن أسألك سؤالا كنت سألت مثله..

قاطعني، وقال: تريد معرفة التأثير.. أو تريد معرفة الأمراض التي أمكن علاجها بهذا النظام.

قلت: لم تعد ما في نفسي.. فالبرهان على نجاعة الدواء حصول الشفاء.

قال: لم يدخل هذا المستشفى مريض إلا وخرج معافى.

قلت: أي أنواع الأمراض؟

قال: كل الأمراض النفسية والجسدية..

قلت: ولكن هناك أمراضا كثيرة عجز قومي عن علاجها.. فهل توصلتم إلى علاجها؟

قال: نعم.. ألم يقل ﷺ:(تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله)

قلت: فماذا تستعملون في العلاج؟

قال: المرضى يمرون على جميع أقسام هذا المستشفى لينالوا في كل قسم ما يحقق لهم حظهم من الشفاء.. فالشفاء عملية شاملة.. ومن الخطأ العظيم تجزئتها.

قلت: كيف تجزأ؟

قال: أليس الإنسان روحا وجسدا، غيبا وشهادة؟

قلت: بلى.. وذلك مما لا يجادل فيه.

قال: ولكنكم تجزئون الإنسان فتنظرون إلى إليه ككائن حسي لا روح له.. أو لا علاقة له بالروح.. أنتم في عصر تقدم فيه الطب، ولكنه مع ذلك تأخر فيه الطب.. تأخر تأخرا عظيما.

قلت: كيف يتقدم ويتأخر، أليس هذا تناقضا؟

قال: تقدم فيه الطب باكتشافاته الكثيرة، واختراعاته التي لا يوازيها إلا اكتشافاته، فلا تظهر علة في الصباح، وإلا ويكر عليها جند الطب بالمساء.

قلت: هذا شيء جميل، وهذا تقدم محض، فكيف يكون التخلف في التقدم؟

قال: إن العلة التي ظهرت في المساء سببها الدواء الذي تناوله المريض في الصباح.

قلت: هذا شيء لا بد منه، فكل علاج يفيد ناحية قد يضر أخرى؟

قال: الخطر ليس في هذا؟

قلت: فيم إذن.

قال: في التجارة بأجساد الناس؟

قلت: لقد ذهب زمان الرقيق، فكيف يتاجر بالأجساد؟

قال: ألا ترى دعايات الأدوية وإشهاراتها، ما الفرق بينها وبين إشهارات الأغذية والملابس؟.. ثم كيف يتحول الدواء الذي تتوقف عليه حياة الإنسان إلى تجارة رائجة مربحة؟.. ثم لماذا تتنافس مراكز البحث، وتتصارع، من أجل الظفر بدواء يسد العلة، ويفرغ الجيوب؟.. ثم لماذا يحقر الطب بعضه بعضا، وغرضه واحد؟

قلت: فما الذي ينقص الطب ليتقدم؟

قال: البركة.. العلاج بالبركة، وهي تبدأ من معالجة الإنسان، لا أعضاء الإنسان؟

قلت: معالجة الإنسان، لا أعضاء الإنسان؟ ما هذا، وهل الإنسان إلا أعضاؤه؟

قال: ألم تسمع قول نبيك ﷺ:(المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)(1)، وقوله ﷺ:(المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله)(2)

قلت: وضح ما تريد، فما وجه الإشارة في هذا؟

---

1) مسلم.
2) مسلم.

قال: أنتم الآن في عصر التخصصات العلمية الدقيقة، فلـذلك تنظرون إلى الإنسان كمجموعـة أعضـاء وأجهـزة، فـإن دخلت إلى طبيب الأمراض التنفسية لم يلحظ منـك إلا رئتيـك وهمـا تشـهقان وتزفران، وكأنك رئة تتحرك، فلا يتعامل معك إلا على أساس ذلـك، ولا يبالي بعد أن يمس ببلسم الشـفاء رئتيـك أن تـذهب بعـدها إلى أي طبيب آخر.

وإن دخلت إلى طبيب أمراض القلب لم يسمع لما تقـول، ولا لما تشكو بل يكتفي بسماع خفقان قلبـك، ورؤيـة حركـات بطينـك وأذينك.. وهكذا مع كل الأطباء.

قلت: فما المخرج؟

قال: أن يتعامل الطب مع الإنسان.

قلت: كيف؟

قال: مع الإنسان روحا وجسدا، ونفسـا وعقلا وقلبـا، فـيراعي طاقاته ولطائفه، ويستخدمها جميعا في الاستشفاء.

قلت: تقصد الجمع بين الغيب والشهادة؟

قال: إن كان الإنسان غيبا وشهادة، فذلك ما أقصد.

قلت: فمن الطبيب الذي استطاع أن يجمع ذلك كله؟

قال: رسول الله ﷺ، فقد كان يداوي بأدوية الغيب والشهادة؟ وعلمنا أن نداوي بالغيب والشهادة.

قلت: ولكن رسول الله ﷺ لم يكن طبيبا؟

قال: فإن لم يكن طبيبا، فمن الطبيب(1)؟

---

1) ذكر بعض الباحثين (د. محمد سليمان الأشقر، أحـاديث الطب النبـوي هـل يُحتج بهـا؟، نشـر في إسـلام أون لاين، بتـاريخ: 12/08/2004)كلامـا لا يمكن أن يقبـل من أي مسلم يحترم رسول الله ﷺ، وقد أساء فهم النصوص إساءة عميقة، وقد انطلق في رأيه هذا بذكر مواقف الناس من طب النبي ﷺ، ولا بأس من تخليص كلامه للدلالـة على مبلـغ الخطر الذي يحمله تصوره أو تصويره لرسول الله ﷺ، فقد ذكر مذهبين:

المذهب الأول: أنه ﷺ معصوم من خطأ الاعتقاد في أمور الدنيا، بل كل ما يعتقـده في ذلك مطابق للواقع، وكذلك ما يقوله ويخبر به.

قال:« ولم نجد أحدا من قدماء الأصوليين صرح بمثـل هـذا المـذهب، ولكنـه لازم لمن جعل جميع أقواله وأفعاله ﷺ حجة حتى في الطبيات والزراعـة ونحوهـا، وهـو لازم أيضـا لمن صحح منهم أن تقريره ﷺ لمخبرٍ عن أمر دنيـوي يـدل على صـحة ذلـك الخـبر، كمـا فعل السبكي وأيده المحلي والبناني »

المذهب الثاني: أنه لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقا للواقع، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ.

قال: وليس في ذلك حطّ من منصبه العظيم الذي أكرمه اللـه بـه؛ لأن منصـب النبـوة مُنصب على العلم بالأمور الدينية، من الاعتقـاد في اللـه وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخر، ومن الأمور الشرعية. أمـا إن اعتقـد أن فلانـا مظلـوم فـإذا هـو ظـالم، أو أن دواء معينا يشفي من مـرض معين، فـإذا هـو لا يشـفي منـه، أو أن تـدبيرا زراعيـا أو تجاريـا أو صناعيا يؤدي إلى هدف معين، فإذا هـو لا يـؤدي إليـه، أو يـؤدي إلى عكسـه، أو أن تـدبيرا

قلت: رسول الله ﷺ هاد ومعلم ورسول.

قال: والمعلم هو الذي علم الناس جميعا، والأطباء من الناس.

قلت: أهذا النظام الذي تعتمدونه ينطلق من هدي النبي ﷺ في العلاج بالعسل والأعشاب ونحوها؟

قال: تخطئون حين تتصورون هذا.. رسول الله ﷺ لم يكن عشابا.. كان ربانيا، وقد دلنا بكل سلوكه على طرق الشفاء وطرق تناول الشفاء.. فالشفاء يستخلص من هديه كله، ومن حياته كلها.

عسكريا أو إداريا سينتج مصلحة معينة، أو يدفع ضررا معينا، فإذا هو لا يفعل، فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة، بل هو يعتقده من حيث هو إنسان، له تجاربه الشخصية، وتأثراته بما سبق من الحوادث، وما سمع أو رأى من غيره؛ مما أدى إلى نتائج معينة. فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن أو اعتقد.

وقد اختار د. محمد سليمان الأشقر هذا المذهب، واستدل لذلك بالأدلة الآتية:

1. قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾(الكهف:110)، وقد تكرر التأكيد على بشرية الرسول ﷺ بخلاف أمور الشريعة، فإن كلامه فيها لا يستقر فيه خطأ، كما هو ثابت في علم أصول الفقه. فالأصل استمرار حاله في أمور الدنيا كما كان قبل النبوة، لما لم يدل على انتقاله عن ذلك دليل.

2. قوله ﷺ:« إنما أنا بشر، فإذا أمرتكم بأمر دينكم فاقبلوه، وإذا أمرتكم بشيء من دنياكم فإنما أنا بشر »، وفي رواية:« أنتم أعلم بدنياكم » فهذا الحديث، برواياته المختلفة، يؤصل النبي ﷺ أصلا عظيما في الشريعة، ويبينه لنا، ويشعرنا بأن بعض أفراد الأمة قد يكونون أحيانا أعلم منه ﷺ بما يتقنونه من أمور الدنيا، والمقصود أهل الخبرة في كل فن وصناعة، وأنه لا داعي شرعا لالتفاتهم إلى ما يصدر عنه ﷺ من ذلك إلا كما يلتفتون إلى قول غيره من الناس (انظروا هذه الجرأة على مقام رسول الله ﷺ)

3. إن الحباب بن المنذر، قال في سياق غزوة بدر: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي.

4. وقالت عائشة:« كان رسول الله ﷺ يسقم عند آخر عمره، أو في آخر عمره. فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فينعتون له الأنعات، وكنت أعالجها له »

وهو ينقل عن ابن خلدون قوله:« الطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء. وإنما هو أمر كان عاديا للعرب.. فإنما بُعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره »

وينقل عن القاضي عياض قوله:« فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها: يجوز عليه ﷺ فيها ما ذكرناه [أي الخطأ]، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وشغل نفسه بها، والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية. ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة »

وهو يصنف الأحاديث على هذا الاعتبار فينفي الاستفادة من كثير من الأحاديث مع أن النصوص واضحة فيها، ومن الأمثلة التي ذكرها لذلك قوله ﷺ:« ما ملأ آدمي وعاء شرا

قلت: لم أفهم هــذا.. فــإني لا أرى العلاج إلا مــا يــدخل إلى الجــوف ليقــوم بتــدمير مــا يجب تــدميره، أو تــرميم مــا يســتحق الترميم.

قال: ذلك علاج الشهادة.. وقد يدمر ما لا يستحق التــدمير، أو يبني ما لا يحتاج إليه من البناء.

قال: ورسول الله ﷺ الذي تستندون إليه في علاجكم.

قال: كان ﷺ ينظر إلى الإنسان بعد أن نفخت فيــه الــروح.. لا قبل أن تنفخ فيه.. فلذلك كان يصف كل أنواع الأدوية..

قلت: أتقصد أن في هديه ﷺ كل تفاصيل الطب؟

قال: كل قوانين الطب.. لا تفاصــيله.. وفي هــذا المستشــفى ينطلق الأطباء والخــبراء من تعــاليم أســتاذهم الأكــبر ﷺ ليكتشــفوا دواء كل علة، ويرسموا البسمة على كل شفة.

قلت: ما الفرق بين القوانين والتفاصيل؟

قــال: القــوانين إلهيــة والتفاصــيل بشــرية.. ولا تفاصــيل بلا قوانين.

قلت: فما الفرق بينهما؟

قال: لقد علم قومك أن أسباب كثير من العلل هي الجــراثيم، وهو قانون من قوانين الصحة، فراحوا يتعرفون عليها، ويقاومونها..

قلت: أجل.. هذا صحيح.. فقد عرفت صناعة الأدوية كثيرا من المضــادات الحيويــة، وهي مــواد اكتشــفت أصــلاً في العضــويات الدقيقــة، إلا أنهــا أصــبحت اليــوم تنتج تركيبيــاً على نطــاق واســع لاستخدامها في عضويات دقيقة أخرى أو وقف نموها.

قال: ففيم تستعمل هذه المضادات؟

من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فــإن كــان لا محالــة فثلث لطعامــه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه »

ومنها أحاديث الحجامة، مع كثرة الأحاديث الواردة فيها.. وغيرها من الأحاديث.

قال تعقيبا على هذه الأحاديث بعد ذكره لها:« فهذه الأحاديث المذكورة في هــذا النــوع الثاني، ونحوها من الأحاديث التي تدخل في صــلب الأمــور الطبيــة والعلاجيــة، لا ينبغي أن تؤخذ حجة الطب والعلاج، بل مرجع ذلك إلى أهل الطب، فهم أهل الاختصــاص في ذلــك. وقد يتبين في شيء من هذه الأحاديث الخطأ من الناحية الطبية الصرفة »

ولسنا ندري موقف هذا الدكتور الجريء على رسول الله ﷺ من رجل ينشــر وصــفات طبية صريحة تتعلق بنواح خطيرة من صحة النــاس، ثم يــزعم أنــه ملهم، بــل إنــه مــوحى إليه... هل يسلم له أم يطالب العدالة بأن تزج بــه في الســجن لتلاعبــه بالنــاس الــواثقين فيه!؟

إنها جرأة خطيرة سببها الجهل بقــدر رســول اللــه ﷺ... أمــا آثارهــا ــ لــو انتشــرت بين الناس ـ فهي عدم الثقة في رسول الله ﷺ مطلقا في أمور الغيب والشهادة.

أما ما استدل به من النصوص فهو مرتبط بحوادث لها علاقة بحياته، وهي تحمل طــابع التعليم والتربية، لا طابع المعلومة التي يحرص رســول اللــه ﷺ على أن تنتقــل إلى أمتــه لتنتفع بها.

قلت: في معالجة الالتهابات الجرثومية أو الفطرية.
قال: فما أساس التعرف عليها؟
قلت: لقد كان باستور أول من لاحظ تأثير هذه المضادات، في حين أثبت ألكسندر فليمنغ لأول مرة في عام 1929 أن عفن Penicillium notatum ينتج مادة البنسلين القادرة على القضاء على بعض أنواع الجراثيم.. وفي عام 1940 تمكن العالمان فلوري وشاين من صنع كميات كافية من البنسلين للاستعمال السريري.. ويعتبر عزل الستربتوميسين من قبل واكسمان والغراميسيدين من قبل دوبوس ubos وعزل السيفالوسبورين، من أهم الاكتشافات المبكرة للمضادات الحيوية المفيدة في معالجة الالتهاب التي تصيب الإنسان.
قال: فما نتج عن هذه الاكتشافات؟
قلت: لقد نتج عنها الكثير من أنواع المضادات الحيوية، والبحث ما زال مستمرا لاكتشاف المزيد منها.
قال: فما اكتشفه باستور وغيره كان قانونا من قوانين الطب استتبع التفاصيل الكثيرة التي لا تزالون تبحثون فيها.
قلت: أجل.. وقد كرمت البشرية باستور أعظم تكريم على اكتشافه هذا.
قال: فلتكرم البشرية محمدا ﷺ، فإنه حقيق بالتكريم.
قلت: هي تكرمه على أدوية السماء التي جاء بها.
قال: لا.. لا يكفي ذلك.. بل ينبغي أن تكرمه على أدوية الأرض، فإن ما ذكره ﷺ يفوق كل ما ذكره أطباء العالم جميعا.
قلت: كيف ذلك؟
قال: ستكتشف ذلك عندما تدخل إلى أقسام هذا المستشفى لترى التفاصيل الكثيرة التي انبنت على القوانين الشفائية التي جاء بها رسول الله ﷺ.
قلت: وهل أطباء هذا المستشفى ينطلقون من هدي رسول الله ﷺ في العلاج؟
قال: أجل.. وهم يعالجون كل الأمراض حتى ما استعصى على قومك منها.
قلت: فهل يعالجونها بالمضادات الحيوية؟
قال: يعالجونها بما تعجز كل أدويتكم عن علاجها.
قلت: اضرب لي مثالا على ذلك يوضح لي هذا.
قال: هل يعالج قومك المرضى بالصدقة؟
ضحكت، وقلت: لو فعلوا ذلك لرجمهم الناس بالحجارة.

قال: فقد كـان ﷺ يـداوي النـاس بالصـدقة، بـل قـال:(داووا مرضاكم بالصدقة)، وفي حديث آخر:(ما عولج مريض بأفضـل من الصدقة)(1)

قلت: فهل لذلك علاقة بالبركة التي تستعملونها علاجا؟

قال: أجل..

قلت: فما محلها منه؟

قال: تقوم البركـة على اسـتمداد الشـفاء من الطـبيب الأول، والصدقة سبيل من سبل نزول الدواء منه.

قلت: فهل تعالجون بهذا في هذا المستشفى؟

قال: نعالج به وبغيره.. نعالج بكـل مـا يرتبـط بالبركـة.. فنحن نبحث عنها كما تبحثون في مخابركم عن العناصر والمركبات.

قلت: ولكن البركـــة بين قـــومي صـــارت لعبـــة بين أيـــدي المشعوذين.. فلذلك أساء الناس الظن بها.

قـال: الباطـل لا يمحـق الحـق، والمنكـر لا يبطـل المعـروف، والحقيقة لا تضرها دعاوى الجاهلين.

***

قلت: حـدثتني عن علاجـك، فحـدثني عنـك.. فهـل أنت من مدائن السلام.. أم من مدائن الصراع؟

قـــال: كـــل من تـــراه في مـــدائن الســـلام هـــرب من أرض الصراع.. ولست غريبا عنهم في ذلك.

قلت: لقد عرفت الكثير في هذا المستشفى.. فما اسمك في أرض الصراع.

قال: لا يهمك اسمي.. فالاسم قناع من الأقنعة الـتي تغفلـون بها عن الحقائق.

قلت: أتخاف على نفسك من شركات الغذاء والأدوية وهيئات الرقاة أن تنصب لك كمينا أو تدس لك سما؟

قال: من تعلم السلام لا يعرف الخوف.. ولا يدب إلى قلبه مـا يدب إلى قلوب الغافلين.

قلت: فلم لا تذكر اسمك إذن؟

قال: من عرفه نسي اسمه.. ألم تسمع قـول أبي يزيـد:(كنـا بنا، ففنينا عنا، فصرنا بلا نحن)

قلت: بلى.. وقد سأله رجل لا يعرفه عن أبي يزيد، فقـال: أنـا منذ ثلاثين سنة أبحث عنه، ولم أجده.

قال: فأعلم قومك أنهم لن يفلحوا حتى يـنزعوا هـذه الألقـاب

---

1) الديلمي.

التي يعبدونها من دون الله.. فالله لا يبارك إلا فيمن لبس لباس العبودية.

قلت: إن لم تنبئني باسمك، فأنبئني عنك.. هل كنت في أرض الصراع طبيبا؟.. وهل كان المرضى يأتونك ويزدحمون على بابك؟.. وبم كنت تعالجهم؟

قال: لم أكن طبيبا.. ولم يكن الناس يعرفونني.. ولكن قلبي كان يمتلئ ألما حين أرى خلقا كثيرا من خلق الله لعبة بين أيدي الأطباء والمشعوذين.. يستغلون حاجتهم إلى الشفاء ليذيقوهم ألوان الألم.

قلت: أبين قومك مشعوذون؟

قال: وهل خلا شعب من الشعوب من المشعوذين؟.. أليس أولئك الدجالون الذي يلبسون عباءة القرآن الكريم من أخطر المشعوذين؟..

قلت: تقصد الرقاة..

قال: وهل هناك غيرهم من المحرفين لدين الله.. المتلاعبين بالمرضى.

قلت: علمت موقفكم منهم.. فقد تجولت في أنحاء المستشفى وأبصرت الحملة التشديدة التي يحملها هذا المستشفى على هؤلاء.

قال: ليسوا وحدهم.. بل هم مع أطباء قومك خليط واحد.. لا يتقون الله في المرضى.. ولا يتألمون لما يصيبهم.

قلت: علمت ما أصابك من هم وألم بسبب هؤلاء.. فما الذي حولك إلى هذا السبيل.. هل مرضت أو مرضت أمك وأختك بالسل كما مرض جورج اوشاوا وأمه وأخته؟

قال: أجل.. لقد ابتلاني الله بمرض خطير.. ذهبت لأجله إلى الأطباء، فلعبوا بي ما شاء لهم أن يلعبوا.. ثم ذهبت إلى الرقاة، فوصفوا لي من فنون الدجل ما وصفوا.. وبعد أن عضني اليأس بنابه.. وجلست في البرزخ الذي بين الموت والحياة.. لاح لي من سماء الأمل بصيصا من نور.. فلاحظته بعين بصريتي.. ثم وجدت يدي تمتد إليه لتشرب من كأسه العذبة شرابا لن أنسى مذاقه..

قلت: فما فعل هذا الشراب العجيب؟

قال: لقد سرى في أوصالي.. وتشربته عروقي.. ونشطت له خلاياي.. ونهضت من مرضي بقوة لم أدر سرها.. ونشاط لا أعرف سببه.. وبعد بحث عن العلة هداني الله إلى البركة..

قلت: وكيف عرفت أنها البركة.. ولم تكن آثار تلك الأدوية

التي استعملتها.. ولا الرقى التي قرئت عليك؟
قال: لقد أيأسني الأطباء من حالتي.. أعلموني أن مـا أتناولـه ما هو إلا مجرد أدوية مهدئة سـرعان مـا يـزول أثرهـا.. أمـاالمرض فهو قائم في مكانه.. بل نشط غاية النشاط.. وأنـه لن يـبرح حـتى يجتث شجرتي من أصولها.
قلت: فعندما شفيت ماذا قالوا؟
قال: تعجبـوا كثـيرا.. أعـادوا تحليلاتهم وجميـع مـا يسـتعملونه للكشف.. فرأوا جسمي ببراءة الطفولة وصفاء الجمال.
قلت: والرقاة؟
قال: هم أيضا ملأوا قلبي يأسا بعد أن استلوا كل ما في جيبي من أموال.
قلت: فلم لم تكتف بشفائك، وذهبت تبحث عن سـر الشـفاء الذي حصل لك؟
قال:لقد ملأ الله قلبي حنانا ورحمة.. فكـانت مـدامعي تنهمـر للآلام وقلبي يتفطر للأنين.. فلذلك سـرت بين المرضـى أبشـرهم، وبين المعلولين أمسح الكآبة عنهم.
قلت: فهل وجدت سر ابتسامة الأنين؟
قال: من بحث بنفسه لن يجد إلا السراب؟
قلت: فبمن بحثت إذن؟
قال: بحثت عن الطبيب الذي يملك كل ألـوان الشـفاء.. فمن وجد الطبيب وجد الشفاء.. ألم تسـمع قـول الحكيم:(سـبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليـه، ولم يوصـل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)
قلت: فمن وصل إلى الطبيب وصل إلى الشفاء؟
قال: أجل.. بل يصل إلى ما هو فوق الشفاء.. إلى المعرفـة.. ومن عرف الله لم يعـالج جسـده فقـط.. بـل يعـالج روحـه وكيانـه وواقعه.
قلت: فقد وجدت العلاج في المعرفة؟
قال: المعرفة هي مبدأ العلاج.. ألم تسـمع قـول المسـيح عليه السلام للقعيد:(إيمانك شفاك)
قلت: بلى..
قال: فلذلك يبدأ المريض عندنا بقسم الغيبة.. فلا يحضر حـتى يغيب.. ولا يعالج جسده حتى تعالج روحه.
قلت: فكيف اختاروك معلما للبركة في هذا المستشفى؟
قال: لقد هداني الله إلى هذا النظـام.. فاختـارني أهـل الحـل

والعقد في مدائن السلام إلى تنفيذه.
قلت: وهل يحتاج تنفيذه إلى مستشفى؟
قال: لا.. ولا إلى دجالين يقومون بابتزاز الناس بالتجارة فيه.. فهو يقوم على الإخلاص.
قلت: فأين يعالج المريض به؟
قال: في بيته أو في السوق أو في المعمل أو في الشارع.. فهذا العلاج لا يحتاج إلا برمجة للحياة تتوافق مع أصول الشفاء.
قلت: لقد سمعت صاحب (نظام الغذاء الميزان)يعتمد برنامج الست، فما برنامجكم؟
قال: لقد مررت في حصون العافية على قاعة التنظيم، وعرفت سر الأربعين.
قلت: أجل.. أذكر ذلك.
قال: لقد عرفنا من النصوص أن للأربعين أسرار في تحويل الإنسان جميعا لا خلاياه وحدها، فلذلك كل متدرب يبدأ بالأربعين.. وأكثر المرضى يخرجون بالبرء التام.. وفيهم من يحتاج إلى المزيد من الدورات العلاجية.
قلت: فماذا يفعل في الأربعين؟
قال: يتعلم الإخلاص والحكمة والسلام.. ويتعلم كيف يدخل الطعام المبارك والدواء المبارك إلى جوفه ليقوم بمهمة الشفاء.
قلت: ولكن حياة الإنسان طويلة.. فكيف تقنعون بالأربعين؟
قال: التزامه بالصدق في الأربعين يهيئه لأن يسير حياته جميعا وفق ما عاشه في هذه المدة.
***
قلت: فهل للبركة سبل يمكن تحصيلها بها؟
قال: أجل.. ونحن في هذا المركز نقوم بكل الوسائل للبحث عن مواطنها.
قلت: فهل اخترعتم أجهزة لذلك؟
قال: يمكن أن تسميها أجهزة، ويمكن أن لا تسميها.
قلت: كيف؟..
قال: نحن نعتمد هنا على المتوسمين الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(الحجر:75)
قلت: فكيف تعتمدون عليهم؟
قال: لقد أعطاهم الله تعالى البصيرة التي يرون بها مواضع البركة كما يرى خبراءكم العناصر والمركبات.
قلت: ولكن قومي يملكون مجاهر تحول من الذرة جبلا..

ومن النملة فيلا.
قال: ولهؤلاء من البصيرة ما يخترقون به جميع الأسـوار الـتي لا تحلم جميع مجاهركم برؤيتها.
قلت: فماذا وجد هؤلاء المتوسمون؟
قال: لقد وجدوا أربعة عناصر تكتمل البركة باكتمالها.
قلت: ما بـالكم معشـر مـدائن السـلام.. كـل شـيء تجعلونـه أربعة؟
قـال: ألم يقـل ﷺ:(خـير الصـحابة أربعـة، وخـير السـرايا أربعمائة، وخير الجيـوش أربعـة آلاف ولا تهـزم اثنـا عشـر ألفـا من قلة)(1)
قلت: بلى.. فما سر ذلك؟
قـال: الأربعـة تجمـع الأركـان والأصـول.. فلـذلك تـرى أكـثر الحقائق تنحصر في الأربع.
قلت: فما هذه الأربع التي يبحث عنها هذا المرصد؟
قال: المصدر، والوسائط، والمواقيت، والأحوال.
قلت: هذه أسماء.. فما مسمياتها؟ وما وجه الحصر فيها؟
قال: لا بد للبركة من مصدر تنطلق منه كالشعاع لا بد لـه من شمس تمد به.
قلت: هذا صحيح.
قال: ولا بد لشعاع الشمس من محل تنزل به.
قلت: وتلك هي الوسائط؟
قال: أجل.. وهي التي تتلقى نورها من المصدر، كمـا تتلقـون النور من القمر.
قلت: فهمت هذا، فما المواقيت؟
قال: لكل بركة مواقيتها الخاصة بها.
قلت: فالمحال؟
قـال: قـد توجـد جميـع أنـواع البركـات الـتي ذكرنـا.. ولكن المستقبل لا يكون صالحا لتقبلها، فلذلك لا ينال من خيرها.
قلت: فهمت هذا، فأين أتعلم هذه العلوم؟
قـال: سـر في هـذا المركـز، فسـتلقى المتوسـمين الـذي يعلمونك.
قلت: ألا تسير معي؟
قال: سأرجع إليك عندما تنتهي لنذهب إلى سائر المراكز.
قلت: فكيف أطلبك؟

1) أبو داواد والترمذي والحاكم عن ابن عباس.

قال: لن تحتاج إلى ذلك..

مصدر البركة

سرت في أرجاء القاعة المكتظة بالمتوسمين، فوجدت قوما يجلسون إلى رجل قد علق خلفه لوحة كتب عليها قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن: 78)، فقلت: لا شك أن هذا هو متوسم المصدر.

قال ـ من غير أن يسمعني ـ: أجل.. فالبركة من الله.. والخير من الله.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف:26)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:57)، وقال تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(الزمر:6)

قلت: بلى.. فما في هذا من أسرار البركة؟

قال: لقد أخبر تعالى أن ما ينزل من السماء ينزل مباركا.. ألم تسمع قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأنعام: 155)، وقال تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾(الانبياء: 50)، وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾(المؤمنون: 29)، وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(ص: 29)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾(الدخان: 3)

وقال تعالى يذكر سر البركة في المطر: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾(ق: 9)

بل إنه تعالى عندما ذكر الحديد، وذكر منافعه ـ التي هي بركاته ـ عبر عنها بالإنزال، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾(الحديد: 25)

وعندما ذكر اللباس ومنافعه عبر عنها بالإنزال، فقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(لأعراف:26)

قلت: فهمت هذا.. وهذا يعني أن البركة في كل هذه الأشياء،

ولكن إشكالا عظيما يطرح هنا.

قال: تقصد أن هذه الأمور ينالها الكـافر والمـؤمن، والصـديق والشقي..

قلت: أجل.. ولم تعـدو مـا في نفسـي.. ولا عجب، فـأنت من المتوسمين.

قال: هم ينالونها كما ينالها المؤمنون.. ولكنهم ينالونها مجردة من البركة.. أو هي كما قال معلمنا: تدخل أجوافهم ميتـة لا حـراك لها.. بل قد تدخلها حية تصارعهم وتسيمهم ألوان العذاب.

قلت: لا يزال فهمي كليلا دون إدارك سر هذا.

قال: ألم تسمع قولـه ﷺ:(لا تلحفـوا في المسـألة، فواللـه لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شـيئاً وأنـا لـه كـاره فيبارك له فيما أعطيته)(1)، فقد أخبر ﷺ أنـه يعطيـه ولكنـه عطـاء ممحوق البركة.. وما كان كذلك كان ضرره أقرب من نفعه.

قلت: لقد ذكرتـني بمـا روي في الحـديث أن فـتى من أسـلم قال: يا رَسُولَ اللَّهِ إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز بـه؟ فقـال ﷺ:(ائت فلاناً، فإنه قد كان تجهز فمرض)، فأتاه فقال:(إن رَسُول اللَّهِ ﷺ يقرئك السلام، ويقول:(أعطني الـذي تجهـزت بـه)، فقـال الرجل مخاطبا أهله:(يا فلانة أعطيه الذي تجهزت بـه، ولا تحبسـي منه شيئاً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه)(2)

قال: فقد أدرك هذا الصحابي الجليل سر البركة.. فلـذلك راح ينفر من الأشياء الممحوقة.

قلت: وهـذا يـدل على أن رسـول اللـه ﷺ علمهم من أسـرار البركة ما جعلهم يلتمسون مواضعها.

قال: أجل.. ويدل لذلك ما ورد في الحـديث من قولـه ﷺ:(إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيـه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشـبع؛ واليد العليا خير من اليد السفلى)(3)

قلت: عرفت هذا، واقتنعت به، وقد سمعت من معلم البركـة ما جعلني أبحث عن عناصر البركـة ومركباتهـا.. فـأي بلسـم رأيتـه أيتها المتوسم يملأ الأشياء بالبركة؟

قال: أليس الله هو مصدر البركة؟

قلت: بلى.. وقد رأينا من النصوص ما يدل على ذلك.

قـال: ولكن قومـك يبحثـون عن البركـة عنـد المشـعوذين

1) مسلم.
2) مسلم.
3) البخاري ومسلم.

والدجالين.. حتى انحرف مفهوم البركة، وأصبح نوعـا من الـدجل.. أو نوعا من الصكوك كتلك الصكوك التي كان رجال الدين يبيعونها.

قلت: أجل.. هذا صحيح..فلماذا تركوا مصدر البركة؟

قـال: لأمـرين: أمـا أحـدهما، فهم يـنزهون اللـه في نفوسـهم تنزيها يجعله بمنأى عن العالم أو معزولا عن العالم، وذلك يسـلمهم إلى الثاني، وهو تصورهم استحالة الوصول إلى ما في يـد اللـه من بركـــات.. أو أن ذلـــك لا يكـــون إلا بعـــد المـــرور على وســـائط المشعوذين.

قلت: هذا صحيح.. فكيف نتقي الأمر الأول؟

قال: بفهم قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَى عَبْـدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً (الفرقان: 1)، وقوله: تَبَـارَكَ الَّذِي إِنْ شَـاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْـراً مِنْ ذَلِـكَ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ وَيَجْعَـلْ لَـكَ قُصُـوراً (الفرقـان: 10)، وقوله: تَبَـارَكَ الَّذِي جَعَـلَ فِي السَّـمَاءِ بُرُوجـاً وَجَعَـلَ فِيهَـا سِـرَاجاً وَقَمَـراً مُنِيراً(الفرقـان: 61)، وقوله: وَتَبَارَكَ الَّذِي لَـهُ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا وَعِنْـدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (الزخرف:85)

قلت: هذه آيات كثيرة، ولكل منها تفسيره الخاص.

قال: ولكنها تتفق جميعا في تقرير معنى واحـد.. معـنى بركـة الله.. فلذلك من اتصل بالله نال من بركاته مـا لا ينالـه عنـد جميـع أولياء الدنيا وصالحيها.

قلت: كيف ذلك؟

قـال: ألا يبحث النـاس عن الأوليـاء والصـالحين لينـالوا منهم بركاتهم؟

قلت: بلى..

قال: فلو علموا أن موزع البركات حاضـر لا يغيب.. وكـريم لا يبخل.. وعدل لا يظلم.. ورحيم لا يقسو.. أكـانوا يتركونـه، ويبحثـون عن الوسائط؟

قلت: لا.. وغبي من يفعل هذا.. كيف يـترك القـريب، ويقصـد البعيد.. وكيف يبمم وجهه للضعيف، وفي إمكانه الاتصـال بـالقوي.. ولكن الناس يرون الوسائط ولا يرون الله.. ألم يقل الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(الأنعام:103)

قال: بلى.. ولكنه لا يشترط أن تراه ببصرك حتى تنال خيره.. فأنت تنال خيره دون أن تراه.

قلت: صحيح هذا.. فكيف أتصل به لأنال بركات فضله؟

قال: ألم تسمع قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُـرَى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف:96)

قلت: الإيمان والتقوى.

قال: أجل.. فالإيمان يعرفك به.. والتقوى تحجزك عن معصيته وتقربك إلى طاعته.

قلت: وهل البركة محصورة في هؤلاء؟

قال: أجل.. وهذا بنص القرآن الكريم.. فلا تنال البركة إلا المباركين.

قلت: فهل تطبق لي هذا المعنى على ما ذكره معلم البركة من حياة الأشياء؟

قال: ذلك سهل.. فالغذاء إن حل في جوف المؤمن حل سعيدا مسرورا، فيملأ جوفه وخلاياه بالبركات، ولكنه إن حل في جوف الشقي حل تصحبه اللعنات.. فلا يبارك له فيه.

قلت: ما هذا؟.. إن ادعاء مثل هذا يحتاج إلى مصادر معصومة.. فهل حدثت الأشياء أو حدثتك؟

قال: لقد ورد في النصوص ما يقرر هذه الحقيقة تقريرا يلبسها ثوبها اليقين.. ألم تشفق الذراع المسمومة على رسول الله ﷺ، فتخبره عن سميتها(1)..

قلت: بلى..

قال: ألم يحن الجذع لفقد رسول الله ﷺ، فلم يسكن حتى ضمه ﷺ ؟

قلت: بلى، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى لزق جذع فأتاه رجل رومي، فقال أصنع لك منبرا تخطب عليه، فصنع له منبرا، فلما قام عليه النبي ﷺ يخطب حن الجذع حنين الناقة إلى ولدها، فنزل إليه رسول الله ﷺ فضمه إليه، فسكن فأمر به أن يحفر له ويدفن (2).

قال: ألم يكن ﷺ يبادل هذه الأشياء مشاعرها، فكان يقول عن أحد: (هذا جبل يحبنا ونحبه)(3)

قلت: بلى.. وقد كان يخاطبه كما يخاطب الأحياء.

قال: إن قدرة الجبل على مبادلة النبي ﷺ لمشاعره يرفعه إلى مستويات أعلى من مستوى الإنسان المستعلي الجاهل المستكبر.

قلت: فهمت كل هذا.. ولكني لم أفهم سر عداوة الغذاء الذي

---

1) انظر: شعب الإيمان: 1/160.
2) الترمذي.
3) البخاري ومسلم.

يتناوله الجاحد لمن تناوله.

قال: ألم تسمع قوله تعالى، وهو يبين أثر شـرك المشـركين، فقـال تعـالى: تَكَـادُ السَّـمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْـهُ وَتَنْشَـقُّ الْأَرْضُ وَتَخِـرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً(مريم: 90 ـ91)

قلت: بلى.. وقد ذكر العلماء ـ انطلاقـا من هـذه الآيـة ــ الأثـر الشديد الذي خلفه الشرك في الأشياء، فذكر عن بعضهم أنه قـال: (إن الله تعالى لما خلق الأرض وخلق ما فيهـا من الشـجر لم تـك في الأرض شجرة يأتيها بنـو آدم إلا أصـابوا منهـا منفعـة وكـان لهم منها منفعة فلم تزل الأرض والشجر كـذلك حـتى تكلم فجـرة بـني آدم تلك الكلمة العظيمة وهي قولهم: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً (مريم: 88)، فلما قالوها اقشعرت الأرض وشاك الشجر)

قال: لقد كان ابن عباس يرجع ما في الأرض من الأذى بسبب هذا قال: (اقشعرت الجبال وما فيها من الأشجار والبحار وما فيهـا من الحيتـان فصـار من ذلـك الشـوك في الحيتـان وفي الأشـجار الشوك)(1)

قلت: ولكن هذا النص قد يكون منسـوبا لابن عبـاس، فكيـف تستدل به؟

قال: أنـا لا أجـزم بهـذا النص.. ولكـني أقـول لـك: إن الصـور والخصائص التي نراهـا للأشـياء لهـا علاقـة كبـيرة بانفعالاتهـا الـتي يسببها سلوكنا، ولذلك قد نستلذ طعوما أو مناظر في بعض الأيـام، ثم نستقبحها أياما أخرى، وقد نعزو ذلك إلى نفوسـنا فقـط ونعـزل الكون من هذا الأثر المتناقض للأشياء(2).

قلت: أللأشياء تأثيرها في الفرح والكآبة التي تصيبنا؟

قال: أجل.. وقد ورد في الآثار مـا يـدل على سـرور الأشـياء، والذي قد يسري إلى الناظرين ليشعرهم بـالأنس والسـعادة، فقـد روي أن الجبل يفخر إن مر عليـه ذاكـر للـه تعـالى، ففي الأثـر عن ابن مسعود:(إن الجبل ليقول للجبل: هل مرَّ بك اليوم ذاكـر للـه؟ فإن قال: نعم، سُرَّ به)، ثم قرأ عبد الله قوله تعالى: وَقَـالُوا اتَّخَـذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُـلٌّ لَـهُ قَـانِتُونَ (البقرة:116)قال:(أفتراهن يسمعن الزور ولايسمعن الخير)(3)

---

1) القرطبي: 11/158.

2) ومما قـد يـدل على هـذا مـا ذكـره بعض الأسـاتذة في علم الجزيئـات المكونـه للأجسام أنه عند ذكر البسمله على الكوب المملوء بالماء فإن بلورات المـاء تتشـكل في أروع وأجمل أشكالها، وعندما يذكر أي كلام بذيء تتشكل في مجموعات بشـعة الشـكل، فانظر لاستجابة كل شيء وصلاح حاله بذكر الله عز وجل.

3) ابن أبي شيبة.

وفي أثر آخـر:(مـا من صـباح ولا رواح إلا تنـادي بقـاع الأرض بعضها بعضا، يا جاره هل مر بك اليوم عبد فصلى للـه أو ذكـر اللـه عليـك، فمن قائلـة لا، ومن قائلـة نعم، فـإذا قـالت: نعم، رأت لهـا بذلك فضلا عليها)

قلت: أدركت هـذا.. ولكن هـذا مرتبـط بالحيـاة عمومـا، وأنـا أسأل عن أشياء ملموسة لها تأثيرها في البركة.

قال: اسم الله..

قلت: اسم الله!؟

قال: أجل.. فاسم الله الذي يتلفظه القلب المـؤمن هـو سـر البركـة.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿تَبَـارَكَ اسْـمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(الرحمن: 78)، فقـد نسـب البركـة للاسـم.. بـل ورد في النصوص ما يصرح بهذا، فقد قـال ﷺ:(اللهم إني أسـألك باسـمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الـذي إذا دعيت بـه أجبت، وإذا سألت به أعطيت، وإذا اسـترحمت بـه رحمت، وإذا اسـتفرجت بـه فرجت)(1)

قلت: ألهذا ورد في النصوص الحث على تسمية الله في كـل شيء؟

قال: أجل.. وقد ورد في الحديث ما يقرر كل ما ذكرناه، فقـد قال ﷺ:(كل طعام لا يذكر اسم الله تعالى عليه فإنمـا هـو داء، ولا بركة فيه، وكفارة ذلك إن كانت المائدة موضوعة أن تسمى وتعيـد يدك، وإن كانت قد رفعت أن تسمى الله وتلعق أصابعك)(2)، وقال ﷺ:(أذيبوا طعامكم بـذكر اللـه والصـلاة، ولا تنـاموا عليـه، فتقسـو قلوبكم)(3)

قلت: إن هذا الحديث يربط بين ذكـر اللـه في الطعـام، وبين الداء.. أيمكن أن تحل بنا الأدواء بسبب الغفلة عن ذكر الله؟

قال: أجل.. ألم يقل ﷺ: (ما اجتمع قوم في مجلس فتفرقـوا ولم يذكروا الله ولم يصـلوا على النـبي ﷺ إلا كـان مجلسـهم تـرة عليهم يوم القيامة)(4).. ألم يقل ﷺ:(ما اجتمـع قـوم فتفرقـوا عن غير ذكر الله، إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان ذلـك المجلس عليهم حسرة)(5)؟

قال: وهكذا.. إذا أكلوا طعاما لم يذكروا اللـه فيـه كـان عليهم

---

1) ابن ماجة.
2) ابن عساكر.
3) الطبراني في الأوسط، وابن عدي وابن السنى وأبو نعيم في الطب، والبيهقي.
4) أحمد وابن حيان.
5) أحمد.

حسرة ونقصا وظلمة.
قلت: فقد عرفت إذن من أسرار البركة سر بركة اسم الله.
قال: ليس اسم الله فقط.. بل اسم الله.. وكلام الله.. فلذلك أعلم المرضى والأصحاء كيف يسمون الله.
قلت: أللتسمية أصول؟
قال: نعم.. لها روح وجسد.
قلت: فما جسدها؟
قال: أنتم تتقنونه.. فأنتم لا تنسوها في أكلكم وشربكم، بل في لهوكم وعبثكم.
قلت: وروحها.
قال: استشعار حضور الله.. وتناول الأشياء من يد الله..
أتدري سر قوله تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:121)
قلت: هذه الآية تنهى عن أكل ما لم يسم عليه الله تعالى من الحيوانات.
قال: لأن ذلك هو أدب الذبح.. فمن ذبح لتصوره أنه يحق له أن يتمتع بلحمها كان قاتلا.. فلا فرق بين أن تقتل إنسانا أو حيوانا.. ولكن إن ذبحتها.. وقلت لها، وأنت تذبحها: اعذرني أيتها البهيمة.. فلولا أن الله تعالى أذن لي بذبحك ما ذبحتك، فإنما أذبحك باسم الله.
قلت: فما تقول البهيمة حينئذ؟
قال: تسلم وجهها لله.. كما سلمه إسماعيل ﷺ، وتقول: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾(الكهف: 69).. بل إنها ستمتلئ فرحا وسرورا، وتقول لك: هلم اذبحني باسم الله.. فإنه شرف عظيم لهذا الجسد أن يدفن في جسد من يعبد الله ويذكره.
قلت: فهل سمعت صوتها، وهي تخاطب الإنسان هذا الخطاب؟
قال: ألم يخبرك المعلم عن المتوسمين؟
قلت: فما سر سماعك؟
قال: لن تفهمه حتى تعرف سر (بنيان الله).. أنسيت أنك لا تزال في مدرسة السلام الابتدائية.

وسائط البركة

لم أبتعد قليلا عن المتوسم الأول، حتى ناداني أحد المتوسمين، وقال: تعال.. فإن لي أخبارا أريد أن أسر بها إليك.

قلت: أهناك أسرار في مدائن السلام؟

قال: من الحقائق ما لا يمكن للكل سماعه، فلذلك نحتاج إلى إسراره لمن يحتاج إليه.

قلت: لا أعلم إلا أن العلم ينبغي أن ينشر.. ولم أسمع إلا أن رسول الله ﷺ قال:(من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)(1)..

قال: سمعت هذا.. فاسمع قوله ﷺ:(كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)(2).. واسمع قول علي، وقد أشار إلى صدره: (إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة).. واسمع قول عيسى عليه السلام:(لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، فإن الحكمة خير من الجوهر، ومن كرهها فهو شر من الخنازير).. وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب، فذكر له السائل الحديث الذي ذكرت لي، فقال له:(اترك اللجام، واذهب، فإن جاء من يفقه وكتمته، فليلجمني، فقد قال الله تعالى: وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً (النساء: 5) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى)

ثم ولى مغضبا، وهو يقول: ماذا تريد مني:

أأنثرُ دراً بين سارحةِ الـ ... وأنظمُ منثوراً

لعمري لئن ضيعتُ ... فَلَسْتُ مُضَيعاً

لَئِنْ سَهَّل اللّه العَزِيزُ ... وصادفتُ أهلاً

بَثَثْتُ مُفيداً ... وإلاّض فمكنونٌ

وَمَنْ مَنَحَ الجهّالَ ... وَمَنْ مَنَعَ

قلت: رويدك.. فقد أحسنت بي الظن.. وما أنا بتاركك حتى تخبرني بما أردت إخباري به على أن تذكر لي سر الإسرار.

قال: لقد رأيتك اقتنعت بما قال أخي المتوسم، فخشيت أن يسوء فهمك، فتنكر الواسطة.

قلت: لم تعدو ما في نفسي.. فقد أنكرت الواسطة إنكارا كليا.

قال: فلا تفعل.. فقد جات النصوص تأمر باتخاذ الوسائل

1) الحاكم والخطيب.
2) أبو داود والحاكم.

والوسائط.. فلا ينبغي أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض.

قلت: ولكن لماذا تسر لي هذا.. وقد رأيت أخاك المتوسم ينشر علمه على الملأ؟

قال: أما أنا فلا أصطاد بعلمي إلا الأفراد ممن يمتلئون قناعة بما قال.

قلت: فلم لا تنشره عزيزا.. أم أنك من هواة الصيد؟

قال: لا.. بل إن وظيفتي تستدعي الصيد.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأني لو بثثت علمي لمن لم يتحقق بالتوحيد خشيت عليه أن يغرق في الوسائط، ويغفل عن رب الوسائط.

قلت: لست أدري مدى صحة هذا التورع.

قال: هذا ليس تورعا.. بل هذه السنة.

قلت: كيف تكون سنة بلا دليل؟

قال: بل لها دليلها.. ألم تسمع حديث معاذ عندما قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار فقال: (يا معاذ، هل تدري ما حق اللّه على عباده وما حق العباد على اللّه؟)، قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال:(فإن حق اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على اللّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)فقلت: يا رَسُول اللّهِ، أفلا أبشر الناس؟ قال:(لا تبشرهم فيتكلوا)(1)

قلت: بارك الله فيك.. فقد فهمت هذا.. فلنعد الآن إلى السر الذي أردت إخباري به، واسرر بسرك ما أطقت، فإن للجدران آذانا.

بركات الأولياء:

قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(يقول تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبنه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد منه)

قلت: هذا الحديث ينص على أن العبد إذا أخلص الطاعة لله صارت أفعاله كلها للّه تعالى، فلا يسمع إلا للّه، ولا يبصر إلا للّه أي ما شرعه اللّه له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة اللّه عزَّ وجلَّ

1) البخاري ومسلم.

مستعيناً باللّه في ذلك كله، ولهذا جاء في بعض رواية الحديث: (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)

قال: صدقت.. وقد فهمت هذا الحديث فهما صحيحا.

قلت: فهمته، ولكني لم أفهم سر ذكره هنا.

قال: هؤلاء العباد الربانيون الذين يسمعون بالله ويبصرون بالله يصيرون في ذواتهم مباركين، فلذلك يكونون من وسائط البركة.. فهم الأقمار التي تستقبل أنوار البركة الإلهية.. ألم تسمع قولهِ تعالى في حق المسيح عليه السلام وعلى لسانه: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾(مريم:31)، وقوله في حق ذرية إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (الصافات:113)

قلت: نعم.. وقد كان ﷺ البركة عينها.. وقد ذكرت حليمة السعدية خبر البركة التي نزلت عليها وعلى قومها منذ أخذت رسول الله ﷺ لترضعه، فقالت ضمن حديث طويل:(فلما أخذته، رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة.

وقال صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة ؛ قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! اربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي ؛ فيقلن: والله إن لها لشأنا.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعا لُبَّنا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم سرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لبنا.. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته)[1]

قال: وهكذا المقربون والصالحون يغيث الله بهم البلاد

1) سيرة ابن هشام: (1/ 301)

والعباد..، وقد روي عن بعض الصحابة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رَسُول اللَّهِ لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا؟ فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(افعلوا)، فقيل له: يا رَسُول اللَّهِ إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع اللَّه لهم عليها بالبركة لعل اللَّه أن يجعل في ذلك البركة، فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(نعم)، فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رَسُول اللَّهِ ﷺ بالبركة، ثم قال:(خذوا في أوعيتكم)، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة. فقال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رَسُول اللَّهِ لا يلقى اللَّه بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة)(1)

قلت: ما شاء الله.. لقد حل ﷺ مشكلة تموين الجيش بالبركة.. فلماذا نخاف على أرزاقنا ما دام الأمر بهذه البساطة.

قال: أنتم تخافون على أرزاقكم لأنكم عزلتم الله عن التصريف في الكون.. ثم حاولتم أن تدبروا كل شيء بعقولكم العاجزة، فسقطتم في الشباك التي نصبتها لكم أنفسكم من حيث لم تشعروا.

قلت: إن كلامك هذا يدل على أن الباحث عن البركة يحتاج إلى البحث عن أهلها المباركين ليصيبه من بركتهم.

قال: أجل.. ألستم تبحثون عن الأطباء المهرة، وترحلون لأجلهم إلى بلاد الله الواسعة، وتنفقون الأموال العريضة؟

قلت: بلى.. ولعلنا نفعل أكثر مما ذكرت.

قال: فلا تغفلوا عن فعل ما هو دون ذلك بكثير.. وهو البحث عن أهل الله المباركين ليصيبكم من دعائهم وبركتهم ما يرفع بلاءكم، ويملأكم بالبركات.

قلت: ولكن الله تعالى أمرنا بتوحيد وجهة القلوب له، فقال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (البقرة:186)، وقد روي أن رجلاً قال له:(إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك)، فسبح رسول الله ﷺ، حتى رؤى ذلك في وجوه أصحابه، وقال:(ويحك أتدرى ما الله،إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك)(2)

---

1) مسلم.
2) أبو داود وغيره.

وقد أخبر تعالى عن قول يعقوب عليه السلام قوله: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:86)

ولهذا كان ﷺ يحض أمته على إفراد الله بالمسألة، كما قال ﷺ لابن عباس:(إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)، وكان ﷺ يخطب، ويقول:(أيها الناس، والله مهما يكون عندنا من خير فلن ندخره عنكم، وإنه من يستغن يغنه الله، ومن يستعف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)

قال: أجل.. كل ما ذكرته صحيح.. ولذلك تراني لا أصطاد إلا من قال مثل ما قلت، أو اقتنع بمثل ما اقتنعت.. ولكني أضيف إلى ذلك التماس أهل الخير لينال من بركاتهم.. وليس في ذلك أي شرك أو انحراف.

بركات البسطاء:

قال: بلى.. ولكن النصوص مع ذلك وردت بالبحث عن التماس أهل البركات التماسا لما جعله الله فيهم ممن الخير، ألم تسمع حديث أويس؟

قلت: ومن أويس؟

قال: ألا تعرف أويس؟

قلت: فعلمني من علمه ما علمك الله.

قال: هذا رجل صالح، وهو من سادات التابعين، وقد أخبر عنه ﷺ، ودعا الصحابة إلى البحث عنه طلبا لاستغفاره.

قلت: أهذا في السنة؟

قال: أجل..فقد قال ﷺ:(يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)(1)

قلت: هذا حديث عظيم..

قال: وفيه فوائد عظيمة وأصول نافعة في هذا الباب.

قلت: فاذكر لي منها ما أنتفع به.

قال: هو يشير إلى نوعية هؤلاء المباركين الذين ينتفع بهم الناس.

قلت: تقصد أن أويسا يمثل هذه النوعية.

قال: أجل.. فأويس كان إنسانا بسيطا متواضعا مخلصا.

قلت: بل روي أنه لما قصده الناس فر على وجهه هاربا

---

1) مسلم.

منهم.. ولم ينشر أي إعلان عن البشارة التي بشره بها رسول الله ﷺ.. ولم يتخذ ما بشره به ﷺ شبكة يصطاد بها أموال المسلمين.

قال: ولم يفتح عيادة يبصق فيها في أفواه الناس.. أو يطعمهم من خبزه ليبتز ما في جيوبهم.

قلت: لكأني بك تعرض لشيء.

قال: أجل.. أعرض بقومك الذين اتخذوا بعض الناس وسائط بينهم وبين الله، فأجلسوهم على العروش، وراحوا يتقربون إليهم ناسين الله وغافلين عنه.

قلت: هم أحسنوا الظن بهم.. ولعلهم انتفعوا بهم.

قال: لا.. الولي هو الزاهد العفيف.. ألم تسمع قوله ﷺ:(ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على اللَّه لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل(1) جواظ(2) مستكبر)(3).. ألم تسمع قوله ﷺ:(رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)(4)

قلت: بلى.. وقد ورد في روايات أخرى ما يؤكد هذا المعنى، فقد قال ﷺ:(رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره)(5)

قال: وفي حديث آخر يبين سر الإخلاص الذي تحلى به أويس، فقال:(أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاته وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله عز وجل، وأحسن عبادة ربه، وكان غامضا في الناس، عجلت منيته وقل تراثه، وقلت بواكيه)(6)

قلت: فهؤلاء الذين تلتمس بركاتهم؟

قال: أجل.. ألم يخبر ﷺ أن الله تعالى يبر قسمهم.. أي يستجيب لهم إذا أقسموا عليه.

قلت: بلى.. وقد صرحت بذلك النصوص.

قال: فالبركات تلتمس عند هؤلاء البسطاء.. لا عند منتفخي البطون والجيوب الذين يدعون لأنفسهم، ويغفلون عن الدعوة لله.

قلت: فكيف تلتمس عند هؤلاء؟.. وأين نجدهم؟

قال: في غمار الناس تجدونهم.. ألم تسمع حديث أبي عبد

---

1) الغليظ الجافي.
2) هو الجموع المنوع. وقيل: الضخم المختال في مشيته. وقيل: القصير البطين.
3) البخاري ومسلم.
4) أحمد ومسلم.
5) الحاكم وأبو نعيم.
6) أحمد والترمذي والبيهقي.

الله أحمد بن يحيى الجلاء عندما قال: سمعت أبي يقول: كنت عند معروف في مجلسه فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا محفوظ رأيت في هذه الليلة عجبا، قال: وما رأيت رحمك الله؟ قال: اشتهي علي أهلي سمكا فذهبت إلى السوق فاشتريت لهم سمكة وحملتها مع حمال، فمشي معي فلما سمعنا آذان الظهر، قال الحمال:(يا عم هل لك أن نصلي)، فكأنه أيقظني من غفلة فقلت له:(نعم نصلي)

فوضع الطبق والسمكة عليه على مستراح، ودخل المسجد، فقلت في نفسي:(الغلام قد جاد بالطبق أجود أنا أيضا بالسمكة)، فلم يزل يركع حتى أقيمت الصلاة، فصلينا جماعة وركع بعد الصلاة وخرجنا، فإذا الطبق على حاله موضوع، فجئت إلى البيت، وحدثت أهلي بهذا، فقالوا لي: قل له يأكل معنا من هذا السمك، فقلت له: تأكل معنا من هذا السمك، فقال: أنا صائم فقلت له: فأفطر عندنا، قال: نعم أروني طريق المسجد فأريته، فدخل المسجد وجلس إلى أن صلينا المغرب.

فجئت إليه وقلت له: تقوم رحمك الله، فقال: أو نصلي عشاء الآخرة فقلت في نفسي: هذه ثانية، يريد أن فيه خيرا، فلما صلينا عدت به إلى منزلي ولنا ثلاث أبيات: بيت فيه أنا وأهلي، وبيت فيه صبية مقعدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة، وبيت كان فيه ضيفنا.

فبينا أنا مع أهلي إذ دق داق الباب في آخر الليل، فقلت: من يدق الباب فقالت: أنا فلانة، فقلت: فلانة قطعة لحم مطروحة في البيت كيف يستوي لها أن تمشي، فقالت: أنا هي، افتحوا لي، ففتحنا لها، فإذا هي، فقلت: أي شيء الخبر، فقالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير، فوقع في نفسي أن أتوسل إلى الله عز وجل به، فقلت:(اللهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلا أطلقت أسري، فاستويت وقمت وأنا في عافية كما تروني)

فقمت إليه أطلبه في البيت، فإذا البيت خال ليس فيه أحد، فجئت إلى الباب فوجدته مغلقا بحاله، فقال معروف:(نعم.. فيهم صغار وكبار)، يعني الأولياء.

قلت: أيمكن أن نعالج أنفسنا بمثل هذا السلوك؟

قال: إن كنتم مؤمنين، فعالجوا أنفسكم به، فهو أقل تكلفة من كثير من الأدوية التي تشترونها.

قلت: ولكن السنة أمرتنا بالتداوي.

قال: وقد أمرتنا بهذا الدواء.. ألم تسمع قوله ﷺ:(داووا

مرضاكم بالصدقة)، وفي حديث آخر:(ما عولج مريض بأفضل من الصدقة)(1)

قلت: لقد ذكر النبي ﷺ علاج المرضى بالصدقة.. فما علاقة ذلك بهذا.

قال: إن لم يدع لك لسان الفقير دعا لك قلبه، فإن جحد قلبه دعت لك الملائكة، فإن لم يدع لك أحد، فالله شاكر حليم، يعطيك ما عجز الكل عن إعطائه لك.

قلت: فهل تعالجون في هذا المستشفى بهذا العلاج.. فإني لم أر من يعالج به.

قال: نحن في هذا المستشفى نعالج بكل علاج.. فقد أخبرنا ﷺ بوجود الدواء، فنحن لا نقصر في البحث عنه.. أما ما ذكرت من عدم علمك بمن عالج به.. فذلك لغفلتك وغفلة قومك عن هذا الترياق العجيب، ولا يضر الدواء عدم تناول المريض له.. ولا يضر الشمس عدم اهتمام الكفيف بها.

قلت: فهل عالج الصالحون بمثل هذا؟

قال: الصالحون عالجوا بكل الأدوية.. وهذا منها .. وقد روي أن رجلا كان به قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فسأل بعض الصالحين عنها، فقال:(اذهب فاحفر بئراً في مكان الناس بحاجة إلى الماء فإني أرجوا أن ينبع هناك عينً ويمسك عنك الدم)، ففعل الرجل فبرأ.

فهكذا يفعل الصالحون والربانيون، فأنبئني لو أن هذا الرجل جاء لقومك من الرقاة، بماذا سيشيرون عليه؟

قلت: يخبرونه ـ بعد رقية التشخيص ــ بأن الشيطان ركضه ركضة يحتاج معها إلى التجول على الرقاة جميعا ليجد من يحرق له شيطانه، وقد يموت قبل ذلك.

قال: وسأزيدك أخرى لترى منهج الصالحين في التسليم للنصوص المقدسة، قال بعضهم: مرضت مرضا خطرا، فرآني جار لي صالح، فقال استعمل قول رسول الله ﷺ:(داووا مرضاكم بالصدقة)، وكان الوقت ضيقا، فاشتريت بطيخا كثيرا، واجتمع جماعة من الفقراء والصبيان، فأكلوا ورفعوا أيديهم إلى الله عز وجل، ودعوا لي بالشفاء، فوالله ما أصبحت إلا وأنا في كل عافية من الله تبارك وتعالى)

قلت: تلك أزمنة الصالحين.

---

1) الديلمي.

فقال: كل الأزمة أزمنة الصالحين، ولا زمان للصالحين..

قلت: فهمت كل هذا ووعيته، وقد أدركت سر أمره تعالى بالدعاء للمتصدقين، كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة:103)

قال: ولهذا كان من سنة السلف الصالح الدعاء للمتصدقين.

قلت: أيدخل في هذا الدعاء لمن أطعم الطعام؟

قال: أجل.. فإطعام الطعام من الإحسان، وقد كان ﷺ إذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم، فدعا فى منزل بعضهم، فقال:(اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم)(1)

وروي أنه ﷺ دخل منزله ليلة، فالتمس طعاما فلم يجده، فقال:(اللهم أطعم من أطعمنى، واسق من سقانى)

وقد دعا لمن سقاه لبنا فقال:(اللهم أمتعه بشبابه)، فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء.

وكان يدعو لمن يضيف المساكين، ويثنى عليهم، فقال مرة: (ألا رجل يضيف هذا رحمه الله)

قلت: ودعا فى منزل سعد بن عبادة، فقال:(أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة)

قال: ولما دعاه بعض الناس هو وأصحابه فأكلوا، فلما فرغوا قال ﷺ:(أثيبوا أخاكم)، قالوا: يا رسول الله ؛ وما إثابته؟ قال:(إن الرجل إذا دخل بيته، فأكل طعامه، وشرب شرابه، فدعوا له، فذلك إثابته)

بركات الملائكة

قلت: عرفنا وسائط البشر، فهل من بركات الله ما يمكن أن نلتمسه من غيرهم؟

قال: ألا تعرف حديث الأبرص والأقرع والأعمى؟

قلت: بلى.. أولئك النفر الذين قال فيهم النبي ﷺ:(إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا. فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر. (شك الراوي)، فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن

---

1) مسلم.

ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملا قال بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا. فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم)(1)

قال: هذا الحديث يدل على آثار البركات ومصدر من مصادرها.

قلت: أتقصد الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؟

قال: أجل.. لقد أخبر ﷺ أن الله تعالى ابتلى هؤلاء بهذا الملاك.. ولم يخبر أن هذا خاص بهم.

قلت: أفي إمكان أي أحد منا أن يحصل له ما حصل لهؤلاء؟

قال: وأي حرج في ذلك.. ولكن لا بنفس الصورة.. فقد يظهر له الملاك في أي صورة من الصور.

قلت: ولكن الملائكة ــ عليهم الصلاة والسلام ــ يظهرون للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

قال: ولكن الصحابة رأوهم.

قال: ذلك في عهده ﷺ.

قال: ألم يقل ﷺ لحنظلة:(والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في فرشكم وفي طرقكم)(2)؟

قلت: أيمكن ـ إذن ـ أن نستفيد من دعوات الملائكة ــ عليهم الصلاة والسلام ـ؟

قال: أجل.. ألم يخبر الله تعالى عن دعاء الملائكة ــ عليهم الصلاة والسلام ـ للمؤمنين، فقال تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (غافر: 7)

قلت: بلى.. ولكن كيف نرى الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حتى نلتمس منهم هذه البركات؟

قال: لا حاجة لأن تراهم.. هم معك في كل حين لا بفارونك..

---

1) البخاري ومسلم.
2) مسلم.

إنما الشأن أن تستشعر وجـودهم وتحـترمهم.. وسـتراهم يسـعون في خيرك.

قلت: إن قومي ينكرون علي إن خاطبت الملائكـة أو تحـدثت عنهم بهذا الأسلوب.

قال: ولماذا يخاطبون الجن، ويخترقون أسوار عالمهم؟

قلت: لأنهم جن.

قال: الإيمان بالجن ليس من أركان الدين، والإيمان بالملائكـة ــ عليهم الصـلاة والسـلام ــ من أركانـه.. وكونـه من أركـان الـدين يستدعي صحبة خاصة لهم لعلاقتهم بالسلوك والتوجه إلى الله.

قلت: هم يزعمون الانتساب للسلف الصالح في هذا.

قال: من سلفهم في هذا.. هل الحجاج، أم زياد بن أبيه؟

قلت: الصحابة والتابعون ومن بعدهم.

قال: فأخبرهم أن الربيع بن خثيم كان إذا أصبح قـال:(مرحبـا بملائكة الله، اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)

وقد كان أبو بكر بن عياش لما كبر يأخذ إفطـاره، ثم يغمسـه في الماء في جر كـان لـه في بيت مظلم، ثم يقـول:(يـا ملائكـتي طالت صحبتي لكما، فإن كان لكما عندالله شفاعة فاشفعا لي)

محال البركة

ما ابتعدت قليلا عن المتسـوم الثـاني حـتى نـاداني المتوسـم الثالث، وقال: لقد عرفت وسائط البركـة، فتعـال معي لنبحث عن محالها.

قلت: فما محالها؟

قال: كثيرة جـدا.. فـالنبي ﷺ يقـول مثلا:(تحـول إلى الظـل، فإنـه مبـارك)(1)، وقـال:(ثلاث فيهن البركـة: الـبيع إلى أجـل، والمقارضة، وإخلاط البر بالشعير للبيت لا للـبيع)(2)، وقـال:(كيلـوا طعامكم يبارك لكم فيه)(3)

قلت: فقد أخبر ﷺ عن هيئات معينة تكون فيها البركة.

قـال: أجـل.. بـل أخبرنـا ﷺ عن مواضـع تـنزل البركـة من الطعام، فقد روي أنه كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغـراء يحملهـا أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتي بتلك القصعة (يعـني وقد ثرد فيها)، فالتفوا عليها، فلما كثروا جثـا رَسُـول اللَّهِ ﷺ فقـال

1) الحاكم.
2) ابن ماجة وابن عساكر.
3) البخاري.

أعرابي: ما هـذه الجلسـة؟ فقـال رَسُـول اللَّهِ ﷺ:(إن اللَّه جعلـني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً)، ثم قال رَسُول اللَّهِ ﷺ:(كلــوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيها)(1)

قلت: فقـد أخـبر ﷺ أن ذورة الطعـام تتـنزل عليـه البركـة، فلذلك أمر بالأكل من الجوانب.

قـال: أجـل.. وقـد صـرح ﷺ بـذلك في حـديث آخـر، فقـال: (البركـة تـنزل وسـط الطعـام، فكلـوا من حافتيـه ولا تـأكلوا من وسطه)(2)

قلت: وقـد أمـر ﷺ بلعـق الأصـابع والصـحفة وقـال:(إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة)(3)

قال: وأمر رسول اللـه ﷺ من سـقطت عنـه اللقمـة برفعهـا معللا ذلــك بطلب البركــة، فقــال ﷺ:(إذا وقعت لقمــة أحــدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذىً وليأكلها، ولا يدعها للشـيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حـتى يلعـق أصـابعه؛ فإنـه لا يـدري في أي طعامه البركة)(4)

قلت: وقد أمر ﷺ بسلت القصعة، وقال:(إنكم لا تــدرون في أي طعامكم البركة)(5)

قال: وعلى عكس ذلـك أخـبر ﷺ أن الأكـل من أشـياء معينـة تسلب البركة، فقـال ﷺ:(من شـرب في إنـاء من ذهب أو فضـة، فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم)(6)

قلت: وهل يدخل في هذا النهي عن الأكل بالشمال؟

قال: أجل.. فقد كان ﷺ يأمر بالأكل باليمين، وينهى عن الأكل بالشمال، ويقول:(إن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله)

قلت: ألا نفهم من هذا تحريم الأكل بالشمال؟

قال: بلى.. فالنص واضح.. فالآكل بشماله إمـا شـيطان، وإمـا مشبه به، بل إنه ﷺ اشتد على رجل كان عنده يأكل بشماله، فقال له:(كل بيمينك)، فقال: لا أستطيع، فقال:(لا استطعت)، فما رفـع يده إلى فيه بعدها، فلو كان ذلك جائزا، لما دعا عليه بفعله.

قلت: إن ما قلته يـدعونا لتجـريب الأطعمـة المختلفـة للبحث عن أسرار البركة فيها.

---

1) أبو داود بإسناد جيد.
2) أبو داود والترمذي.
3) مسلم.
4) مسلم.
5) مسلم.
6) البخاري ومسلم.

قال: أجل.. فقد قال ﷺ يشير إلى هذا:(إذا سقطت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، وليسلت أحدكم الصحفة، فإنكم لا تدرون في أي طعامكم تكون البركة)(1).. ولكن الأطعمة المباركة، لا الأطعمة الممحوقة.

قلت: أهناك أطعمة ممحوقة؟

قال: أجل.. إنها الأطعمة التي تتفننون في تخريبها في معاملكم لتبدلوا خلقتها.

قلت: لا.. نحن لا نبدل خلقتها، بل نسوغ نكهتها، ونحسن منظرها.

قال: وما أدراكم لعل سر بركتها في لونها أو طعمها، ألم يقل ﷺ:(ماذا في الأمرين من الشفاء: الثفاء والصبر)(2)، فقد وصفهما ﷺ بالمرارة، وهو يشير إلى ما تختزنه مرارتهما من العلاج.

وقال في الكباث(3):(عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه)(4)، فقد أشار ﷺ إلى لونه.

قلت: اضرب لي على هذا مثالا ـ يا معلم ـ فإني لا أكاد أفهم.

قال: سأضرب لك مثالا من العمران.. فإني أعلم شغفكم به.

قلت: نعم.. وسيكون مفهوما للعامة والخاصة.

قال: أرأيت لو أن خبيرا من الخبراء توصل إلى اختراع مادة توضع على مبانيكم، فتسحب كل ما فيها من إسمنت.

قلت: لم؟

قال: لعله يرى أن هذا الإسمنت مشوه للبنيان.. فلذلك رأى من الكمال نزعه منها.

قلت: ولكن هذا الخبير الغبي لا يدري ماذا يفعل.. إنه سيسقط كل عمران الدنيا على رؤوس أهلها.. فلا يمكن أن تقوم الخرسانة بلا إسمنت.

قال: وقومك يفعلون هذا مع الغذاء المبارك.. هم يستخصلون منه ما يشاءون من العناصر، فيهدمون أركانه، ثم يطلبون منه أن يحافظ على بركته.

قلت: اضرب لي على ذلك مثالا من الغذاء لا من البنيان.

قال: الأمثلة كثيرة.. وقد عرفت تشويههم للملح والسكر.. ولكني سأضرب لك مثالا مرتبطا بالبركة.. ماذا قال رسول الله ﷺ

---

1) أحمد ومسلم.
2) أبو داود في مراسليه والبيهقي.
3) الكباث، هو ثمر الأراك، وقد ذكر أطباء المسلمين أن منافعه كمنافع الأراك، فهو يقوي المعدة، ويجيد الهضم، ويجلو البلغم، وينفع من أوجاع الظهر، وكثير من الأدواء.
4) البخاري ومسلم.

عن اللبن؟

قلت: لقد وردت الأحاديث في فضل اللبن، ولهذا كان ﷺ يقول:(إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيرا منه، وإذا شرب لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن)(1)

قال: فقد اعتبر ﷺ اللبن غذاء يجزي عن الطعام والشراب.

قلت: هذا صحيح..

قال: ولكني أرى قومك يبيعون لبنا مشوها يكتبون عليه: (منزوع الزبدة)، ألم يسمعوا أن النبي ﷺ شرب لبناً، ثم دعا بماء فتمضمض وقال:(إن له دسماً)(2)، بل أمر بذلك، فقال:(مضمضوا من اللبن فإن له دسماً)(3)؟

قلت: ليتهم ـ يا معلم ـ يقتصرون على ذلك.. إنهم لا يقدمونه إلى الأفواه إلا بعد أن يذيقوه ألوان العذاب.. فهم يحولونه إلى غبار.. ثم يضعونه في علب، ثم يقطعون به البحار والفيافي، ليصل بعدها إلى الأفواه وقد خارت قواه.

قال: وليس ذلك فقط.. ألم يقل ﷺ:(عليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر)(4)

قلت: بلى..

قال: ولكنهم يحبسونها.. ثم يطعمونها ـ غصبا عنها ـ بفضلات الصناعة وسمومها.. ثم يقولون ــ إذا تضرروا ــ:إن الله سقانا(5) سما لا لبنا(6).

---

1) أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.
2) البخاري ومسلم.
3) أبو داود وابن ماجة.
4) أبو السنى وأبو نعيم.
5) فقد ذكر الله تعالى أنه يسقينا اللبن، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾(النحل:66)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(المؤمنون:21)

6) وكمثال على ذلك ما قامت به شركة مونسانتو Monsanto Chemical Co التي اشتهرت في السابق بإنتاج السموم الناقعات رفيعة المستوى مثل "دي دي تي"، ومبيد "الديوكسين"، فقد قامت بتمويل بحوث في الهندسة الوراثية بأكثر من نصف مليار دولار لاختراع حقنة لإجبار الأبقار على إنتاج حليب أكثر، ولسوء الحظ فقد نجح العلماء في إنتاج حقنة هرمونية تؤدي لزيادة إدرار اللبن في الأبقار على مدار العام، وقد يصل إنتاج البقرة الواحدة إلى 27 كيلو جراما من اللبن يوميا، ويؤدي ذلك إلى زيادة هرمون "آي جي إف-1"في الحليب بكميات تزيد عن 80% من المعدل الطبيعي.

ولقد تمكنت مافيا صناعة الألبان في الولايات المتحدة الأمريكية من إخفاء تقرير مهم يؤكد على خطورة هذه الحقنة وتأثيراتها الضارة على كل حيوانات الاختبار (تقرير ريتشارد، أوداجليا ودزليكس، 1989)، ولم يعرض هذا التقرير على إدارة الرئيس "كلينتون" ولا على إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية (إف دي آي)التي ما زالت تصر على

قلت: لقد ذكرتني ـ يا معلم ـ بما يفعلونه مع الدجاج والبيض.. فهم يحبسون الدجاج في أقفاص.. ثم يأمرونه بأن يوفر لهم من البيض ما يحتاجون إليه.. وعلى المزاج الذي يرضي جيوبهم.

قال: والأخطر من ذلك كله ما تسمونه بالهندسة الوراثية، فهي وإن استغلت في بعض الجوانب الإيجابية إلا أن شرهكم جعلكم لا تتوقفون عند حد.

قلت: أجل.. بل إن البشر اليوم يتوقون إلى هندسة وراثة الإنسان، ليحولوه إنسانا آخر.

قال: بل مسخا آخر.. وقد سمعت بعض مغروريكم يقول: (في غضون العشرين سنة المقبلة ستطرح في الأسواق مئات الأصناف المتطورة من (النواقل العصبية)التي تسمح بتنشيط الدماغ، وتحسين الأداء الفكري، وتعديل المشاعر والأحاسيس، بالكيفية التي تريد، وستظهر كذلك (أجهزة الراديوات الدماغية)القادرة على التقاط الموجات الكهربائية الصادرة عن الدماغ، وتعديل كيفيتها، بحيث يمكن تسريع عملية التفكير أو إبطائها، وهذه الأجهزة سوف تعيننا على التفكير بوضوح، وعلى التواصل فيما بيننا بصورة أفضل)(1)

قلت: ألا تعلم ــ يا معلم ــ أن البشر وضعوا خريطة جينة للبشر؟

قال: كان الله في عونكم..

قلت: إنها ستقلب تاريخ الطب رأسا على عقب، وسيعالج الإنسان انطلاقا من مورثاته.

أن هرمون "آي جي إف-1" يتحطم في المعدة! ولقد ثبت أن هذا الادعاء غير صحيح؛ لأنه من المعروف علميا أن معدل نمو الرضع يكون عاليا؛ نتيجة لوجود هذا الهرمون في اللبن، ووصوله لجميع خلايا الجسم، وأنه إذا تحطم هذا الهرمون في المعدة انعدمت فوائده.

ولتأكيد هذه الفرضية أجرى العلماء دراسة على مجموعتين من البشر: المجموعة الأولى تستهلك 12 أوقية من الحليب يوميا، والمجموعة الأخرى تستهلك 24 أوقية (ثلاثة أكواب)من نفس الحليب المصرح بتناوله من إدارة الأغذية والأدوية (إف دي آي). وأكدت التحليلات أن أفراد المجموعة الثانية تزيد لديهم نسبة هرمون "آي جي إف-1" (أكثر من 10% في مصل دمائهم)مقارنة بالمجموعة الأولى!.. من مقال بعنوان « شرب الحليب.. خطر يهدد صحتك! » لطارق قابيل، منشور بموقع:« إسلام اون لاين » بتاريخ 06/07/2002.

1) هو تيموتي ليري... ويذكر ريتشارد سيلزر بعض المجالات التي يمكن تسميتها إيجابية مع بعض التحفظ في مدى صحة ذلك، فيقول:« إن أهم التطورات التي ستفضي إليها البحوث في العشرين سنة المقبلة، ستكون بلا شك العقاقير المضادة للفيروسات، واللقاحات التي ستؤدي إلى انقراض الأمراض السارية من على وجه الأرض.. أما علم الهندسة الوراثية، فسوف يساعد في القضاء على العاهات الوراثية، التي ضربت المجتمعات منذ زمن بعيد.. يقيني أن التحكم بالتقنيات المختصة بمعاملة الموروثات البشرية ستخلف سلالات بشرية متفوقة، وأن هذه الحقيقة قد بدأت بشائرها اليوم »

قال: أنا أتشاءم كثيرا من اختراعاتكم واكتشافاتكم..
قلت: لم ـ يا معلم ـ ألم يأمرنا الله بالسير في الأرض للبحث فيها وتيسير حياتنا؟
قال: بلى.. ولكن السير المبارك يفتح البركات، والسير الممحوق يفتح اللعنات.
قلت: أهناك سير مبارك وسير ممحوق؟
قال: أجل..
قلت: كيف ذلك؟
قال: سمعت أن قومك يستغلون ما فتح الله عليهم من الهندسة الوراثية في وضع نسخ عن الإنسان.
قلت: نعم.. فنجاحهم في استنساخ الحيوان جعلهم يفكرون في استنساخ الإنسان.
قال: ألم أقل لك: إنكم في عصر الدجاجلة.. ولن تنجيكم منه إلا الفطرة.. الفطرة المباركة.
قلت: يا معلم.. فلنعد للبركة.. لقد عرفت أن الغذاء قد يحوي عناصر مباركة فيثمر في نفس آكله الصحة والعافية والقوة.
قال: نعم.. هذا صحيح.
قلت: والأصل في هذا أن هذا الطعام الذي يحوي هذه العناصر المباركة يستفيد منه الجميع.. لأنه لا يستحيل طعاما آخر في فم آخر.
قال: هذا صحيح.
قلت: ولكن النصوص تخبر أن هناك أشياء أخرى لها تأثيرها في البركة، فقد كان النبي ﷺ يدعو في دعائه فيقول:(اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه)
قال: لأن البركة من الله، فهو الذي يجعل الطعام مباركا أو ممحوق البركة، ألم تسمع قوله ﷺ:(إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه، فإن البركة تنزل في وسطه)(1)، وفي حديث آخر يقرر هذا، فيقول:(إن البركة تنزل في وسط الطعام، فكلوا من حافته ولا تأكلوا من وسطه)(2)، فقد أخبر ﷺ أن البركة تتنزل.
قلت: أي أن دعاءنا قبل الطعام يجعل غذاءنا مباركا بتنزيل الله البركة.
قال: ليس بالدعاء فقط.. بل في حالتك النفسية أثناء تناول الطعام.. لأنك قد تأكله، وقلبك يمتلئ حقدا عليه وصراعا معه.. فلا

---

1) ابن ماجة.
2) الترمذي والحاكم.

يزيدك أكلك له إلا جوعا ومرضا.

قلت: وهل يمكن أن يحقد أحد على الطعام؟

قال: أجل.. إذا أكله، وهو يعيبه.. ألم يكن ﷺ يثني على الطعام إذا حضر؟

قلت: بلى.. كان يثني عليه كل الثناء، وقد قال لما قدم له الخل:(نعم الإدامُ الخلُّ)(1)، وفي حديث آخر قال ﷺ:(اللهم بارك في الخلِّ فإنَّه كان إدام الأنبياء قبلي)(2).. وعندما قدم له الضب، ولم يكن يشتهيه لم يعبه، بل قال:(لا تفعلا، إنكم أهل نجد تأكلوها، وإنا أهل تهامة نعافها)(3)

قال: وكل ذلك لئلا يجرح شعور الطعام، فإن الطعام لا يرضى أن يدخل أجواف من يذمه.

ضحكت، وقلت: وهل له من العقل ما يرضى به أو يسخط.. ماذا تقول يا معلم؟

قال: إن الطعام لا ينيلك بركته إلا إذا كان راضيا، وهذا سر من أسرار البركة، ألم تسمع ما ورد في الحديث عن ابن أعبد قال قال علي: يا ابن أعبد! هل تدري ما حق الطعام؟ قلت: وما حقه؟ قال: تقول:(بسم الله، اللهم! بارك لنا فيما رزقتنا)؛ ثم قال: أتدري ما شكره إذا فرغت؟ قلت: وما شكره؟ قال: تقول:(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا)(4)، فقد ذكر أن للطعام حقا.. لا يكون له هذا الحق إلا إذا كان له من الوعي ما يطالب به بحقه.

قلت: يا معلم.. هذا جاء على أساليب العرب.. وليس المراد به ما فهمته من ظاهره.

قال: وما ورد من تسبح الطعام أجاء أيضا على أساليب العرب، فقد ورد في نصوص صريحة لا تحتمل أي لبس، ألم تسمع قول ابن مسعود:(كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا، بينما نحن مع رسول الله ﷺ ليس معنا ماء فقال لنا:(اطلبوا من معه فضل ماء)، فأتي بماء فوضعه في إناء ثم وضع يده فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه. ثم قال:(حي على الطهور المبارك والبركة من الله)، فشربنا منه، قال عبد الله: كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه، وهو يشرب.

وكانوا يسمعون تسبيح الطعام، عن ابن مسعود قال:(كنا

---

1) مسلم.

2) ابن ماجة.

3) يعني الضب، رواه الطبراني في الكبير، وفي رواية: كلوه لا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي.

4) ابن أبي الدنيا في الدعاء، وأبو نعيم في الحلية وابن حبان.

نأكل مع النبي ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)(1)

قلت: صدقت.. وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ أتي بطعام ثريد، فقال:(إن هذا الطعام يسبح)قالوا:(يا رسول الله، وتفقه تسبيحه؟ قال: نعم ثم قال لرجل: ادن هذه القصعة من هذا الرجل، فأدناها منه فقال: نعم يا رسول الله، هذا الطعام يسبح! فقال: ادنها من آخر، وأدناها منه فقال: هذا الطعام يسبح. ثم قال: ردها فقال رجل: يا رسول الله، لو أمرت على القوم جميعا، فقال: لا إنها لو سكتت عند رجل لقالوا من ذنب ردها فردها(2).

قال: أترى من له القدرة على التسبح جمادا لا يعقل؟

قلت: لا.. بل عاقلا وسيد العقلاء.

قال: فهذا سر من أسرار البركة.

أمسك بيدي من لا أعرفه، ولكن يلوح عليه من الجهد ما يدل على كونه من الخبراء، فقال من غير أن أسأله: نعم.. أنا من الخبراء.. وقد سمعتك تسأل معلمك عن سر البركة في الدعاء.. وأنا سأجيبك على ضوء اختصاصي، فأنا مختص في الهندسة الوراثية(3)، فركز معي، فسأعلمك أسرارا مهمة في هذا العلم.

قلت: علمني مما علمك الله.

قال: يتركب كل جين من حوالي 70 ألف وحدة في المتوسط من وحدات المادة الوراثية D N A وهي النيكليودات، وكل جين يتركب من وحدات المادة الوراثية في تتابع معين، وأي تغيير في نوعية أو تتابع هذه الوحدات يغير في تحكم الجين، وبالتالي في إظهار صفات مختلفة له، وهذا التغيير يكون إما بالإضافة أو الحذف لواحد أو أكثر من هذه الوحدات، أو بتغيير نوعية واحد أو أكثر من هذه الوحدات، أو بتغيير التتابعات الخاصة بهذه الوحدات داخل الجين.

قلت: فما هي العوامل التي تجعل الجين يتغير عما هو عليه؟

قال: أسباب ذلك كثيرة، فذلك إما أن يكون عن طريق المطفرات الطبيعية مثل أشعة X وجاما والأشعة فوق البنفسجية وغيرها.. أو عن طريق المركبات الكيميائية من مبيدات وأحماض وأغذية وغيرها.. أو عن طريق أي شيء في البيئة أو الأماكن أو النباتات أو الإنسان أو الحيوان التي يعيش فيها أو معها الشخص المتأثر، حيث يصدر عن هذا كله إشعاعات تؤدي إلى حدوث مثل هذه التغييرات.

1) أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه.
2) أبو الشيخ.
3) هو الأستاذ الدكتور عاصم محمد علي رحمه الله.

قلت: ولكن الدعاء مجـرد كلام.. فهـل لـه تـأثير على وضـعية هذه الجينات؟

قـال: أجـل.. حـتى الكلمـة الـتي تصـدر من أي شـخص لهـا ذبذبات سواء كانت طيبة أو خبيثة تؤدي إلى مثل هـذه التغيـيرات.. ألم تسمع قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر:21)

قلت: بلى.. فما وجه الإشارة فيها؟

قـال: هـذا يـدل على أن القـرآن الكـريم لـه من التـأثير على الأشياء ما يفوق القنبلة الذرية نفسها.

قلت: فهمت هذا.. ولكني لا أزال أتساءل، فقـد ادعيت صـعبا تحتاج إلى إثباته.

قــال: ذلــك يحتــاج إلى بعض التفصــيل، فاصــبر علي.. إن نيكليوتيدات الجين تتكـون من نـوعين في مجموعـات.. أمـا النـوع الأول، فهو نوع يطلق عليـه Extr ons، وهو خـاص بـالمواد الكيميائيـة المنتجة، أي الجزء الطبيعي الدنيوي.. وهو مـا عرفتـه مـع معلمـك في أسرار البركة في العناصر.

أمـا النـوع الثـاني، فيطلـق عليـه Intr ons، وهـو الجـزء ذو التكـرارات العاليـة والحسـاس، والـذي يقـوم بتشـكيل الجـزيء الطبيعي الناتج عن Extr ons.

وهذا النوع الأخير تزيد نسبته برقي الكـائن، فتصـل في أرقى الكائنات وهو الإنسان إلى 70 بالمائة من المادة الوراثية.

والغالب أنه هـو المكـون للتركيبـة الروحيـة، وهي تتـأثر تـأثرا كبيرا بالأحاسيس والعبادات والأفعال الصالحة أو السيئة.

قلت: اضرب لي مثالا يوضح لي هذا.

قال: أتعرف الإنسولين.

قلت: نعم.. أعرفـه، فلـه دوره الخطـير في التمثيـل الغـذائي للسكر.

قال: فجزيء الإنسولين الناتج من الفرد التقي الصالح يختلف اختلافا كبيرا في شكل الجزيء عن إنسولين الفرد المنحرف، ولــو أنهما معا يقومـان بوظيفتهمـا في التمثيـل الغـذائي للسـكر، ولكن يختلفان في الكفاءة ومدى استفادة الجسم من كل منهما.

قلت: بورك فيك.. فقـد فهمت أسـرار كثـيرة من هـذا.. كنت أعجب منها.. لقـد أدركت سـر قولـه ﷺ:(اللهم! إن إبـراهيم كـان

عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسـولك أدعوك لأهل المدينـة أن تبـارك لهم في مـدهم وصـاعهم مثلي مـا باركت لأهل مكة مع البركة بركتين)(1)

وقد كنت أعجب من حديث جابر بن عبد الله في قولـه: بعثنـا رسول الله ﷺ وأمر علينـا أبـا عبيـدة نتلقى عـيرا لقـريش، وزودنـا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمـرة. فقيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصـها كمـا يمص الصـبي، ثم نشرب عليهم من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله)(2)

فقد كنت أعجب من بقاء قوتهم مع هذا الأكل القليل.

وقد كنت أعجب من تلك الأكلات القليلـة الـتي يقتصـر عليهـا الصالحون مع حفظ الله لقواهم الأمد الطويل، وقد فهمت من هذا سر قوله ﷺ:(المـؤمن يأكـل في معي واحـد والمنـافق يأكـل في سبعة أمعاء)(3)

قال: وافهم مع هذا سر قوله ﷺ:(ماء زمزم لما شرب له)(4) فقد اعتبر ﷺ لنية الشارب تأثيرا في الفوائد التي يجنيها من شـربه من ماء زمزم.

قلت: وأصرح من ذلك قوله ﷺ:(ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك اللـه، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهي هزمـة جبرائيـل وسـقيا اللـه إسماعيل)(5)

قال: فللنية والصدق فيها واليقين في فضل اللـه تـأثير عظيم في ذلك، ولهذا لا يسـتفيد من هـذا النـوع من العلاج إلا الصـادقون أصحاب القلوب الطيبة(6).

---

1) الترمذي.
2) مسلم.
3) البخاري وغيره، وقد ورد في سبب ورود هذا الحديث أن ثمامة لما كان في الأسر جمعوا ما كان في أهل النـبي ﷺ من طعـام ولبن فلم يقـع ذلـك من ثمامـة موقعـا فلمـا أسلم جاءوه بالطعام فلم يصب منه إلا قليلا فتعجبـوا فقـال النـبي ﷺ:« إن الكـافر يأكـل في سبعة أمعاء وأن المؤمن يأكل في معي واحد »
4) رواه ابن ماجه وغيره.
5) الدارقطني والحاكم.
6) وقد رويت الحكايات الكثيرة عن تأثير شرب مـاء زمـزم العلاجي، ومن ذلـك مـا حدثت به سيدة فاضلة اسمها – يسرية عبـد الـرحمن حـراز – كـانت تـؤدي فريضـة الحج ضمن وزارة الأوقاف عن المعجزة التي حدثت لهـا ببركـات مـاء زمـزم فقـد ذكـرت أنهـا أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسـرى نتج عنهـا صـداع نصـفي لا يفارقهـا ليل نهار، ولا تهدئ منه المسكنات.. كما أنهـا كـادت تفقـد الرؤيـة تمامـا بـالعين المصـابة لوجود غشاوة بيضاء عليها.. وذهبت إلى أحـد كبـار أطبـاء العيـون فأكـد أنـه لا سـبيل إلى وقـف الصـداع إلا باعطائهـا حقنـة تقضـي عليـه، وفي نفس الـوقت تقضـي على العين

مواقيت البركة

لم أبتعد قليلا عن المتوسم الثالث، حتى ناداني أحد المتوسمين، فقلت: أتريد أن تسر لي شيئا أنت الآخر.. قل.. فكلي آذان صاغية.

قال: لا.. بل سأقول لك ما يمكن أن تعلنه على الملأ.

قلت: أهو سبيل من سبل الحصول على البركة؟

قال: أجل.. فليس لنا من دور ــ نحن المتوسمين ــ سوى البحث عن هذا.

قلت: فبأيها اختصصت أنت؟

قال: بالمواقيت.

قلت: أأنت ساعاتي إذن؟

قال: يمكنك أن تقول ذلك.. فأنا دائم الترقب للساعات والدقائق.. أنتظر بشغف كل مناسبة من مناسبات الخير.

قلت: لم؟

قال: لأنال من بركاتها ما لا يمكن تحصيله في سائر الأيام.

المصابة فلا ترى إلى الأبد، وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي، ولكنها كانت واثقة برحمة الله تعالى ومطمئنة إلى أنه سيهيئ لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك.. ففكرت في أداء عمرة، كي تتمكن من التماس الشفاء مباشرة من الله عند بيته المحرم

وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة، ولم يكن عدد الطائفين كبيرا وقتئذ، مما أتاح لها – كما تقول – أن تقبل الحجر الأسود، وتمس عينها المريضة به.. ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوبا منه وتغسل به عينها.. وبعد ذلك أتمت السعي وعادت إلى الفندق الذي تنزل به

فوجئت بعد عودتها إلى الفندق أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماما، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يذكر

كيف تم استئصال قرحة بدون جراحة؟!.. كيف تعود عين ميئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية بدون علاج؟! وعلم الطبيب المعالج بما حدث، فلم يملك إلا أن يصيح من أعماقه: الله أكبر إن هذه المريضة التي فشل الطب في علاجها عالجها الطبيب الأعظم في عيادته الإلهية.

ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرؤها، فيروي صاحب هذه الحكاية الدكتور فاروق عنتر فيقول: لقد أصبت منذ سنوات بحصاة في الحالب، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية، ولكنني أجلت إجراء العلمية مرتين.. ثم عن لي أن أؤدي عمرة، وأسأل الله أن يمن علي بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة بدون جراحة؟

وبالفعل سافر الدكتور فاروق إلى مكة، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم، وقبل الحجر الأسود، ثم صلى ركعتين قبل خروجه من الحرم، فأحس بشيء يخزه في الحالب، فأسرع إلى دورة المياه، فإذا بالمعجزة تحدث، وتخرج الحصاة الكبيرة، ويشفى دون أن يدخل غرفة العمليات.

لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه، ويتابعون حالته.

انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية، لمحمد كامل عبد الصمد.

قلت: أليست كل الأزمان أزمان خير؟

قال: بلى.. ولكن الله تعالى خص مواقيت مخصوصة بمزيد من الخير.. ألا ترى التجار في أرض قومك قد يبيعون في بعض المناسبات ما لا يبيعونه في جميع أوقات السنة؟

قلت: بلى.. ذلك صحيح.. وأنا أراهم في تلك المناسبات يزهون جذلين.

قال: لأن تلك الأيام هي أيام بركاتهم.

قلت: فهل جعل الله في أيام دهرنا مناسبات خاصة للبركات؟

قال: بلى.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(ابراهيم:5)

قلت: بلى.. ولكن هذه لأيام هي أيام نصره لهم..

قال: فقد كانت أياما مباركة لهم.. فلهذا أمره بتذكيرهم بها.

قلت: نحن نفعل ذلك.. ولكن ليس كما تقصده.

قلت: فما تفعلون؟

قلت: نحن ننشد الأشعار، ونملأ الدنيا ضجيجا فرحا بأيام نصرنا.

قال: أنتم تمحقون نصركم بذلك.. فبركة النصر التواضع وطأطأة الرأس ومراجعة النفس لتجديد المسيرة، ألم تسمع قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:58)

قلت: وما فيها من العلم؟

قال: هذه الآية تبين سنن التعامل مع النصر.

قلت: عرفت هذا.. ولكني أبحث عن سر اهتمامك بالمواقيت.

قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا)(1)، وقوله في الحديث الآخر يعمق هذا المعنى:(اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم)(2)

---

1) الطبراني في الكبير.

2) ابن أبي الدنيا في الفرج والحكيم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية.

قلت: قد سمعت ذلك منك، وبورك فيك..فهل لهذه المناسبات أيام مخصوصة في السنة لا تتعداها؟

قال: منها الأيام، ومنها الشهور، ومنها الساعات، ومنها اللحظات.

أيام البركة

قلت: فما أيام البركة؟

قال: هي أيام كثيرة منها ما يتكرر في السنة، ومنها ما يتكرر في الأسبوع.

قلت: فما أعظمها؟

قال: ليلة القدر.. ألم تسمع ما قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾(الدخان:3)

قلت: بلى.. وقد أخبر الله تعالى فيها عن تنزلات الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فيها ومعهم الروح، فقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾(القدر:4)

قال: ولذلك كانت مناسبة عظيمة لرفع الحاجات إلى الله..

قلت: فأنتم تعالجون بليلة القدر؟

قال: أجل.. وكيف لا نعالج بها.. بل إن المرضى عندنا يعدون الأيام والليالي ليظفروا بها.

قلت: فما تفعلون فيها؟

قال: ألم يبين لنا ﷺ ما نفعل، فقال:(من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)(1)، فنحن نحييها بالقيام والتضرع. ونحن نستن بسنة رسول الله ﷺ في ذلك، فقد كان رَسُول اللَّهِ ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره(2).

قلت: وما أثر ذلك في الشفاء؟

قال: إن أكثر المرضى يشفيهم الله تعالى ببركات هذه الليلة.

قلت: وهل رأيت بعض ذلك؟

قال: وهل أحتاج إلى أن أرى؟

قلت: من باب الطمأنينة، لا من باب الشك.

قال: لا أحتاج إلى أن أرى غيري.. لأني ـ أنا ــ حصل لي من الخير بسبب هذه الليلة المباركة ما دعاني إلى البحث في مواقيت البركات.

---

1) مسلم.
2) مسلم.

قلت: أكنت مريضا؟

قال: بأخطر أمراض عصركم.. وقد أيأسني الأطباء.. وكان من رحمة الله أني اجتمعت بالطبيب الذي قرأ نتائج تحليلاتي في ليلة من ليالي العشر من رمضان.

قلت: فماذا فعلت؟

قال: حزنت حزنا شديدا.

قلت: فإلى أي شيء أسلمك حزنك؟

قال: إلى الله.. لقد قلت لنفسي: أليس هذا الطبيب سوى ذرة تائهة في ملكوت الله.. ثم بت قائما لله.. فأحسست بقشعريرة تسري في أوصالي.. وكأن ملائكة ربي وضعت مراهمها على أدوائي.. ومنذ ذلك الحين، قبل عشرين سنة، لم أحسس بأي ألم، فلم يهتز لي عرق، ولم يتصدع لي رأس.

قلت: فهل رجعت إلى طبيبك لتخبره عما حصل لك من بركات تلك الليلة.

قال: ذهبت صباحا إليه، فوجدت أهله يبكون، فسألتهم عنه، فأخبروني بوفاته.. فلم أعد بعدها إلى الأطباء.

قلت: ولكن انتظار ليلة القدر يطول.. إنها سنة كاملة.. ومع ذلك فقد يظفر بها، وقد لا يظفر.

قال: ولكنها ليلة مباركة، ومع ذلك.. فإن من استعجل عندنا نرسله للحراسة في سبيل الله.

قلت: وما علاقة ذلك بليلة القدر؟

قال: ألم تسمع قوله ﷺ:(ألا أنبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله) (1).

قلت: فهل هناك غير ليلة القدر؟

قال: الليالي العشر.

قلت: وما الليالي العشر؟

قال: تلك التي أقسم الله تعالى بها، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:2)

قلت: وما هي؟

قال: هي الليالي العشر من ذي الحجة.. فقد قال ﷺ:(ما من أيام العمل الصالح أحب إلى اللّه فيهن من هذه الأيام)، يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل اللّه؟ قال:(ولا الجهاد في سبيل اللّه، إلا رجُلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك

1) البخاري ومسلم عن ابن عمر.

بشيء)[1]

قلت: فهل هناك غيرها؟

قال: هناك ما هو أيسر من ذلك، وأقرب.

قلت: وما هو؟

قال: يوم الجمعة.

قلت: ذلك يوم يسير، فهو يوم يتكرر كل أسبوع.

قال: وقد أخبر ﷺ عن بركة هذا اليوم، فقال:(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت[2]؟ فقال ﷺ:(إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء)[3]

قلت: فما فيه من البركات؟

قال: كثيرة هي بركاته، أولها أن رسول الله ﷺ أخبر أن الملائكة تشهده، فينال العبد من بركاتها ما يناله، فلذلك دعانا ﷺ إلى الاستعداد الصحيح لنيل بركات الملائكة في هذا اليوم، فقال: (أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها)[4].. بل ورد في حديث آخر ما يصرح بذلك، فقال ﷺ: (إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا، من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء)[5]

قلت: ما شاء الله هذه بركات عظيمة.. ما أكثر غفلتنا عنها.

قال: بل هناك ما هو أعظم من ذلك كله.

قلت: وهل هناك ما هو أعظم من ذلك؟

قال: أجل.. فقد ذكر ﷺ يوم الجمعة فقال:(فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل اللَّه شيئاً إلا أعطاه إياه)، وأشار بيده يقللها[6].

---

1) البخاري.
2) أي بليت.
3) أحمد وأبو داود والنسائي والدارمي وابن خزيمة وغيرهم.
4) ابن ماجة.
5) البيهقي وابن عساكر.
6) البخاري ومسلم.

قلت: هذا خير عظيم، فأي ساعة هي؟
قال: لم تحدد النصوص ذلك بدقة.
قلت: لم؟
قال: ليشتد الناس في البحث عنها.. كما يشتدون في البحث عن ليلة القدر.
قلت: أأنتم تعالجون بها؟
قال: ألم يخبرك المعلم بأن مستشفى السلام يستعمل كل وسائل العلاج وأسبابه؟

شهور البركة

قلت: فحدثني عن شهور البركة.
قال: أعظمها شهر رمضان، فقد قال الله تعالى يذكر فضله وبركاته: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة:185)
قلت: لقد اكتسب شهر رمضان بركاته من القرآن الكريم.
قال: ولذلك كان أعظم مناسبة للبركات، فهو الشهر الذي تقترب فيه السماء من الأرض.
قلت: أهذه معلومة فلكية؟
قال: لا.. هذه معلومة ربانية.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)(1)
قلت: فما نفعل في رمضان لننال بركاته؟
قال: ما كان يفعله ﷺ، فهو أدرى بالبركات وأسرارها.
قلت: وما كان يفعل ﷺ ؟
قال: ألم تسمع قول ابن عباس، فقد قال: كان رَسُول اللَّهِ ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرَسُول اللَّهِ ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة)(2)
قلت: عرفت فضل رمضان.. فهل هناك شهور أخرى يمكن تلمس البركات منها؟
قال: لقد ذكر الله تعالى أربعة أشهر مباركة، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

---

1) البخاري ومسلم.
2) البخاري ومسلم.

وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ (التوبة:36)

قلت: تقصد الأشهر الحرم؟

قال: أجل.. فهي أشهر مباركة.. ونحن في هذا المستشفى نكثف العلاج فيها.

قلت: فما هي هذه الأشهر.. فنحن اليوم نتعامل بأشهر تحن للشمس، وتتنكر للقمر.

قال: لقد أخبر عنها ﷺ، فقال في حجة الوداع:(إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.. السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمرحم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)(1)

قلت: وسائر الأشهر.. أهي ممحوقة البركة؟

قال: في إمكانك أن تملأها بالبركات.

قلت: كيف ذلك.

قال: ألم تسمع ما روي في الحديث أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال:(اللهم بارك لنا في شهرنا هذا الداخل)(2)

قلت: أيمكن أن تسري بركة هذا الدعاء إلى الشهر كله، فتجعله مباركا؟

قال: أجل.. وقد كان النبي ﷺ يتحرى هذا، فقد كان إذا رأى الهلال قال:(اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله)(3)

وفي حديث آخر قال الراوي: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال:(الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله)(4)

وفي حديث آخر أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: (هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، آمنت بالله الذي خلقك، ثلاث مرات، ثم يقول:(الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا)(5)

ساعات البركة

قلت: فحدثني عن ساعات البركة.

---

1) البخاري.
2) ابن منده وبان عساكر، وقد ذكر الحديث، وقال: توالى على هذا الدعاء ستة من أصحاب النبي ﷺ سمعوه منه، والسابع حدير أبو فوزة السلمي.
3) الترمذي، وقال: حديث حسن.
4) الدارمي.
5) أبو داود.

قال: هي ساعات تتكرر يوميا.

قلت: وذلك ما يجعلها أيسر مواقيت البركات وأقربها.

قال: أولها البكور، ألم تسمع قوله ﷺ:(اللهم بارك لأمتي في بكورها)، قال الراوي: وكان ﷺ إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار، وكان صخر تاجراً، وكان يبعث تجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله(1).

قلت: بلى.. وقد أخبر ﷺ بحماية الله لمن صلي الصبح، فقال:(من صلى الصبح فهو في ذمة اللّه، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك اللّه من ذمته بشيء)(2)

قال: ولذلك ترانا في هذا المستشفى نتحصن بالصبح.. فاليوم عندنا يبدأ بالفجر، لا بالضحى كما رأيته في أرض الصراع.

قلت: والثاني؟

قال: السحر.. ألم تسمع قوله ﷺ:(تسحروا، فإن في السحور بركة)(3)

قلت: وقد سمى ﷺ السحور بالغذاء المبارك.

قال: وقد عرفت في حصون الصحة الأثر الصحي للسحور والفطور.

قلت: أجل.. فحدثني عن الثالث.

قال: هو ما عبر عنه ﷺ بقوله:(إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى ينفجر الصبح)(4).

وفي حديث آخر، قال ﷺ:(ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا، كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)(5).

قلت: هذا حديث عظيم.. وفيه بركات عظيمة.

قال: ولكن قومك يحرفونه.

قلت: سمعتهم يروونه كثيرا.

قال: هم لا يروونه ليستفيدوا من بركاته.. بل يروونه ليجادلوا

---

1) أَبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.
2) مسلم.
3) البخاري ومسلم.
4) مسلم.
5) مسلم والترمذي.

به.. فهم لا يسمعون قولـه تعـالى:(أنـا الملـك، أنـا الملـك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسـألني فأعطيـه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟)

قلت: فما يسمعون؟

قال: لا يسمعون منه إلا النزول.

قلت: لم؟

قال: ليجادلوا.. ألم يقل ﷺ:(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل)، ثم تلا رسول اللّه ﷺ قولـه تعـالى: ﴿مَـا ضَـرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(الزخرف:58))(1)

قلت: أجل.. وقد خرج رسول اللّه على الناس وهم يتنـازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل، ثم قال:(لا تضربوا كتاب اللّه بعضه ببعض، فإنه ما ضل قـوم قـط إلا أوتوا الجدل)، ثم تلا الآية.

لحظات البركة

قلت: فحدثني عن لحظات البركة.

قال: قـد يمتلئ قلبـك في أي لحظـة من اللحظـات خشـوعا ورقة.. فلا تفرط في تلك اللحظـة، فهي من اللحظـات المباركـات التي قد تنقلب بها حياتك انقلابا كليا.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألم تسمع قوله تعـالى: ﴿هُنَالِـكَ دَعَـا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَـالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(آل عمران:38)

قلت: بلى.. فما فيها من مواقيت البركة؟

قال: عندما دخل زكريا عليه السلام ـ عليها السلام ـ فوجـد عندها من رزق الله المبارك شعر بقدرة الله المطلقة، فامتلأ كيانه بالرغبة فيما في يد الله، فسأل الله.

قلت: أتعالجون في هذا المستشفى بهذه اللحظات؟

قال: أجل.. نحن نملأ قلوب المرضى بالإيمان إلى أن يصبحوا كالأرواح المجردة.. وحينـذاك نطلب منهم أن يـدعو من لا يـرد من دعاه.

قلت: ومن أسوتكم في ذلك؟

قال: أيوب عليه السلام.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألم يستعمل هذه اللحظة من لحظات الإيمان في شفاء العلة التي دامت سنين، فقال تعـالى: ﴿وَاذْكُـرْ عَبْـدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَـادَى

1) أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(صّ:41)، فما إن قال ذلك حتى نودي من سرادقات الغيب: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾(صّ:42)

قلت: فيمكن بهذا أن نحول من كل حياتنا ليلة قدر.

قال: أجل.. ألم تسمع قول أبي العباس المرسي:(أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر)

قلت: بلى.. وقد سمعت قول ابن عطاء الله:(من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة)

قال: عرفت فالزم.

ثانيا ـ منازل البركة

سـرت قليلا أبحث عن متوسـم يـدلني على منـازل البركـة، وكيفية تحصيلها، فبينما أنـا كـذلك إذ لاح لي رجـل قـد انتحى جانبـا عن الناس، ووضـع بسـاطا على الأرض، ثم اسـتلقى على ظهـره، فلم أجد نفسي إلا وأنا بين يديـه أقـول: يـا أخي.. ليس هـذا محـل نوم.. ولا محل كسل.. هذه منازل السلام .. وهـذه ديـار البركـات.. فلا تفسد علينا وعلى الناس ما في هذه الديار من البركات.

قال: بورك في نصيحتك.. ولكني لست كما ظننت.

قلت: أنا لم أظن.. بـل أتيقن.. كيـف تقـف مواقـف التهم، ثم تريد أن نحسن بك الظن.

قـال: أخـبرني عنـك أولا من أنت حـتى أعـرف كيـف أتعامـل معك؟

قلت: وما شأنك بي.. أنا أطلب منك أن تحمل بساطك.. فإن شئت النوم، فاذهب إلى بيتك، فهو أهنأ لك.

قال: أنا لا أريد أن أنام.. ولكني بسطت بسـاطي، واسـتلقيت لأعبد الله على جنب.. ألا تعرف هذا النوع من العبادة؟

قلت: لم أسمع بهذا النـوع من العبـادة إلا في حـق المرضـى الذين لا يطيقون القيام ولا الجلوس، فقـد رخص لهم الشـرع بدلـه في الصلاة على جنب.

قال: لا.. ذلك خاص بالمرضى.. وهذا عام لجميع النـاس.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامـاً وَقُعُـوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ (آل عمران:191)؟

قلت: بلى.. ولكني لم أسمع منها ما سمعت.

قال: وهل عرفت ما سمعت حتى تحكم علي؟

قلت: حالك يدل على ما في نفسك منها.. أنت تريـد أن تـبرر بها عملك هذا.

قال: قل لي: ما ذا تفهم من الآية؟

قلت: فسـرت هـذه الآيـة على أنهـا تـبين كيفيـة أداء الصـلاة بالنسبة للمرضـى، أي أنهم إذا اسـتطاعوا فليـؤدوا الصـلاة قيامـا، فإن لم يقدروا على ذلك فقعودا، أو فعلى أحد جنبيهم، ويـدل لهـذا قوله ﷺ:(صـل قائمـاً، فـإن لم تسـتطع فقاعـداً، فـإن لم تسـتطع فعلى جنبك)(1)

---

1) البخاري.

وفسرت بأنهم الذين لا يقطعون ذكر الله في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم.

قال: صدقت.. ويمكنك أن تفسرها بما فعلته الآن.. وبما أنكرت علي.

قلت: كيف أفسرها بذلك، وأنا لا ازال أنكر عليك.

قال: أنا أحد المتوسمين..

قلت: أتدعي التوسم أيضا.. كيف تدعيه.. وأنت لم تعرفني؟

قال: وما علاقة التعرف عليك بالتوسم، أأنت شمس من شموس البركة، أم قمر من أقمارها؟

قلت: ولكن المتوسمين الذين لاقيتهم عرفوني قبل أن أعرفهم بنفسي.

قال: ذلك مذهبهم، وهذا مذهبي.. وقد سألت الله تعالى أن يستر علي أسرار الخلائق حتى لا أرى منها ما يرى المتوسمون.

قلت: لم طلبت ذلك؟.. أليس في ذلك مزيد فضل؟

قال: لا.. خشيت أن يتسرب إلى نفسي من ذلك ما يحجبني عنه.. فلذلك سألت الله أن لا أرى من ذلك قليلا ولا كثيرا.

قلت: عرفت إخوانك من المتوسمين.. وأنا الآن أبحث عن متوسم يدلني على منازل البركة.. فقد عرفت جميع سبل البركة ما عدا منازلها.

قال: إذا لم تعرف منازلها لم تعرفها.

قلت: كيف؟

قال: لأن البركات فائضة في الكون.. ولكن الشأن في استقبالها.

قلت: فكيف تستقبل؟

قال: بالمنازل.

قلت: فدلني على المتوسم الذي يدلني عليها.

قال: أنت تجلس بين يديه.

انتفضت قائلا: معذرة.. أأنت هو متوسم المنازل؟.. ولكن ماذا تفعل هنا؟

قال: لقد جلست هذا المجلس لأستقبل البركات.

قلت: ألا تستقبلها إلا بهذه الصورة؟

قال: لا.. أنا أستقبلها بكل الصور، فقد أستقبلها قائما، أو قاعدا، أو مضطجعا، أو نائما.. وقد أستقبلها في السوق أو في المقبرة، أو في الفيافي، أو في الشوراع، أو في المساجد، أو في المدارس.. فكل هذه محال يمكن أن تملأني بالأحوال المباركة.

قلت: فلم اخترت الآن هذه الهيئة لاستقبال البركات؟
قال: أنا لم أخترها.. ولكني وجدت نفسي وأحوالي لا تنتظم إلا بهذه الضجعة، فاضطجعتها.
قلت: فلم لم تقهر نفسك؟
قال: أقهرها عن الحرام.. ولا أقهرها عن عبادة الله.
قلت: كيف ذلك؟
قال: إذا وجدت قلبي في هذه الحالة خاشعا لله مجتمعا به ممتلئا ذكرا وفكرا.. فلماذا أخرج من هذه الحال.. فأتكلف ما قد يضر بحالي.
قلت: ففي جلوسك أو اضطجاعك هذا ماذا تفعل؟
قال: أبرمج نفسي بالبرامج التي تهيئها لنزول البركات.
قلت: تبرمج نفسك!؟
قال: خاب من لم يبرمج نفسه كل يوم بالبرامج الصالحة.
قلت: كيف تبرمجها؟
قال: أنظم جسدي ونفسي وعقلي وروحي ليجتمع شتاتها وتتوحد وجهتها وتستعد لاستقبال بركات الله.
قلت: أأنت تبرمج هذه الأجهزة الأربع؟
قال: أجل.. كما تبرمجون أجهزتكم وتنظمونها لتستفيدوا من بركاتها.. أرأيت لو أن جهاز استقبالك الذي تتفرج به على أحوال الدنيا لم يتوجه الوجهة الصحيحة.. أكنت ترى شيئا؟
قلت: لا.. لن أرى شيئا.
قال: وهل ذلك لشح الأمواج التي تنقل لك أحوال العالم.
قلت: لا.. هي منتشرة في كل مكان، ولم يضق بها الفضاء.
قال: فما سبب عدم استقبالك لها؟
قلت: صحن استقبالي.
قال: فكذلك البركات يمتلئ بها الفضاء، ولكن الشأن ليس فيها، بل في عزوفكم عنها، وإدارة ظهوركم لها.

الجسد

قلت: فلنبدأ بالجسد.. كيف تبرمجه ليستقبل أمواج البركات؟
قال: أوصل إليه من أسرار البركة ما يملؤه حيوية ونشاطا ليؤدي الرسالة التي وكلت إليه.
قلت: كيف ذلك؟
قال: ألم تعلم ما كان يفعل رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام؟
قلت: كان يجمع كَفَّيْهِ ثم ينفُث فيهما، ويقرأ فيهما بسورة

الإخلاص، والفلق، والناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبلَ مِنْ جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

قال: فهذا نوع من برمجة الجسد ليحيطه بأنواع البركات.

قلت: لم أفهم هذا.

قال: ألا تعرف أن كل خلية من خلاياك كائن حي كلف بأداء وظيفة معينة في جسدك؟

قلت: أتقصد أنه كائن مستقل عني؟

قال: هو فيك، ولكنه في ذاته مستقل عنك.

قلت: أأنا لست فردا واحدا؟

قال: لا.. بل أنت فرد واحد.. ولكنك مكون من كم هائل من الجنود الذين يحفظون كيانك إلى أن تتم الوظيفة التي جئت إلى الأرض بسببها.

قلت: أنت تريد أن تقنعني بأن كل خلية من خلاياي كائن حي.

قال: ليس في ذلك أي غرابة.. ألا ترى المدينة تظل مدينة واحدة، ولو أن ملايين البشر يسكنونها؟

قلت: هذه دعوى عريضة لو سمعها قومي لرموك بالحجارة، أو لوضعوك في مارستان المجانين.

قال: لا.. ليست هذه دعوى، هذه حقائق تدل عليها كل الأدلة.. وتشير إليها كل الشواهد، ألم تسمع قوله تعالى: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ(فصلت:19 ـ 22)؟

قلت: بلى.. ولكن هذه الآية مثل قوله تعالى: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (يّس:65)تشير إلى حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، فيختم اللّه على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت.

قال: ومن قال بأن ذلك خاص بالآخرة؟

ضحكت، وقلت: وهل رأيت رجلا يتحدث مع عينه أو يسمع بصره أو يجادل جلده؟

قال: فأنت تعتمد الحس لتؤول القرآن الكريم؟

قلت: لا.. ولكن الشـرع لم ينكـر علينـا الاسـتدلال بـالحس.. فالحس أول المدارك، وقد رأيت في حصون العافية ما يبين فضله وقيمته.

قال: أجبني.. وأرجو ألا تجادلني.

قلت: لن أجادلك.. ولكني لن أقلدك.

قال: لا يجوز لأحد تقليد أحد.. فكلنا في العبودية سواء.

قلت: سل ما بدا لك.

قال: ما الغرض من استشهاد الشهود في الآخرة؟

قلت: هو إخبار الشهود بما يعلمون من حال المشهود عليه.

قال: ألا يقتضي العلم الحياة؟.. وهل رأيت علما بلا حياة؟.. أو عالما بلا حياة؟

قلت: لا.. العلم يقتضي الحياة.. بل يقتضي الحياة المستقلة.

قال: فقد عرفت إذن حياة أعضاء الإنسان المستقلة.

قلت: لم أفهم.

قـال: ألم تسـمع قولـه ﷺ وهـو يصـور بعض مشـاهد عدالـة الآخرة، واستشهاد الجوارح.

قلت: قـد وردت في ذلـك نصـوص كثـيرة، منهـا مـا روي عن أنَس بن مالك قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ﷺ:(أتدرون مم أضحك؟) قلنا:(اللّه ورسوله أعلم)، فقال ﷺ :(من مجادلة العبد ربـه يـوم القيامـة، يقـول: رب ألم تجـرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقـول: لا أجـيز عليَّ إلا شـاهداً من نفسـي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شـهوداً، فيختم على فيه، ويقـال لأركانـه: انطقي، فتنطـق بعملـه، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)(1)

وقـد ورد في بعض الأحـاديث إشـارة إلى هـذا الصـنف الـذي تستنطق جوارحه، وهم المنـافقون الـذين حـاولوا أن يحتـالوا على قلب الحقـائق في الـدنيا، وخـداع الخلـق بهـا، فلـذلك تبقى هـذه الأحبولة في أيديهم يوم القيامة، ويتصـورون أنهم سـيخادعون اللـه كما خادعوا الخلق،، قال ﷺ في حديث القيامـة الطويـل:(ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابـك وصمت وصلّيت وتصدقت، ويثني بخير ما اسـتطاع - قـال - فيقـال له ألا نبعث عليك شاهدنا؟ - قال: فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه، فيختم على فيه، ويقال: لفخذه انطقي - قال - فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمـل، وذلـك المنـافق، وذلـك ليعـذر من

1) ابن أبي حاتم ورواه مسلم والنسائي بنحوه.

نفسه، وذلك الذي يسخط اللّه تعالى عليه)[1]

قال: فقد أخبر ﷺ عن نطق الجوارح.. والجـوارح لا تنطـق إلا بما تعلم.. ولا يمكن أن يستشهد اللـه في الآخـرة من لا يعلم.. وإلا كان الاستشهاد عبثا أو شهادة زور.

قلت: فأنت تقصد بأن هذه الجوارح التي هي كياننـا الخـارجي جواسيس علينا قد تفضحنا يوم القيامة.

قـال: لا.. هي ليسـت جواسـيس.. هي أنت.. ولكن كـل جـزء منها كائن مستقل ممتلئ عبودية لله، فهـو يرضـى عنـك إن عـدت الله، ويسخط عليك إن عصيته.

قلت: أجسدي يسخط علي؟

قال: ألم تسمع قولـه ﷺ في ذلـك المجـادل وهـو يتوجـه إلى جوارحه، فيقول:(بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)[2]

قلت: بلى.. فقد نص على ذلك الحديث.

قال: ولهذا تخاصـم روحـك جسـدك يـوم القيامـة، ألم تسـمع قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾(الزمر:31)

قلت: بلى.. ولكن هذه الآية في الخصـومة بين المستضـعفين والمستكبرين.

قال: لا.. الآية أعم من ذلك.. ألم تسمع الأحاديث السابقة؟

قلت: بلى.. فلمن النصرة؟

قال: قد ورد في ذلك أثر عن ابن عباس لا ندري مدى صحته، يقول:(لا تزال الخصـومة يـوم القيامـة بين الخلائـق حـتى تختصـم الروح والجسد، فيقول الجسد للروح: أنت الذي حركتـني وأمرتـني وصرفتني وإلا فأنا لم أكن أتحرك ولا أفعل بدونك فتقول الروح له: وأنت الذي أكلت وشربت وباشـرت وتنعمت فـأنت الـذي تسـتحق العقوبة فيرسـل اللـه سـبحانه إليهمـا ملكـا يحكم بينهمـا، فيقـول: مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشـي دخلا بسـتانا فقـال المقعـد للأعمى أنا أرى مـا فيـه من الثمـار ولكن لا أسـتطيع القيـام وقـال الأعمى أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيئا فقال له المقعد تعـال فاحملني فأنت تمشي وأنا أتناول فعلى من تكون العقوبـة فيقـول: عليهما قال: فكذلك أنتما)[3]

قلت: فهمت هذا ووعيته، فكيف أحصل البركـة لأعضـائي.. أو كيف أجعل خلاياي تحبني، فلا تخاصمني في الـدنيا، ولا تشـهد علي في الآخرة؟

---

1) مسلم وأبو داود.
2) ابن أبي حاتم ورواه مسلم والنسائي بنحوه.
3) ابن منده، انظر: ابن كثير: 4/54.

قال: ذلك شيء يسير.. أعطها ما تتمنى وما تحب.

قلت: ما بك.. كيف أعطيها ما تتمنى.. أتريد مني أن أهيم في أودية الأماني؟

قال: جوارحك تحب عبادة الله والسجود مع كل الأشياء لله، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران:83)، فقد أخبر تعالى عن إسلام كل شيء لله.

وأخبر عن سجود كل شيء لله، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل:49)

بل إن في القرآن الكريم إشارة تكاد تكون صريحة لسجود جوارح الكفرة لله، فقد قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(الحج:18)

قلت: فهي تسجد.. فلماذا تكون بركتها في إعطائها ما تتمنى من السجود؟

قال: هي تحب السجود الاختياري، وتباركه.

قلت: فكيف أسجد بها هذا السجود؟

قال: بسجودك تسجد.. ألم تسمع قوله ﷺ:(لا تبسط ذراعيك وادعم على راحتيك، وتجاف عن ضبعيك، فإنك إذا فعلت ذلك سجد لك كل عضو منك معك)(1)

قلت: بلى.. وقد كان مما يدعو به رسول الله ﷺ:(سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي، فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم اغفر لي الذنب العظيم)(2)

قال: وكان علي يقول إذا ركع:(اللهم لك خشعت ولك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت وأنت ربي وعليك توكلت، خشع لك سمعي وبصري ولحمي ودمي ومخي وعظامي وعصبي وشعري وبشري سبحان الله سبحان الله، فإذا قال: سمع الله لمن حمده قال: اللهم ربنا لك الحمد، فإذا سجد قال: اللهم لك سجدت ولك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وأنت ربي سجد لك سمعي وبصري ولحمي ودمي وعظامي وعصبي وشعري وبشري سبحان الله سبحان الله)(3)

1) الحاكم.
2) رواه أبو يعلى.
3) عبد الرزاق في المصنف.

قلت: وقد كان ﷺ يقول في دعائه في سجود القرآن:(سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره)(1)

قلت: هذا غذاؤها، فما سمها؟

قال: الحرام.. أكل الحرام.. ألم تسمع قوله ﷺ:(أيما لحم نبت من حرام، فالنار أولى به)(2)؟

قلت: وعيت هذا.. فلم كان ﷺ يمرر كفه على جسده بعد القراءة؟

قال: ليوصل بركة ما قرأه إلى جسمه وجوارحه، وكأنه يطعمها ما تشتهي من الطعام، ولهذا كان ﷺ يمسح بهما ما استطاع مِن جسده، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه ما أقبل من جسده، يفعلُ ذلك ثلاث مرات، فإذا اشتكى كلف من يقوم بذلك.

قلت: فهمت هذا.. ولكني لا أزال أتعجب من مسحه ﷺ بيده اليمنى على المريض ثم دعائه له، فقد كان ﷺ يمسح بيده اليمنى على المريض، ويقول:(اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما)(3)، وكان يقول:(امسح البأس رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت)، وكان أحيانا يضع يده على جبهة المريض، ثم يمسح صدره وبطنه ويقول:(اللهم اشفه)وكان يمسح وجهه أيضا.

قال: هذا من أسرار بركات الجسد، فاليد التي تمسح على الجسد مصحوبة بالدعاء تنزل ببركاتها وما يصحبها من جنود الدعاء على الألم فترفعه.

قلت: هي كالمرهم إذن.

قال: إن صحبتها البركة، فهي خير من المرهم.. وإن لم تصحبها، فلا خير فيها.

قلت: أتعالجون باليد المباركة إذن؟

قال: إن ظفرت بيد مباركة، فلا تفرط فيها.

قلت: أأطلب منها أن تداوي جسدي؟

قال: إن استطعت، فاطلب منها أن تداوي روحك(4).

---

1) الترمذي وقال: حسن صحيح.
2) أحمد.
3) أحمد وأبو د اود وغيرهما.
4) من الأحاديث الواردة في السمح باليد: قوله ﷺ:« إذا اشتكى أحدكم فليضع يده حيث يجد ألمه ثم ليقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبعا » مسلم.
ومنها قوله ﷺ:« امسحه بيمينك وقل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات » الترمذي.

وعن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله! بعثتني إلى قوم هم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القضاء، فوضع يده على صدري وقال: اللهم! ثبت

قلت: وفي إمكانها ذلك..
قال: ألم تسمع حديث شيبة بن عُثمان الحَجَبى؟
قلت: بلى.. فقد حدث نفسه بقتل رسول الله ﷺ كان عامُ الفتح، فقد قال يحدث نفسه: قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة، فأثار منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدا، ما تبعته أبدا، وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر فى نفسى إلا قوة، فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، فأصلت السيف، فدنوت أريد ما أريد منه، ورفعت سيفى حتى كدت أشعره إياه، فرفع لى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى، فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه، فالتفت إلى رسول الله ﷺ، فنادانى:(يا شيب؛ ادن منى)، فدنوت منه، فمسح صدرى، ثم قال:(اللهم أعذه من الشيطان).. قال: فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلى من سمعى، وبصرى، ونفسى، وأذهب الله ما كان فى نفسى، ثم قال:(ادن فقاتل)، فتقدمت أمامه أضرب بسيفى، الله يعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى كل شئ، ولو لقيت تلك الساعة أبى لو كان حيا لأوقعت به السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون، فكروا كرة رجل واحد، وقربت بغلة رسول الله ﷺ، فاستوى عليها، وخرج فى أثرهم حتى تفرقوا فى كل وجه، ورجع إلى معسكره، فدخل خباءه، فدخلت عليه، ما دخل عليه أحد غيرى حبا لرؤية وجهه، وسرورا به، فقال:(يا شيب؛ الذى أراد الله بك خير مما أردت لنفسك)، ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى ما لم أكن أذكره لأحد قط، قال: فقلت: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لى. فقال:(غفر الله لك)(1)
قال: أرأيت أثر ذلك المسح المبارك؟
قلت: أليس ذلك خاصا به ﷺ ؟
قال: هو خاص به ﷺ، وينتقل لورثته ببركة اتباعهم له..
قلت: فهل تذكر لي مثالا يقرب لي هذا المعنى، فإني أجد بصيرتي تميل إليه، ولكني لا أجد لمصورتي ما يقنعها.
قال: مصورتك تريد الصور.
قلت: أنت عرف ذلك.

لسانه واهد قلبه، يا علي! إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء، فما أشكل علي قضاء بعد » الحاكم وابن سعد، وأحمد والعدني، وأبو داود والترمذي، وقال: حسن.
1) ابن سعد.

قال: أرأيت لو وضعت قطع حديد صغير متناثرة، ثم وضعت فوقها مغناطيسا جذابا؟

قلت: إن قربته منها انجذب إليها، فإن ضعف قربه حركها وحولها إلى الاتجاه الذي أريد.

قال: فكذلك الروح الممغنطة بنور الذكر والورع تمر على الخلايا بجاذبيتها الإيمانية، فتحولها صفوفا منتظمة، ليس لها من دور غير خدمة صاحبها.

النفس

قلت: فلنتحدث عن برمجة النفس.. لقد زعمت بأن جسدي مستقل عني.. أتراك تزعم بأن نفسي مستقلة هي الأخرى؟

قال: هي كذلك مستقلة عنك.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(يوسف:53)، فقد أخبر تعالى أن النفس تأمر صاحبها بالسوء.. وأمرها له يدل على مغايرتها له.

وقد أخبر تعالى في آية أخرى بأنها تلوم صاحبها، فقال تعالى: ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾(القيامة:2)، ولومها له يدل على أنها تخالفه وتغايره.

قلت: فما النفس حتى أعرف مغايرتها لحقيقتي؟

قال: سرها ستعرفه في (بنيان الله)

قلت: فعرفني الآن من أسرارها ما أفهم به مغايرتها لي.

قال: نفسك هي الجهاز الذي يخدم وجودك على هذه الأرض.

قلت: أليس الجهاز الذي يخدم وجودي على الأرض هو جسدي؟

قال: لا.. جسدك هو مركبك الذي تركبه.

قلت: ونفسي؟

قال: هي جهاز تزويده بما يحتاجه لينطلق.. فهل يمكن لسيارتك أن تسير بلا وقود؟

قلت: لا.. لا يمكن ذلك.

قال: فالنفس هي التي تخبرك عن حاجتك للوقود، وتدلك عليها.. وهي التي تملأ فمك منها.

قلت: لم أفهم هذا.

قال: لقد خلق الله لجسدك حاجات كثيرة، ولا يتولى هذه الحاجات إلا النفس.

قلت: فكيف تتولاها؟

قال: بأخلاق طبعت عليها تسمونها الغرائز.

قلت: تقصد الشهوة والغضب والشح والحرص والأنانية وغيرها.

قال: أجل.. فقد أخبر تعالى أنه طبع النفس بهذه الأخلاق، فقال: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ (النساء:128)

قلت: فلم طبعت عليها.. ولم لم تطهر منها؟

قال: لن يستقيم وجود الإنسان على هذه الأرض من دونها.

قلت: فلم نسمع الأمر بقهر النفس وعدم تلبية طلباتها؟.. ألم يقل الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(النازعات:40 ـ 41)؟

قال: بلى.. ولكن الله تعالى نهى عن إعطاء النفس هواها، ولم يأمر بقهرها.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لو أمر بقهرها، وقتل شهواتها، ودفن غرائزها ما قال: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الزخرف:71)، فقد أخبر تعالى أنه يعطي لأهل الجنة ما تشتهيه أنفسهم من الملذات، وهذا يعني أنهم لم يقتلوها.

قلت: فما معنى النهي عن إعطاء النفس هواها؟

قال: لقد خلق الله تعالى في النفس الحرص على بقاء الإنسان سليما معافي في الأرض، ليسقيم بقاؤه، فهي لذلك قد تغفل عن غير هذه الوظيفة، فلا ترى إلا صاحبها، فتجتهد ــ على حسب علمها البسيط ــ في حفظه، ولكنها قد تخطئ، فتتيه في أودية الأماني.

قلت: وما مثل ذلك حتى أفهمه؟

قال: مثل أم حنون حريصة على ولدها.. ولكنها لغفلتها وغبائها تظل تطعمه إلى أن يصاب بالتخمة خوفا عليه من الجوع، وقد تمنعه من مصالحه خوفا عليه من الألم.

قلت: فهذه الأم هي النفس.

قال: أجل.. فهي تبحث عن الأماني متصورة أن الكمال فيها، فتحجب صاحبها عن بركات الكون.

قلت: فهي حجاب من حجب البركة؟

قال: وهي محال من محالها.

قلت: كيف يستقيم ذلك؟

قال: كل محل من المحلات إذا وجه لغير وجهته أو انحرف به

صاحبه عن غايته يصير حجابا من الحجب.

قلت: فكيف تصير النفس محلا لاستقبال البركات؟

قال: بأربعة.

قلت: أعلم أنها أربعة.. فليس هناك غير أربعة.. فما هي؟

قال: الطمأنينة، والاعتدال، والتوازن، والسلام.

الطمأنينة:

قلت: فحدثني عن الطمأنينة.

قال: هي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ يَا أَيَّتُهَـا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِـيَّةً فَـادْخُلِي فِي عِبَـادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر:27 ـ 30)

قلت: فما الطمأنينة؟

قـال: هي السـكون العظيم الـذي يملأ أرض الجسـد راحـة، وجهاز النفس سلاما.

قلت: أريد لغة صريحة.. فلا أفهم مثل هذه الألغاز.

قال: عندما يكون البحر هائجا قد تغـرق السـفن الـتي يقلهـا، وعنـدما تزلـزل الأرض تنحـدر الأحيـاء في الأخاديـد الـتي تحفرهـا الزلازل.

قلت: لم تزدني إلا غموضا.

قال: الأرض المطمئنة هي الأرض التي يصلح فيها كـل نبـات، ويخضر فيها كل زرع.

قلت: بدأت أفهم.

قال: أليس الإنسان ترابا كالتراب؟

قلت: بلى.. فقد نص القرآن الكريم على ذلك.

قال: فالتراب لا يكـون صـالح نافعـا مباركـا إلا إذا كـان هادئـا مطمئنا لترقد فيه البذور، ثم تنبت كل أنواع الزهور.

قلت: أهكذا النفس؟

قــال: أجــل.. النفس الهادئــة المطمئنــة نفس مســتقرة لا تزعزعهـا ريـاح الغضـب، ولا أعاصـير الجشـع، ولا عواصـف الأنـا الكاذبة.

قلت: فهذه النفس مستعدة للبركة.

قال: أجل.. ألم تسمع قوله ﷺ: (إن هذا المال خضرة حلــوة، فمن أخذه بسخاوة نفس وحسن أكلـه بـورك لـه فيـه، ومن أخـذه بإشراف نفس وسوء أكله لم يبارك له فيه، وكان كالـذي يأكـل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول)(1)؟

---

1) البخاري.

قلت: لقد أخبر ﷺ في هذا الحديث أن لسخاوة النفس وسماحتها تأثيرا في حصول البركة.

قال: وأخبر أن للحرص والشح تأثير في سلبها.

قلت: فما تأثير سلبها؟

قال: عدم انتفاع الإنسان بما يأكله، ألم تسمع قوله ﷺ:(لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع)، وقد ورد في حديث آخر:(إن هذا المال خضرة حلوة، ومن سأل الناس أعطوه، والسائل منه كالآكل ولا يشبع)

قلت: فما معنى ذلك؟

قال: معناه عدم انتفاع الإنسان به.. فهو يتصور النقص في الأشياء.. ولكن سلوكه ونفسه هي التي ملأت هذه الأشياء فسادا.

قلت: ولكنا نرى أمثال هؤلاء كالفيلة ضخامة، وكالأحصنة قوة.

قال: أولا ترى عقولهم كعقول العصافير، وأرواحهم كالمستنقعات والمزابل!؟

قلت: بلى..

قال: فما فائدة جسم يسمن لتلتهمه النار؟.. وما فائدة قوة تخفي أعظم ضعف؟

قلت: صدقت.. فما مثال هذه النفس المملوءة حرصا؟

قال: مثال الكلب.

قلت: الكلب!؟

قال: أجل.. فهي في اندافعها وهيجانها ولهثها لا تختلف عن الكلب.. فلذلك لا تجد البركة ـ إن أرادت النزول ـ محلا تنزل عليه، ألم تسمع قوله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (لأعراف:176)

قلت: بلى.. فهذه الآية فيمن انسلخ من العلم.

قال: وهي فيمن اتبع هواه، فهو يلهث وراء السراب، وهو لا يعلم أنه ترك ما يبحث عنه خلف ظهره.. أتدري ما مثله في ذلك؟

قلت: مثل العير في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

الاعتدال:

قلت: فما الاعتدال؟

قال: هو أن لا تأخذ من الأشياء إلا ما تحتاجه منها.

قلت: ولكن الله تعالى سخر لنا كل شيء.. فكيف تأمرني

بأن لا آخذ إلا ما أحتاجه؟

قال: إن أخذت مـا لا تحتاجـه منعت غـيرك مـا يحتاجـه.. وإذا منعت غيرك ما يحتاجه أصبت بالمحق.. فتأكل، ولا تشـبع.. وتلبس، ولكن تظل عاريـا.. وتسـكن.. ولكن الريـاح السـبعة تظـل تعصـف على جدرانك.

قلت: ولكن الله خلق كـل شـيء بكـرم عظيم.. فنحن نحتـاج إلى لقيمات، ولكن الله خلق لنـا مخـازن من الكـرم لا حـدود لهـا.. ونحن نحتـاج إلى قطـرات من المـاء، ولكن اللـه خلـق لنـا بحـارا وأنهارا ومحيطات.

قال: ولكنه أمرنا مع ذلك بالاعتـدال.. ألم تسـمع مـا روي في الحديث: مر رسول الله ﷺ برجل يتوضأ يغـرف المـاء في وضـوئه فقـال: يـا عبـد اللـه لا تسـرف فقـال: يـا نـبي اللـه وفي الوضـوء إسراف؟ قال: نعم.

ألم تسـمع قبـل ذلـك قولـه تعـالى: وَهُـوَ الَّذِي أَنْشَـأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـاتٍ وَالنَّخْـلَ وَالـزَّرْعَ مُخْتَلِفـاً أُكُلُـهُ وَالزَّيْتُـونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُـوا حَقَّهُ يَـوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(الأنعام:141)، فقد عـدد اللــه نعمــه وفضــله على خلقــه، ثم ختم كــل ذلــك بــالنهي عن الإسراف، وأخبر عن بغضه للمسرفين.

قلت: لقد سمعت عن مضار الإسراف كثيرا، ولكـني أتسـاءل عن علاقته بالبركة.

قـال: البركـة لا تكـون إلا بالاعتـدال.. فالمسـرف لا ينـال إلا المحق.

قلت: لم؟

قال: لأنه برمج نفسه على أنه مهما أكل فلن يشـبع.. فلـذلك يظل يأكل، ولا ينتفع بأكله إلى أن يموت بالتخمة.

قلت: ولكن لم يحرم بركة أكله؟

قال: لأنه أسرف إسرافا منع جسده من الانتفاع بنعم الله.

قلت: اضرب لي على ذلك مثالا.

قال: أرأيت لو أن عمالا كلفوا من الأعمال ما لا يطيقون..؟

قلت: في أي نظام.. نظم السخرة.. أم نظم الحرية؟

قال: في نظم الحرية.

قلت: سيضرب العمال.. وسيتعطل الإنتاج.

قال: فهكذا عمال الجسد.. سيضربون ويندون بكـل صـنوف التنديد إن كلفهم صاحب العمل الذي هو النفس بما لا يطيقون.

قلت: فسر لي ذلك.

قال: أرأيت من طبق قوله ﷺ:(مـا ملا آدمي وعـاء شـرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فـان كـان لا محالـة ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)(1).. فالتزم بـه.. أتـراه يتعب جهازه الهضمي!؟

قلت: كلا.. فإن معدته ستجد الجو المناسـب الـذي ييسـر لهـا هضم الطعام بكل حرية.

قال: وهل يمتص الجسم بركات الأغذية؟

قلت: أجل.. يمتصها بشغف وشوق.. ففرق كبير بين أن تأكل وأنت جائع وجسـمك محتـاج، وبين أن تأكـل وأنت متخم لا تريـد إلا إرهاق جسدك.

قلت: لقد ذكرتني بقوله ﷺ:(زر غبا تزدد حبا)(2)

ابتسم، وقال: أجل.. ونعم ما استشهدت به.

التوازن:

قلت: فما التوازن؟

قال: هو انسجام النفس مع نفسها ومع الكون ومع الله.

قلت: فكيف تنسجم؟

قال: بالتوازان.

قلت: أعرف الاسم.. ولكني لا أعرف المسـمى، أو لا أعـرف كيف أنال بركاته.

قـال: أرأيت التـاجر الـذي يطفـف في المـيزان، فيأكـل حـق غيره.. هل ينال بركة تجارته؟

قلت: كلا.. فقـد توعـده اللـه تعـالى بالويـل، فقـال: ﴿ وَيْـلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾(المطففين:1)

قال: فمن المطففون؟

قلت: ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَـالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْـتَوْفُونَ وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين:2 ـ 3)

قال: وهل مع الويل بركة؟

قلت: لا.. فالويل فيروس يظـل يلاحـق صـاحبه إلى أن يلقيـه في هاوية المحق.

قال: فقد فهمت إذن.

قلت: لقـد فهمت التطفيـف في المـيزان.. ولكـني لم أفهم التطفيف في الحياة.

---

1) أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم.
2) البزار، والطبراني في الأوسط والبيهقي.

قال: ما حياتك إلا ميزان من الموازين.
قلت: كيف ذلك؟
قال: ألا يوزن الناس يوم القيامة في الموازين؟
قلت: بلى.. وقد قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(الانبياء:47).. وقد أخبر ﷺ أن صاحب العمل يوزن، فقال:(يُؤتَى يوم القيامة بالرجل السَّمِين، فلا يَزِن عند الله جَنَاح بَعُوضَة)(1) ثم قرأ: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾(الكهف:105)
وقد ورد في مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:(أتعجبون مِن دِقَّة ساقَيْهِ، فوالذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحُدٍ)(2)
قال: فقد أخبر ﷺ أن الرجل يوزن.
قلت: كما أخبر في نصوص أخرى أن الأعمال توزن، وأن الكتب توزن(3).
قال: فهل الحكيم هو الذي نزن نفسه قبل أن يوزن.. أم الحكيم من يترك نفسه لهواها.. فلا يزنها بموازين الحكمة؟
قلت: بل الحكيم من يزن نفسه قبل أن يوزن.. ويكفي في ذلك أن يدمن على العمل الصالح.
قال: لا يكفي العمل الصالح.
قلت: ماذا تقول؟ إن لم يكف العمل الصالح.. فما يكفي؟
قال: وزن العمل الصالح.
قلت: العمل الصالح سيوزن عند الله، وسيلد حسنات كثيرة، فما الحاجة إلى وزنه في الدنيا؟
قال: العمل الصالح أنواع.. فلذلك تحتاج إلى الموازين التي تضبطه.. فيتوجه الوجهة الصحيحة المباركة.
قلت: لا يزال ذهني كليلا عن فهم هذا.
قال: أخبرني عن الملح.. هل هو طيب أم خبيث؟
قلت: بل طيب لا خبث فيه.. بل لا يصلح الطعام إلا به.
قال: أرأيت لو أتيت إلى قدر، فملأتها ملحا، أيمكنك أن

---

1) البخاري.
2) أحمد.
3) كما جاء في حديث البطاقة، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كِفَّة تسعة وتسعون سجلا كل سِجِلّ مَدّ البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها:« لا إله إلا الله » فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: إنك لا تُظلَم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان. قال رسول الله ﷺ: "فَطاشَت السجلات، وثَقُلَتِ البطاقة » رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه.

تتناولها؟
قلت: حينذاك لا يصلح لها إلا القمامة.
قال: فقد كانت طيبة.
قلت: ولكن الملح أفسدها.
قال: ولكن الملح طيب.
قلت: هو طيب بمقدار محدد، فإن تجاوز المقدار أفسد.
قال: فكيف نعرف المقادير؟
قلت: النساء عندنا يعرفن ذلك بالفطرة.
قال: فمن لم تكن لها فطرة نقية؟
قلت: ننصحها بأن تتخذ ميزانا أو مكاييل تعرف بها مقادير الملح، وإلا فلن يأكل طعامها أحد.
قال: فقد فهمت ما أقصد إذن.
قلت: أتقصد أن يتخذ كل واحد منا ميزانا يزن به أعماله؟
قال: أجل.. فالنفس قد تحن لبعض الأعمال الصالحة لهوى لها فيه.. فلا يبارك لها في العمل الصالح لتفريطها في غيره.
قلت: اضرب لي مثالا.
قال: أتعرف بشرا؟
قلت: هو فقيه من فقهاء السلوك إلى الله..
قال: أتعرف قصته مع الرجل الذي أرد الحج؟
قلت: أجل.. فقد روى أبو نصر التمار قال: إن رجلاً جاء يودع بشر بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك؟ تزهداً أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله، قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين.

قال: بورك فيك.. فقد رويت القصة بألفاظها.

قلت: وأروي أيضا عن عبد الله بن مسعود قوله:(في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب، يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه)

قال: وبورك فيما ذكرت من حديث ابن مسعود، فقد كان فقيها في دين الله عليما بأسرار البركات.

قلت: أنا أروي الحديث.. ولكني لم أفهم علاقته بالبركة.. ثم علاقة كل ذلك بالصحة.

قال: الصحة شيء متكامل.. فلا صحة لجسد يحمل قلبا مريضا، ونفس تتلاعب بها الأهواء، وعقل تحمل عليه جيوش الظنون.

قلت: لم؟

قال: لأن البركات لا تتنزل على أمثال هؤلاء.. والبركة هي سر ابتسامة الأنين.. ألست أراك تبحث عن ابتسامة الأنين؟

قلت: أجل..

قال: فهذا سبيل من سبلها.

قلت: فكيف نقيد أعمالنا بالموازين التي تحفظها من موبقات الهوى.

قال: بأن تستن بسنة أعظم الخلق بركة.

قلت: رسول الله ﷺ.

قال: من أراد العلم قصد العلماء.. ومن أراد البركة لا يقصد إلا المباركين.

السلام:

قلت: فما علاقة السلام بالبركة؟

قال: البركات لا تتنزل إلا على النفوس المسالمة.

قلت: لم؟

قال: لأن النفوس المحاربة تستقبل البركات بالرماح والأسنة، فتحول بينها وبين النزول إلى أراضي النفوس.

قلت: وهل هناك من يشبع من البركة، فيحول بين نفسه وبينها؟

قال: أجل.. النفوس المحاربة المصارعة.

قلت: ولكن النفوس لا تحارب إلا من يحاربها.

قال: لا.. النفوس المحاربة تلتذ بحربها.. ولا ترى اللذة إلا في انتصارها وفي إسقاطها لخصومها.. فلذلك لا ترضى أن تستقبل

البركات بالسلام.. بل تريد أن تقتنصها بالصراع.
قلت: فإن لم تجد من تحاربه؟.
قال: تصطنع عدوا تحاربه.. الصراع عندها كالغـذاء والمـاء.. لا يمكنها أن تتخلى عنه.
قلت: ولكنها قد تنال بصراعها أشياء كثيرة..
قال: نعم يحصـل ذلـك.. ولكنـه ممحـوق البركـة.. ألم تسـمع بخزائن قارون؟
قلت: بلى.. فقـد آتـاه اللـه ﴿مِنَ الْكُنُـوزِ مَـا إِنَّ مَفَاتِحَـهُ لَتَنُـوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص:76)
قال: ولكنه رفض أن ينسبها لله.. بل تصور أنه حصلها بجهـده وعلمه وصراعه.
قلت: أجل.. وقد قال تعـالى في ذلـك على لسـانه عنـدما نبهـه قومه:﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾(القصص:78)
قال: فقد رفض أن ينسب الأمر إلى أهله.
قلت: أجل.. وذلك شأن المصارعين.
قال: فهل بورك له في ماله؟
قلت: لا.. بل خسف الله به وبداره وبماله الأرض.
قال: وهكذا مصير كل مصارع.. فلن ينال من البركات إلا مـا نالـه قارون منها.
قلت: ولكنا لم نسمع برجل خسف به غير قارون.
قال: فاذهب إلى المقابر واسألها..

العقل

قلت: فلنتحدث عن برمجة العقل.. لقـد زعمت بـأن جسـدي ونفسي مستقلان عني.. أتراك تزعم بأن عقلي مستقل هو الآخر؟
قال: عقلك تجل من جليـات حقيقتـك ومظهـر من مظاهرهـا وطاقة من طاقاتها.
قلت: فهو أنا.. وليس غيري.
قال: هـو أنت إذا لم تسـتعمره النفس، ولم تقيـده الأعـراف، ولم تستعبده الأهواء.
قلت: فإن استعمر.
قال: يصير أعدى أعدائك.. ولن تنال منه إلا المحق.
قلت: كيف ذلك؟
قال: عقلك هو النافذة التي تطـل بهـا على حقـائق الوجـود.. وهو النور الذي تتعـرف بـه على واهب النـور.. وهـو العقـال الـذي

ينظم نفسك لتنسجم مع الكون وتتخلق بأخلاق حقيقتها.. فإن كان كذلك كان لبا.. وكان بركة محضة.. ألم تسمع الله تعالى، وهو يثني كل الثناء على أولي الألباب؟

قلت: بلى.. فقد ورد فيهم قرآن كثير، فالله تعالى يقول: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران:7)

قال: هذه الآية هي التي تدلك على بركات العقل.. وتنبئك على أسرار المحق.

قلت: فهي مفتاح البركة والمحق المرتباطان بالعقل.

قال: أجل.. فقد ذكر الله العقول الممحوقة، وهي العقول التي لا تتغذى إلا على المتشباهات التي تملؤها بالفتنة، وتبشرها بالجهل.. وذكر بجانبها العقول المباركة.. عقول الراسخين في العلم الذين لا ينحبجبون بالمتشباهات عن المحكمات.. ويتعرفون بكليهما على الحقائق.

قلت: فبركة العقل هي التغذي بغذاء المحكمات.

قال: من تغذى بغذاء المحكمات رزقه الله القوة على هضم المتشباهات.. بل جعل له من القوة ما يحول من المتشابه محكما.

قلت: ومن تغذى بالمتشابهات؟

قال: جعل الله في عقله من الغشاوة ما يجادل به المحكمات.. فلا تهضم في عقله، كما لا ينهضم الطعام الطيب في بطنه لإدمانه على الخبث.

قلت: فكيف نغذي عقولنا بالمحكمات؟

قال: إذا أدركنا وظيفة عقولنا.. وفهمنا سرها.. وتعرفنا على طاقاتها.

قلت: فما علاقة هذه المعارف بالبركة؟

قال: الجسد مرآة من المرائي التي قد تتعرف بها على الحقائق.. فلذلك سنستعير الأمثلة عنه.

قلت: ذلك سيبسط المسألة.

قال: أرأيت لو أن شخصا جهل ما يمكن لجهازه أن يهضمه.. فراح يطعمه السموم.

قلت: سيقتل نفسه لا محالة.

قال: فكذلك جهاز العقل الذي هو أمير النفس.. إذا غذي

بغذاء المحكم هضم وقوى عقله ليهضم غذاء الشبهة.. ولكنه إن لم يغذه بالحكمة، سيقتله تناوله لغذاء الشبهة.

قلت: فسر لي ذلك بما يعمق هذه الحقيقة في نفسي.

قال: ألم تسمع ما قال الله تعالى في مثال البعوضة؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾(البقرة:26)

قال: فالمؤمنون نظروا إلى هذا المثال من زاوية المحكم، فتعرفو به على الله، والكافرون نظروا إليه من زاوية المتشابه، فحجبوا به عن الحق، ومحقت بركة عقولهم.. ألم تسمع ما قال الله تعالى في تأثير التسعة عشر؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(المدثر:31)

قال: لقد اعتبر الله تعالى عدتهم فتنة للذين كفروا، ويقينا للذين أوتوا الكتاب، وزيادة إيمان للذين آمنوا.

قلت: بلى.. ذلك واضح.. فالغذاء واحد.. ولكن التأثير مختلف.

قال: المؤمنون غذوا إيمانهم بمحكم الإيمان بالله، فنالوا بركات العلوم.. ولكن الغافلين منعوا من هذه المعارف ببحثهم عن المتشابه، فصار الدواء في عقولهم داء، وصار الحق في أفواههم باطلا.

قلت: وعيت هذا.. فبركة العقل هي المحكمات.. فبها تتشرب المتشابهات.

قال: وبها تتغذى من كل حقائق الوجود.. ألم يقل الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾(البقرة:269).. أتدري ما الحكمة؟

قلت: سمعت أن الحكمة هي الفهم عن الله.

قال: بأدوات أهل الله.

قلت: فما علاقة هذا بالصحة.. ألسنا في مستشفى السلام؟

قال: مستشفى السلام يعالج النفس بالعقل.. ويعالج الجسد بالنفس.

قلت: كيف ذلك؟
قــال: يجعــل للعقــل الإمــارة على النفس، ويجعــل للنفس الإمارة على الجسد، كما يجعل للروح الأمارة على كل ذلك.
قلت: كيف يجعل الإمارة للعقل على النفس؟
قال: النفس قد تسترسل مع شـهواتها، فتحتـاج إلى أن تلجم بلجام العقل.. فالعقل هو العقال الذي تضبط به النفس..
قلت: اربط لي هذا بالصحة.
قال: لن يصعب عليك ربط كل ما ذكرناه بالصـحة.. فالصـحة كل متكامل.. وكل ما يؤثر في عقلك، يؤثر في جسـدك ونفسـك.. ولكني سأخاطبك بما يعي قومك.
قلت: أجل.. فهو أقرب لفهمي.
قال: أرأيت المدمن الذي خرب جسده بنيران شهوات الخمر والمخدرات لمن يسترسل في ذلك؟
قلت: لنفسه الأمارة بالسوء.
قال: ولماذا لا يحكم عقله.. فيتبصر خطر ما هو فيه.
قلت: عقلـه صـار تحت زمـام نفسـه.. فهـو يبحث ويخطـط ليصل إلى ما تشتهيه نفسه.
قال: ولكن لماذا لا ينظر إلى الحقيقة؟
قلت: شــبهات طغت على عقلــه.. فحــالت بينــه وبين فهم الحقائق المرتبطة بصحته.
قال: مثل ماذا؟
قلت: كثـيرة هي.. ولعـل أهمهـا انشـغاله باللحظـة.. فعقلـه وجودي لا يؤمن إلا بلذة الساعة.. ولسان حالـه يقـول (النقـد خـير من النسيئة) أو (درهم في الجيب خير من عشرة في الغيب)
قـال: فقـد منـع عقلـه من غـذاء المحكمـات بتغذيتـه بغـذاء المتشابهات..
قلت: فكيف يفلح هذا العقل؟
قــال: بعودتــه إلى المحكمــات.. فبالمحكمــات يبــارك في المتشابهات، وتصد الشبهات.
قلت: فهل نجلس كجلوسك هذا لنتغذى بالمحكمات؟
قــال: ليس الشــأن أن تجلس بجســدك.. ولكن الشــأن أن يستقر عقلك في ميدان الفكرة.. فما نفع العقل شيء مثـل رعيـه في ميادين الحكمة.

الروح

قلت: فلنتحدث عن برمجة الروح.. فما هي الروح؟
قال: ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَـا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الاسراء: 85)
قلت: فكيف أبرمج ما لا أعلم؟
قال: ومن قال لك بأن الله تعالى لم يخبرنا عن الروح.. ألسنا سوى الروح؟ فكيف يتركنا الله أسارى جهلنا لذواتنا؟
قلت: ولكن الآية واضحة.. فالله يخبرنا بأن الروح من أمــره.. وأنا لم نؤت من العلم إلا قليلا.
قال: ولم تعتقد أن الله تعالى لم يخبرنا عن الروح؟
قلت: لأنها من الأمور الغامضة التي لا يمكن للعقول الضعيفة معرفة شأنها.
قال: وهل الروح أعظم شأنا من الله؟
قلت: ما تقول؟.. لقد قف شعري مما قلت..
قال: لا تخف.. فأنا لم ألحد في قولي.. ولكني أتساءل.. فـإن كان الله عرفنا بنفسه.. وهو أعظم شأنا.. واستطعنا أن نــدرك من معرفة الله ما نعبده به.. فكيف لا يعرفنا بأرواحنا، أو كيف تزعم أن أرواحنا أعظم من أن نعرفها؟
قلت: ولكـني لم أر في حيـاتي من وصـف طـول روحـه أو عرضها أو لونها أو شكلها.
قال: من ابتغى أن يعـرف الـروح بهـذه الأوصـاف فقـد غـذى عقله بلبان المتشابهات.. ومن تغـذى بلبـان المتشـابهات لم يـدرك من الحقائق إلا ما يصرفه عن الحقائق.
قلت: فكيف أعرف الروح إن لم أعرفها بهذه الأوصاف؟
قـال: كمـا تعـرف اللـه تعـرف روحـك.. ألسـت تعـرف اللـه بأسمائه وصفاته؟
قلت: بلى.. فلا يمكن إدراك الذات.
قال: فكـذلك معرفتـك لروحـك.. تعرفهـا بأوصـافها وطبائعهـا وخصائصها لتتعامل معها على أساس ذلك.. ولن تتنزل البركـات إلا على من عرف سر روحه.
قلت: فأنبئني عن أسرارها.
قال: ستعرفه في بنيان الله..
قلت: ولكني أطلب البركات.. فهـل أحـرم من بركـات روحي حتى أصل إلى ذلك المحل الرفيع؟
قال: لا.. يمكنك أن تعرف من أمور الروح ما يفيدك في تنزل البركات.

قلت: فما هو؟
قال: أن تعرف قبلة الروح.. فلبركات الروح قبلـة واحـدة، لن ينال البركات إلا من توجه لها.
قلت: فما هي قبلة الروح؟
قال: هي التي عبر عنها الله تعـالى بقولـه: ﴿ فَأَيْنَمَـا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (البقرة:115)
قلت: أراك تشير بها إلى شيء لا أفقهه.
قال: الآية واضحة في الدلالة عليه.. ومما يزيـد في توضـيحها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَـبُهُ الظَّمْـآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْـدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَـابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور:39)
قلت: لم تفسر الغموض بالغموض؟
قال: لقد خلق الله عباده لمعرفته.
قلت: أفهم هذا.. فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذريات:56)
قال: فالأرواح في أصل خلقتها تتوجه إلى الله.. ولا تجد لـذتها إلا في ذلك.
قلت: أجل.. ولكنها تحيد عنها بتلبسها بالشهوات والأهواء.
قال: فهي في تلبسها بذلك تطلب الماء في السراب..
قلت: ما تقصد بذلك؟
قال: هي تطلب الله.. ولكنها تتيه عنه باللذات.. فلذلك تتوجه كل الوجهات تبحث عن الله.. فتتيه عنه بأخطاء النفس والعقل.
قلت: أيمكن أن تقع الروح أسيرة العقل والنفس؟
قال: أرواح الأولياء والأصفياء ملوك على العقـول والنفـوس.. أما أرواح غيرهم فأسيرة في أيدي النفوس والعقول.
قلت: فكيف تتنزل البركات على الروح؟
قال: بتوجهها إلى الله واستمدادها منه وتلذذها بمعرفته.
قلت: فما علاقة ذلك بالصحة.
قال: أصحة الإنسان، أم صحة أعضاء الإنسان؟
قلت: صحة الإنسان.
قال: لن تستقيم صحة الإنسان إلا بصحة الروح.
قلت: فمن تدنست روحه بأدناس الأغيار..!؟
قال: يظل مريضا، ولو عولج بعقاقير العالم.
قلت: ولكنا نراه بعافية يحسده عليها الصالحون.
قال: قلوب الصالحين لا تعرف الحسد.

قلت: أنا لا أريـد حسـدهم.. ولكـني أريـد المقارنـة بين صـحة الغافلين وصحة العارفين.

قال: أرأيت لو أن شخصـا أصـابه جـرح في جسـده، وبجانبـه شخص أصابه جرح في قلبه.. فأيهما أكثر عافية، وأيهما أكثر ألما.

قلت: مريض القلب أكثر مرضا.. أما جرح اليـد فسـرعان مـا يندمل.

قال: فلذلك ذكرت لك أن قلوب الصالحين لا تعرف الحسـد.. لأنهم لا ينظـرون إلى عافيـة الأجسـاد، بـل ينظـرون إلى عافيـة الأرواح.. ومن عافاه الله في روحه لا يضره أن يتضرر جسده.. بـل إن من كملت روحه يداوي جسده بروحه.

قلت: أيمكن ذلك؟

قال: نعم.. فمراهم الروح لا تقف بجنبها المراهم.

قلت: أيمكن أن نعالج الأدواء الخطيرة بالروح؟

قال: بالروح المطعمة بلبان البركة يمكنك أن تفعل كل شيء ألم تسمع قوله ﷺ:(قال الله تعالى ما تقرب إلى عبدي بمثـل اداء فرائضي وإنـه ليتقـرب إلى بالنوافـل حـتى احبـه فـإذا أحببتـه كنت رجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها ولسانه الذى ينطـق بـه وقلبه الذى يعقل به إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته)(1)

1) ابن السنى في الطب عن سمويه.

ثالثا ـ مخزن البركة

قصدنا القسم الثالث من أقسام (أدوية السماء)، فقرأت على بابه لافتة مكتوبا عليها قوله ﷺ:(اللهم بارك لنا في ثمرنا)(1)

وقد كان هذا القسم أشبه بمخزن كبير تجبى إليه ثمرات كل شيء، فسألت معلم البركة عنه، فقال: هذا قسم الغذاء المبارك.. وبما أن الله تعالى وزع البركة في رزقه، فإن أهل هذا القسم يلتمسون البركة في كل ما خلق الله من أرزاق.

قلت: لم؟

قال: ألا تعرف العناصر المؤثر في الأغذية والأدوية؟

قلت: أجل.. ففي الأدوية مثلا هناك العناصر الأساسية المقصودة بالأصالة، وهناك المسوغات.

قال: أرأيت لو أن الدواء لم يحتو إلا على مسوغات صرفة، ولم يحتو على أي عناصر فاعلة.. كيف تعتبره؟

قلت: هذا دواء مغشوش قد يصلح للمرضى بالأوهام، ولكنه لا يصلح علاجا للأسقام.

قال: فتلك العناصر المؤثرة في الدواء هي عناصر البركة التي يلتمسها أهل هذا القسم.

قلت: وكيف يعرفونها؟

قال: لديهم مخابرهم التي تبحث في هذا الباب.

قلت: لا أعرف من المخابر إلا المخابر الكيميائة التي تميز أنواع المكونات المختلفة.

قال: لديهم مثل هذا النوع من المخابر.. ولكنهم لا يكتفون بها.

قلت: فإلى ماذا يرجعون؟

قال: أهل هذا المستشفى يحترمون كل ما يأتيهم من العلم، ويتوثقون منه.. فلذلك تجدهم ينشرون الإعلانات، بل الحوافز لكل من وجد البركة في طعام أن يدل عليها، ويبشر بها.

قلت: أيملك الناس مخابر في بيوتهم؟

قال: وقبل أن توجد المخابر كيف كان يعيش الناس؟.. أم أن هذه المخابر التي تعبدونها هي التي حفظت البشر من الفناء.. أليس البشر يموتون في كل العصور؟

---

1) مسلم، والترمذي، ونص الحديث:« اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم! إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه »

قلت: ولكن الله تعالى أمرنا بالرجوع إلى الخـبراء.. ولا يمكن أن يكون هناك خبراء بلا مخابر.

قال: ولكن الخبير هو الذي يحترم كل من يأتيـه.. وينتفـع بـه.. ولا يلغيه لأن عقله لم يدرك ما أتاه به.

***

قال ذلك وانصرف، فبقيت أسير في القاعة وحدي، مدهوشـا بما فيهـا من الخـير والجمـال، فجـأة لاحظت دكانـا لا يختلـف عمـا نعرفه من دكاكين، وقد وقف عليه رجل مهيب، ولكنه يرتـدي بذلـة البقالين، فتعجبت من ذلك، ولم أدر إلا وأنا أقول له بلهجة شـديدة: يا هذا.. أتراك أخطأت أم تعمدت الخطأ؟

قـال بهـدوء: أوضـح، فمن الخطـأ أن تـرمي بالخطـأ دون أن تحدده.. ألم تراجع دروس السلام؟

قلت: وهل للسلام علاقة بهذا؟

قال: في أي مرحلة أنت؟

قلت: في السنة أولى ابتدائي.

ضحك، وقال: أنت لا تزال تتعلم الحروف إذن.. فاسمع مـني: أنت تبحث عن المتوسمين ليدلوك على وسائل البركة وأسبابها.

قلت: لم تعـدو مـا في نفسـي، ولا أحسـبك إلا واحـدا منهم.. ولكن كيف تتاجر في مستشفى السلام؟

قـال: وهـل حـرم اللـه التجـارة.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿ وَآخَـرُونَ يَضْـرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُـونَ مِنْ فَضْـلِ اللَّهِ وَآخَـرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل:20)؟

قلت: بلى، فقـد قـرن اللـه تعـالى في هـذه الآيـة بين الجهـاد والضرب في الأرض.

قـال: بـل قـدم الضـرب في الأرض على الجهـاد، فلا يمكن للمجاهد أن يجاهد لولا وجود من يضرب في الأرض.

قلت: فهمت هذا.. ولكن ما سر البيع في هذا المستشفى؟

قال: أنا لا أبيع.. ولكني متوسم مختص بالبحث فيما بارك الله فيه من الأغذية.

قلت: أهناك أغذية مباركة بالأصالة؟

قال: أجل.. فمن رحمة الله أن جعل في بعض الأغذيـة بركـة يستفيد منها الجميع.. ولولا هذه البركات لهلكت الأرض ومن عليها.

قلت: أهي في الأغذية؟

قال: هي في الأغذية والأشربة.

قلت: فكيف تعرفها؟.. ألديك تحاليل خاصـة تتعـرف بهـا على

عناصر البركة؟
قال: البركة لا تعرف بالتحاليل.. بل تعرف بالتوسم من المصادر المعصومة.. فإن كانت لك القدرة على سماعها كانت لك القدرة على اكتشافها.
قلت: أرأيت لو أنك وجدت البركة في غذاء من الأغذية.. ثم أثبت العلم الحديث بوسائله الحديثة ضرره أكنت تتهم البركة، أم تتهم العلم؟
قال: لا يصطدم العقل الصحيح مع النص الصريح.. فإن رأيت افتراقهما بحثت عن أسباب الافتراق.
قلت: فما تجد في العادة؟
قال: أجد أغذية البركة قد حورت وبدلت.. أو أن من نتاولها تناولها مصارعا، ولم يتناولها مسالما.. أو أجد أسبابا أخرى قد عرفتها، وستعرفها.
قلت: فهل تقارن بين ما اكتشفته من أغذية البركة، وبين ما توصل إليه العقل والعلم من ذلك؟
قال: أجل.. فبرفقتي بعض الخبراء.. وهم ملازمون لي لا يفارقوني.
قلت: فهل تتعلم على أيديهم؟
قال: هم يزعمون أنهم يتعلمون على يدي.
قلت: فهل تطعمني من أغذية البركة؟
قال: بل سأعلمك من علومها.. فقد أرسل إلي معلم البركة يطلب ذلك.. ولا مناص لي من طاعته.. ألم يقل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (النساء:59)
قلت: فما هي الأغذية التي ستذكر لي بركتها؟
قال: ما ورد في النصوص.. فقد اعتبرنا الأصل في البركة هو ما ورد في النصوص منها.
قلت: فما ورد في النصوص؟
قال: كثيرة، وقد تجتمع في عشرة، وكلها مما أشار إليه القرآن الكريم.
قلت: فما هي؟
قال: المياه، والهواء، والحبوب، والألبان، والتمر، والزيتون، والخضر، والفواكه، والبقول، واللحوم.
قلت: أراك تذكر الماء في الأغذية.. فهل هذا خطأ مطبعي، أم تراها زلة لسان؟

قال: لا هذا.. ولا ذاك.
قلت: فأنت تقصد ما تقول.
قال: أجل.. فالماء هو سيد الأغذية المباركة.. ألم ينص القرآن الكريم على بركته، فقال تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً (قّ:9)؟
قلت: بلى.. فمن أين تبدأ تعليمي أسرار بركات المياه؟
قال: ومن قال لك بأني من يعلمك أسرار بركات المياه؟
قلت: ما هذا ـ معشر المتوسمين ـ لقد ذكرت لي الآن بأن معلم البركة دعاك إلى تعليمي أسرار بركات الأغذية.
قال: ذلك صحيح.. فقد طلب مني، ولا مناص لي من تنفيذ طلبه.
قلت: فقد قررت إذن تعليمي.
قال: لقد قلت لك بأني لن أقوم بتعليمك أنا..
قلت: سلمت لك مع تناقضك.. فمن يعلمني؟
قال: ما ذكرته لك من المعلمين.
قلت: لم أسمعك تذكر معلما عدا معلم البركة.
قال: ألم أذكر لك أسماء الأغذية المباركة؟
قلت: بلى..
قال: فهي التي ستقوم بتعليمك.
قلت: إلى الآن لا تزال بقية من عقلي في رأسي.. فلا ترفعها.. فإنها توشك أن تتبخر.
قال: العقل لا يتبخر.. فلا تخف.
قلت: قد لا يتخبر، ولكنه يتلف.. فإن أردت أن لا يحصل له هذا، فوضح لي ما تريد.
قال: ألم يخبرك المعلم عن حياة الكائنات؟
قلت: بلى.. وقد أخبرني عن وعيها.. ولكنه أرجأ التفاصيل المرتبطة بذلك إلى رحلة وعدني بالقيام بها إلى (أكوان الله)
قال: ألم يخبرك بأن الأغذية المباركة تقوم بدور الطبيب في الجسم؟
قلت: أخبرني ذلك.. وقد سرني ما ذكره.
قال: لذلك ستذهب إلى هؤلاء الأطباء ليبخبروك.
قلت: ولكني لست سليمان عليه السلام؟
قال: ومن قال لك بأنك سليمان عليه السلام؟
قلت: ألم يقل سليمان عليه السلام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(النمل:16)؟

قـال: وهـل ذلـك خـاص بسـليمان عليه السلام؟.. ألم يكن الصـحابة يسمعون تسبيح الطعام.. ألم تسمع قـول ابن مسـعود:(كنـا نأكـل مع النبي ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)(1)

بل كانوا يسمعون تسبيح الحصـى، فقـد قـال أبـو ذر:(تنـاول رسول الله ﷺ سبع حصـيات فسـبحن في يـده حـتى سـمعت لهن حنيناً، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمـر فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن)(2)

قلت: ولكن ذلك كان في حضور رسول اللـه ﷺ، وقـد سـرى إليهم من بركاته ما جعلهم يسمعون.

قال: نعم بركات رسول الله ﷺ هي سر ما وصلهم من خير.. ولكن هذا الخير لم يكن محصـورا في حضـوره ﷺ.. ألم تسـمع مـا روى أبـو حمـزة الثمـالي قـال: قـال محمـد بن علي بن الحسـين وسمع عصافير يصحن قال: تدري ما يقلن؟ قلت: لا. قال: يسـبحن ربهن تعالى ويسألن قوت يومهن.(3)

ويروي عن علي بن الحسين قال: كنا معه فمـر بنـا عصـافير يصحن فقال: أتدرون ما تقول هذه العصافير؟ فقلنـا: لا. قـال: أمـا أني ما أقول إنـا نعلم الغيب، ولكـني سـمعت أبي يقـول: سـمعت علي بن أبي طـالب أمـير المؤمـنين يقـول: إن الطـير إذا أصـبحت سبحت ربها، وسألته قـوت يومهـا، وإن هـذه تسـبح ربهـا، وتسـأله قوت يومها(4)

قلت: أولئك آل بيت كرام.. وأين أنا منهم؟

قال: هل تحبهم؟

قلت: بل أعشقهم.. ولكني أرى نفسي أدنى من التراب الذي يمشون عليه.

قال: فمن رزق محبة الصالحين رزقه الله بركاتهم وآثارهم.

قلت: أما إن قلت هذا.. فإني مسلم لـك.. ولكن كيـف أرحـل إلى هـذه الأغذيـة المباركـة حـتى أسـمع أصـوات بركاتهـا؟.. هـل تجعلني قزما، فأدخل فيها كما أرى في أفلام الخيال؟

قال: لا.. لن تحتاج إلى ذلك.. ولم يجعل الله في قدرة جسـد الإنسان التمثل في الأشكال.

قلت: فكيف ألج عوالمها إذن؟

قال: بالبصـيرة.. فلهـا القـدرة على اخـتراق الآفـاق، ومعاينـة

---

1) أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه.
2) البـزار والطبراني.
3) أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية.
4) الخطيب.

السبع الطباق.

قلت: فماذا أفعل؟

قال: اقترب مني.

فاقتربت منه، فوضع يده على صدري، فأحسست ببرد أنامله تسري في عروقي.. ثم لم أره.. ولم أر شيئا مما كنت أراه.

الماء

فجأة لاح لي منظر عجيب قد نزل من السماء.. رأيت شبكة من اللآلئ المترابطة فيما بينها بروابط النور.. كل أربعة مرتبطة بأربعة في اتحاد عجيب يصعب اختراقه(1).. وكلها تشكل بحروف من نور صورة جميلة لقوله تعالى: ﴿ هَـذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (صّ:42)

لم أكن متعودا على خطاب الأشياء.. ولكن لكثرة ما سمعته عن حياة الكائنات وجدت لساني يقول من غير أن أشعر: من أنت أيتها اللآلئ المباركة.. فوجهك وجه خير.. ولسانك لسان خير؟

نطقت لؤلوة من اللآلئ، وقالت: أنا وأخواتي من اللآلئ نشكل بارتباطنا قطرة من قطرات المياه المباركة التي ملأ الله بها كونه.

قلت: أأنت لؤلؤة من قطرة ماء؟

قالت: كلنا لآلئ من تلك القطرة..

قلت: فلماذا تكتبن قوله تعالى: ﴿ هَـذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (صّ:42)؟

قال: نحن قطرات ماء بارك الله فينا، فجعلنا دواء للعلل، ومغتسلا من الآلام.

قلت: ولكن هذه الآية في أيوب عليه السلام.

قالت: نحن زرنا أقواما كثيرين، وقد تشرفنا بأن زرنا في ذلك اليوم الجميل أيوب عليه السلام، فمسحنا آهاته، وغسلنا آلامه.

قلت: وهل زرتن غيره؟

قال: لا نزال نزور كل يوم من خلق الله من نطعمه ونسقيه ونعالج آلامه.. وفوق ذلك نطهره ونغسل أدرانه.. وفوق ذلك نملأ أجواءكم سكينة ولطفا وسرورا.

---

1) البناء الفريد للماء يجعل جزيئاته متماسكة، ومرتبطة بروابط هيدروجينية، ويصبح كل جزيء مرتبطاً بأربعة جزيئات مجاورة، وكل منها بأربعة، وهكذا تبدو جميع الجزيئات مرتبطة ببعض في شبكة فراغية متماسكة، و لولا هذا لكانت درجة غليان الماء (-80م)ودرجة تجمده (-100 م)ولاستحال وجود الماء على شكل سائل وصلب على سطح الأرض ولاستحالت الحياة.

قلت: أأنتن تفعلن كل ذلك؟
قال: ألم تسمع قوله تعالى: وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَـاءً مُبَارَكـاً (ق:9)؟
قلت: بلى..
قال: فقد باركنا الله.. فتعددت أغراض الانتفاع بنا.. فلا يقربنـا أحد إلا ونال من بركاتنا.

الماء والسماء:

قلت: لقد ورد في كلام اللـه تعـالى أنكم من السـماء.. فهـل هذا مجاز أم حقيقة؟
قـال: نـزه كلام ربـك عن غـير الحقيقـة.. نحن من السـماء.. ولـدنا في السـماء.. ونزلنـا إلى الأرض.. وفي كـل يـوم نحن إلى المصدر الذي منه جئنا.. فنحن بين ارتفاع وانخفاض.
قلت: كيف ذلك؟
قـال: هـا هي ذي أخـتي، وهي خبـيرة بمـا توصـلتم إليـه من العلم، وستجيبك عني.
سمعت صـوتا عـذبا من لؤلـؤة من اللآلئ تقـول: لقـد وصـل قومـك إلى نظريـات كثـيرة بشـأننا.. ولعـل أقربهـا إلى الصـواب النظرية التي تقول بأن أصلنا من الفضاء الخارجي، أي السماء.
فهي تذكر أن هناك تيارات من الأشعة الكونيـة تتحـرك دائمـاً في الفضاء الكوني مكّونة من جسـيمات ذات طاقـة ضـخمة جـداً، تحتـوي على نـوى ذرات الهيـدروجين، أي على البروتونـات، ولـدى حركـة كـوكب الأرض أثنـاء دورانـه حـول نفسـه وحـول الشـمس تخـترق هـذه البروتونـات جـو الأرض، وتحصـل على الإلكترونـات الضـرورية، وتتشـكل ذرة الهيـدروجين، حيث تتفاعـل مباشـرة مـع الأوكسـجين مشـكلة جزيئـات على ارتفاعـات كبـيرة، وفي ظـل درجات حرارة منخفضة تتكاثف على جسـيمات من الغبـار الكـوني مكونة سحباً فضية.
ويعتقـد علمـاؤكم بـأن المـاء المتشـكل بهـذه الطريقـة خلال التاريخ الطويل الذي مرت به الكرة الأرضية ـ أثناء تشكلها ــ يكفي لملء جميع المحيطات على سطح الأرض.
قلت: أأنت أيتها اللؤلوة المباركة تعتقدين صحة هذا؟
قالت: أجل.. ولي في ذلـك من نصـوص من القـرآن الكـريم أشعر بأن لها دلالة كبرى على هذا.
قال: وما هي؟
قالت: كثيرة.. فالله تعالى ذكر أنـه أنـزل من السـماء المـاء،

وذكر مادة المـاء منكـرة دون تعريـف ليـدل على أن عمـوم جنس الماء نـزل من السـماء، وذلـك في أكـثر من عشـرين آيـة.. فالله تعالى يقول ـ مثلا ـ:﴿ الَّذِي جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشـاً وَالسَّـمَاءَ بِنَـاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾(البقـرة:22)، ويقـول:﴿ وَمَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّـمَاءِ مِنْ مَـاءٍ ﴾(البقـرة:164)، ويقـول:﴿ وَهُـوَ الَّذِي أَنْـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾(الأنعام:99)ويقول:﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَـاءً ﴾(الرعـد: 17)

قلت: فهل كل صواحبك يعتقدن هذا؟

قال: لا.. منهن من ذهب إلى خلاف هـذا.. ونحن نتعـايش مـع اختلافنا.

قلت: فما قلن؟

الماء والأرض:

قالت: هن يقلن بأن منشأنا من الأرض.

قلت: وبم استدللن على ذلك؟

قـالت: هن يقلن بـأن الصـخور المكونـة للطبقـة الواقعـة بين نواة الأرض والقشرة الأرضية.. أي طبقة السيما كـانت تنصـهر في بعض المواقع تحت تأثير الحـرارة الناشـئة عن التفكـك الإشـعاعي للنظـائر المشـعة، حيث تنطلـق منهـا مكونـات طيـارة كـالأوزون والكلـور ومركبـات الكربـون المختلفـة والكـبريت، وأكثرهـا أبخـرة الماء.

وكانت هذه المكونات تقذف إلى الطبقات السـطحية أو على السـطح بواسـطة الثـورات البركانيـة خلال تـاريخ الأرض الطويـل، وتكفي هـذه الكميـة لملء جميـع المحيطـات على سـطح الكـرة الأرضية.

قلت: فهل استدللن على ذلك بشيء من القرآن الكريم؟

قالت: أجل.. فقد قال تعالى:﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِـكَ دَحَاهَـا أَخْـرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعـات:31)

قلت: فهل أثر هذا الاعتقاد في احتقار صواحبك لأنفسهن؟

قـالت: حاشـا للـه.. اعـرف مـا تقـول يـا رجـل.. أتعـرف من تخاطب؟

قلت: أعرف.. فأنت جزء من قطرة ماء.

قالت: وهل هان المـاء في عينـك إلى هـذا الحـد.. ألم يجعلنـا الله حياة لكل شيء؟

قلت: أعلم.. فقد قـال تعـالى:﴿ وَجَعَلْنَـا مِنَ الْمَـاءِ كُـلَّ شَـيْءٍ حَيٍّ﴾(الانبياء:30)

قالت: أكمل الآية ما بالك تبترها.

قلت: لقد قال تعالى: ﴿ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (الانبياء:30)

قالت: أرأيت الشرف الذي أعطانا الله.. إن الله يستدل بنا عليه.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾(الملك:30).. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾(الواقعة:68 ـ 70)؟

قلت: بلى.. قد سألتك عن صواحبك.. كيف ينظرن إلى أنفسهن، وهن يعتقدن أن منشأهن من الأرض لا من السماء.

قالت: وهل الأرض غير السماء؟.. الكون كون الله.. وقد بارك الله في الأرض كما بارك في السماء، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾(فصلت:10)

قلت: اعذريني أيتها القطرة المباركة أن أعاتبك.

قالت: لا حرج عليك.. فإن كان الله قد عاتب أنبياءه، فكيف أستكبر عن العتاب أنا؟

قلت: أراك تفخرين كثيرا بنفسك، وبأخواتك.

قالت: أنا وأخواتي لا نفخر.. بل نحن نفرح بالله الذي شرفنا هذا الشرف.. ألا تعلم بأن الله تعالى ذكرنا في القرآن الكريم بصيغة التنكير 33 مرة، وذكرنا بصيغة التعريف 16 مرة؟

قلت: فأنتن تفخرن بذلك.

قالت: دعك من الفخر.. فهو يحمل رائحة من روائح إبليس.

قلت: كيف؟

قالت: الفخر يدل على الترفع والتكبر على خلق الله.. ونحن لا نحتقر شيئا مما خلق الله.. فإن الله ما احتقره حين خلقه.. ألا ترانا نغسل النجاسات، ونطهر الأرض من الفضلات..ولم نتكبر ولم نستعل ولم نعترض؟.. بل نحن نقوم بكل ذلك بلذة لا تضاهيها لذة.

قلت: فما منتهى لذتكم؟

قالت: أن يجعلنا الله بشرابا لأهل الجنة.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (لأعراف: 50)، فقد جعلنا الله للمؤمنين وحرمنا على الكافرين.

قلت: ذلك في الآخرة.. ففي الدنيا.. بم تلتذون؟

قالت: بأن يجعلنا الله دواء للمؤمنين، أو أعاصير على الجاحدين..

قلت: أأنتم جنود من جنود الله؟

قالت: أجل.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ كـذبت قبلهم قَـوْمُ نُـوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِـرَ فـدعا ربـه أَنِّي مَغْلُـوبٌ فَانتَصِـرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًـا فَـالْتَقَى الْمَـاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (القمر:9 ـ 13)

الماء والإنسان:

قلت: حـدثينا عن المـاء والإنسـان.. فأنـا أبحث عن أسـرار بركات الماء على الإنسان.

قال: بركات الماء على الإنسان لا تحصى.. فهـو ضـرورة من ضرورات الحياة الأرضية، فبدونه لا يمكن لإنسان أن يعيش، فجنين الإنسان يحتوي على97بالمائة من وزنه ماء، وتقل هذه النسبة إلي 91بالمائـة في جسـد الطفـل الوليـد، ثم إلي66بالمائـة في جسـد الفرد البالغ.

وتختلف نسبة الماء في كل عضو من أعضـاء جسـد الإنسـان باختلاف وظيفته، فهي في الرئتين90بالمائة، وفي الدم82بالمائـة، وفي خلايا الدماغ70بالمائة.

زيادة على هذا.. فـإن الإنسـان يمكنـه العيش أسـابيع عديـدة بدون طعام، ولكنه لا يستطيع العيش بدون ماء إلا لفـترة محـدودة جدا لا تتجاوز بضعة أيام....!!

قلت: لم؟

قالت: لأن الماء يعين الإنسـان علي القيـام بجميـع العمليـات الحياتية في جسمه مثل عمليات الهضـم، والتخلص من الفضـلات، والتنفس، وتجديد الدم.. وليس الأمر قاصرا على ذلك.

قلت: ماذا تقصدين؟

قالت: لنا علاقة بكـل مـا يحيـط بالإنسـان من أشـياء.. فنحن نخدم ظاهره وباطنه.

قلت: وضحي ما تقصدين.

قـالت: ألا تعلم أن درجـة غليـان المـاء مرتفعـة، وذلـك لقـوة رابطتـه التشـاركية، لـذلك فهـو يمتص قـدرة حراريـة كبـيرة لكي يتبخر، وهذه الخاصية تعطي الماء دوراً فريداً في نقـل القـدرة من مكان لآخر، فالماء الذي يتبخر من المحيطات تسوقه الرياح مئـات وآلاف الكيلومـترات إلى أمـاكن بـاردة، فعنـد تـبرد البخـار وتحببـه وتساقطه على شكل قطرات مطر ينشر معه الطاقة التي امتصها أثناء تبخـره، فيسـاهم في رفـع درجـة الحـرارة في تلـك المنـاطق وتلطيف حرارة الجـو وكـذلك في أثنـاء تسـاقط الثلـوج فكم هـذه

الحرارة المنتشرة كبيرة إذا علمنا أنه يتبخر كل عام 520 ألف كيلوا متر مكعب من الماء.

قلت: بلى.. قد أشار القرآن الكريم إلى هذا، فقال تعالى في غزوة بدر: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾(لأنفال:11)

قالت: لقد كان يوما مباركا ذلك اليوم.. لقد كنا ننزل من السماء وكأننا نرقص فرحا وجذلا.

قلت: أكنت من بينهم؟

قالت: أجل.. فقد شرفني الله في أن أخدم رسوله.

قلت: وهل تعرفينه؟

قالت: وكيف لا نعرفه.. وهل لنا لذة إلا معرفة أهل الله.. لقد كان ﷺ يحترمنا احتراما عظيما.. وقد نقل لنا بعض الصحابة صورة من هذا الاحترام فقال:(أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى)(1)

قلت: أتملكين كل هذه المشاعر؟

قالت: ألم تعلم أنا نشكل الدموع التي تبكي بها السماء على فراق الصالحين.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان:29)؟

قلت: الآية أخبرت بأن السماء لا تبكي.

قالت: لا تفصل الآية عن سياقها.. هي أخبرت بأنا لا نبكي على المعارضين لله.. وهي تشير إلى بكائنا على المسالمين المستسلمين.

قلت: فهل تشرفت برؤيته ﷺ ؟

قالت: بل تشرفت بشربه لي.. لقد كانت أسعد أيام حياتي.

شراب العسل:

قلت: فحدثيني عنه.

قالت: لقد كان أول ما يفعله رسول الله ﷺ إذا استيقظ، وبعد فراغه من الصلاة يتناول كوباً من الماء مذاباً فيه ملعقة من العسل.. وهو يذيبها إذابه جيدة.. وقد كانوا يسمون هذا الماء شراب العسل، وقد قال فيه ﷺ:(عليكم بشراب العسل)(2)

قلت: ففي ذلك الحين بم كان ﷺ يتغذى وينتفع.. هل بكن

---

1) مسلم وغيره.

2) ابن السني وأبو نعيم في الطب.

معشر قطرات المياه، أم بالعسل الذي جعله الله شفاء للناس؟
قال: كلانا مبارك.. وقد جعل الله من بركتنا أننا نكتسب خواص المادة التي تذوب فينا.
قلت: ماذا تعنين؟
قالت: نحن ـ جزيئات الماء ـ نترتب حسب جزيئات العسل.
قلت: فماذا تصرن حينها؟
قالت: تستطيع أن تسمينا عسلا.. وإن شئت شراب عسل.
قلت: كيف.. فالعسل عسل، وهو غالي الثمن.. والماء ماء، وهو بلا ثمن.
قالت: من بركاتنا أننا إذا اختلطنا بالعسل أو بأي شئ ذاب فينا وذبنا فيه، ففنينا عنا به.. وهذا لتواضعنا وعبوديتنا، فنحن لا نفرض خصائصنا على غيرنا، بل نترك غيرنا يفرض خصائصه علينا.. ألم تسمع ما يفعله المعالجون بالماء؟
قلت: وما يفعلون؟
قالت: هم يأتون بالماء ويكسبونه أي شيء يريدونه من أنوع العلاج.. ويسمون هذه العملية (العلاج بالماء)
قلت: أنا لم أسمع بهذا.. ولكني أسمع ما يسمى (تلويث الماء)
قالت: ذلك فعل الفجرة الفسقة.. وسينتقم الله تعالى لنا منهم.
قلت: لقد عرفت ذلك في حصون العافية، وعرفت ما أصابنا من جراء صراعهم وحرصهم.
قالت: لا تخف على الأرض، وبشر أصدقاء الماء بأن أيام الدجاجلة قريبة.
قلت: عودي بنا إلى من تزينت الأرض بنوره.

الماء العذب:

قالت: لقد كان ﷺ يحب الماء العذب.. فقد وري أن رسول الله ﷺ كان يُستقى له الماءُ العذبُ من بئر السُّقيا(1).
وروى جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه، فقال:(إن كان عندكم ماء بات في شنَ وإلا كرعنا)(2)
قلت: ولكن بعض الزهاد من قومي يعز عليهم مثل هذا.
قالت: وما يقولون؟

---

1) أحمد وأبو داود والحاكم.
2) البخاري.

قلت: هم يقولون:(إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت)

قالت: لا ينبغي أن يقولوا هذا.. فالله تعالى سقاكم ماء عذبا، ولم يسقكم ماء مكدرا.. ألم تسمع قوله تعالى: وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً(المرسلات: 27)؟

قلت: بلى.. فالماء الفرات هو الماء العذب الزلال.

قالت: وقد كان رسول الله ﷺ يحبه، وقد ورد في الحديث: (كان أحب الشراب إليه ﷺ الحلو البارد)(1)

وكان يقول إذا شربه:(الحمد للّه الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا)(2)

قلت: هذا طيب.. ولكنهم يؤولون كل ذلك.

قالت: بل يحرفون.. ألم يسمعوا المخاطر التي يحملها شربهم من الماء المكدر؟

قلت: تقصد ما يقول الطب الحديث.

قالت: ما بالكم.. أليس في الدنيا إلا الطب الحديث.. وهل كان الناس قبله بلا طب؟

قلت: فما يقول الطب في هذا؟

قالت: لقد ذكر ابن الجوزي ما يفعله هؤلاء منكرا، فقال: (وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يُولِّدُ الحصى في الكُلى والسَّدد في الكبد، وأما الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة، ويقوي الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة، وإذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سُخِّن بالشمس خيف منه البرص)

قلت: كيف غاب عن هؤلاء ما ذكره ابن الجوزي؟

قالت: ستعرف ذلك إلى إذا رحلت إلى:(سراديب الاعتراض)

قلت: والآن..

قالت: لقد تصوروا أن من الكمال تعذيب الجسد ومعاقبته، فراحوا يخترعون أصناف العذاب.. ولم يعلموا أنهم يضيعوون سنة رسول الله ﷺ بذلك.

قلت: أشرب الماء العذب سنة رسول الله ﷺ ؟

قال: أجل.. فقد كان هديه ﷺ أكمل الهدي.. وكان يهتم بعذوبته أبلغ اهتمام، وقد روي أنه دخل إلى حائط، فقال:(هَلْ من

---

1) الترمذي.
2) ابن أبي حاتم.

ماءٍ بات فى شَـنَّة؟)، فأتاه به، فشرب منه(1).

قلت: ما سر حبه ﷺ للماء البائت؟

قالت: لقد ذكر لذلك حكم كثيرة، وقد ذكـر الأطبـاء أن المـاء البائت أنفعَ من الذى يُشرب وقتَ استقائه.

وذكروا أن الماء البائت بمنزلة العجين الخمير، والـذى شُـرِب لوقته بمنزلـة الفطـير.. وأن الأجـزاء الترابيـة والأرضـية تُفارقـه إذا بات.

وستعرفون من حكم هذا الماء ما يزيدكم تمسكا بهديه ﷺ.

قلت: أكان ﷺ يختار الأواني التي يشرب فيها؟

قالت: أجل.. فلم يكن ﷺ يفعل ما تفعلـون من شـرب المـاء المخزن في الأواني التي تملؤه صديدا وسموما.

قلت: فكيف كان يخزنه ﷺ ؟

قالت: لقد كان ﷺ يلتَمسَ ماءً بات فى شَــنَّة دون غيرهـا من الأوانى.

قلت: لم؟

قالت: قد ذكر الأطباء أن لِقرب الأدم خاصةٌ لطيفـةٌ لمـا فيهـا من المسامِّ المنفتحةِ التى يرشَح منها الماء، ولهـذا كـان المـاء فى الفَخَّار الذى يرشح ألَذُّ منه، وأبردُ فى الذى لا يرشَح.

هيئة الشرب:

قلت: فكيف كان ﷺ يشربكن معشر المياه؟

قـالت: كـان هديــه ﷺ في شــربنا أعظم الهـدي، وأعظمــه عبودية، وأكثره بركة.

قلت: فكيف كان يفعل؟

قالت: كان رسول الله ﷺ يتنفس فى الشراب ثلاثـا، ويقـول: (إنه أروى وأمرأ وأبرأ)(2)

قلت: أصحيح ما تروين؟.. كيف تقـولين هـذا، وقـد ورد النهي عن النفخ في الشارب، وقد قال ﷺ:(إذا شرب أحـدكم فلا يتنفس فى القــدح، ولكن ليبن الإنــاء عن فيــه)، وقــد رأيت في حصــون العافية الآثار الخطيرة للتنفس في الإناء.

قـالت: بـورك في حرصـك.. ولكـني لم أرد هـذا.. إن معـنى تنفسه ﷺ فى الشراب ـ كما في الحـديث ــ هـو إبانتـه القـدح عن فيه، وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب، كما جاء مصرحا به فى الحديث الذي رويته.. فلا تضرب السنة بعضها ببعض.

---

1) البخارى.
2) مسلم.

وقد ورد في الحديث الآخر قوله ﷺ:(لا تشـربوا نفسـا واحـدا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثـنى وثلاث، وسـموا إذا أنتم شـربتم واحمدوا إذا أنتم فرغتم)(1)

قلت: ما سر هذا الأسلوب من الشرب؟.. أليس فيه نوعا من استهلاك الوقت؟

قالت: بل فيه حفظ للصحة وجلب للبركة وتحقيـق للعبوديـة، وقد كان ﷺ ينبـه إلى هـذه المجـامع، فيقـول في تلـك الصـفة من شرابه:(إنه أروى وأمرأ وأبرأ)

قلت: ما معنى هذا؟

قالت: أروى: أشد ريا، وأبلغه وأنفعه، وأبرأ: أفعـل من الـبرء، وهو الشفاء، وأمرأ: هو أفعل من مرئ الطعام والشراب في بدنه: إذا دخله، وخالطه بسهولة ولذة ونفع، كما قال تعالى: فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (النسـاء: 4)أي هنيئـاً فى عاقبتـه، مريئـاً فى مذاقـه، أو أنـه أسرعُ انحداراً عن المَـرِىء لسـهولته وخفتـه عليـه، بخلاف الكثـير، فإنه لا يسهُل على المرىء انحدارُه.

قلت: علمت معناه، فما سر الصحة فيه، فقد ذكر ﷺ أنه أبرأ.

قالت: إن شرب الماء بتلك الصفة يـبرىء من شـدة العطش ودائه لترددده على المعدة الملتهبة دفعات، فتسـكن الدفعـة الثانيـة ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه.

زيادة على ذلك فإنه أسلم لحـرارة المعـدة، وأبقى عليهـا من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة، ونهلة واحدة.

قلت: فهمت هذا ووعيته.

قالت: ليس ذلك فقط.. بل كان ﷺ يمص الماء مصا، ولا يعبه عبا، ويقول:(إذا شرب أحـدكم فليمص المـاء مصـا، ولا يعب عبـا، فإنه من الكباد)(2)

قلت: ما الكباد؟

قالت: الكُبَاد هو وجع الكبد، وقد علم المجربون أنَّ ورود الماء جملةً واحدة على الكبد يؤلمهـا ويُضـعفُ حرارتَهـا، وذلـك للمضـادةُ التى بين حرارتها، وبين ما ورد عليهـا من كيفيـة المـبرود وكميتـه.. ولـو ورد بالتـدريج شـيئاً فشـيئاً، لم يضـاد حرارتَهـا، ولم يُضـعفْها.. أتدري ما مثال ذلك؟

قلت: ما مثال ذلك؟

قالت: لو صببت الماء البارد على القِدْر تراها تفور، بخلاف مـا

---

1) الترمذي.
2) عبد الله بن المبارك، والبَيْهَقىُّ، وغيرُهما.

لو صببته قليلا، فإنه لا يضرُّها.

قلت: ولكني لست قدرا.

قالت: أنسيت قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (الرحمن:14)؟

الماء والذكر:

قلت: فهمت هذا ووعيته، فحدثيني عن موقفكن معشر قطرات الماء إذا سمعتن الشارب، وهو يذكر الله؟

قالت: الذكر سر من أسرار بركتنا.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إن الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة، فيحمد الله عليها)(1)، فرضى الله هو سر ما يحصل فينا من بركة.

قلت: فهل تسمعن صوت الذاكر؟

قالت: وكيف لا نسمعه؟.. لقد كان ﷺ إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثا يسمي عند كل نفس، ويشكر في آخرهن(2).

وكان رسول اللّه ﷺ إذا أَكَلَ أو شَرِبَ قال:(الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً)(3)

قلت: أفلم يكن ﷺ يكتفي بتسمية واحدة؟

قالت: روي الأمران.. فقد كان ﷺ ييسر على أمته.

قلت: ماذا يحصل لكن حين تسمعن ذكر الله؟

قالت: لو رأيتنا كذلك لصعقت لجمالنا.. فنحن في ذلك الحين نتحول إلى حلقة ذكر مباركة تردد بصداها ذكر الذاكرين.

قلت: وهل تدخلن الجوف بتلك الصفة؟

قالت: أجل.. ونصير حينها من الدواء المبارك الذي يملأ الجسم عافية، والنفس سكينة، والصدر انشراحا.

قلت: والجسد.. كيف يستقبلكن؟

قالت: كما استقبل الأنصار المهاجرين.. يحتضننا، فنتفرق في أجزائه لنمتلئ به، ويمتلئ بنا.

قلت: بورك فيك أيتها اللآلئ العذبة.. فهل تأذنين لي بالرجوع إلى نفسي.. فقد عرفت فيك كل النبل والبركة والخير؟

قالت: لن تنصرف قبل أن تعرف أسرار بعض ما نكتبه بروابطنا.

قلت: تقصدين قوله تعالى: هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ(ص: 42)؟

---

1) مسلم.

2) ابن السني، والطبراني في الكبير، وروى ابن السني أنه ﷺ كان يشرب بثلاثة أنفاس يسمي الله في أوله، ويحمد الله في آخره.

3) أبو داود والنسائي.

قالت: أجل..
قلت: فهل ستفسرين لي هذه الآية.. وتذكرين لي قصة أيوب عليه السلام؟
قالت: ما أولعكم بالقصص.. هذه حقيقة، وليس قصة.
قلت: ألم يكن الأمر خاصا بأيوب عليه السلام؟
قالت: لو كان الأمر خاصا به لما ذكر في القرآن الكريم.. بل هو هدي لتنتفعوا به.
قلت: فهل وصلنا ـ نحن البشر ـ إلى أسرار هذه الآية؟
قالت: أنتم أضعف من أن تصلوا.
قلت: فكيف تزعمين أنك ستعلميني أسرارها؟
قالت: لم أعدك بتعليمك أسرارها.. ولكن من أسرارها.. ألا تعرف أن من تفيد البعضية؟
قلت: بلى.. وأرى لك اهتماما باللغة.
قالت: هل رأيت ذلك؟
قلت: أجل.. فما سره؟
قالت: لقد من الله علي.. فشربني أبو الأسود والخليل بن أحمد وغيرهما، فسرى لي من بركاتهما ما تراه من علم اللغة.
قلت: فهل ستحدثيني أنت عن أسرار العلاج في الاغتسال والشراب.
قالت: لا.. لست مختصة في هذا.. ألم يقل ﷺ:(أنزلوا الناس منازلهم)(1)؟
قلت: فمن سيحدثني؟
قالت: لي صاحبتان.. أما إحداهما، فتحدثك عن عن المغتسل المبارك، وأما الأخرى فتحدثك عن الشراب المبارك.
قلت: فمن تبدأ؟
قالت: نبدأ بما بدأ الله به(2).

المغتسل المبارك

سمعت صوتا عذبا يسلم علي، فقلت: أأنت اللؤلؤة المختصة بالمغتسل المبارك؟
قالت: أجل.. وقد دعاني حبي لكلام ربي أن أبحث عن سر البركات في الاغتسال.
قلت: فماذا وجدت؟
قالت: علوما كثيرة.. منها ما تطيقه.. ومنها ما لا تطيقه.

---

1) مسلم وأبو داود.
2) إشارة إلى قوله ﷺ:« أبدأ بما بدأ الله به » والحديث رواه مسلم.

قلت: فخبريني بما أطيقه.. ويسري لي ما لا أطيقه.

قالت: أول ما يمكن أن تنتفع به من بركات الاغتسال بي الطهارة.. فالطهارة هي التي تعيدك إلى فطرتك الأصلية.. وتعيد لجسمك قوته ونضارته.

قلت: عرفت ذلك في حصون العافية، ولهذا قرن الله الطهارة بالعبادات، وحض عليها..

قالت: بل اعتبرها عبادة مقصودة لذاتها.. أليس الوضوء سلاح المؤمن؟.. فهو يتوضأ للصلاة، ولغير الصلاة.

قلت: أجل.. فما الفائدة الصحية لذلك؟

قالت: تخليص جسمك من السموم التي تتراكم عليه.. وإعطاؤه القوة التي يحتاجها ليؤدي ما كلفه الله من وظائف.

قلت: عرفت هذا في حصون العافية.. فحدثيني عن جديد ينفعني.

قالت: أتسمع بالحمامات المائية؟

قلت: معاذ الله.. ماذا تقولين؟.. أتذكرين الحمام؟.. إنه مأوى الشياطين.. وعش المردة.. وخصوصا لهن معشر النساء.

قالت: من قال ذلك؟

قلت: لقد وردت النصوص بالنهي عن دخول الحمامات العامة.

قالت: لم؟

قلت: لقد عللت ذلك بحفظ العورات وسترها، ألم تسمعي قوله ﷺ:(تفتح لكم أرض الأعاجم، وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار، وامنعوا النساء أن يدخلنها إلا مريضة أو نفساء)(1)

قالت: فقد أقر ﷺ بالفوائد العلاجية التي يحملها الحمام.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: ألم يأذن بدخول الحمام للمريضة؟

قلت: بلى..

قالت: فلو لم يكن فيه فائدة صحية ما أذن لها ﷺ.

قلت: ولكن النهي قد ورد مطلقا في بعض الأحاديث، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ:(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس

---

1) ابن ماجه.

على مائدة يدار عليها الخمر)[1]

قـالت: ومن قـال لـك: إن هـذه الأحـاديث تنهى عن دخـول الحمام؟

قلت: ألفاظها تدل على ذلك.

قالت: ألفاظها تـدل على الأمـر بالاسـتتار، لا على النهي على دخول الحمام.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: أرأيت لو قلت لك: لا تسر إلا وأنت تلبس حذاءك.. هل أكون بذلك قد نهيتك عن السير؟

قلت: لا.. بل عن السير حافيا.

قالت: فهذا سر نهيه ﷺ عن دخول الحمام.. وهو نهي يتضمن أمرا.. ألا تعرف الأصول؟

قلت: بلى.. ولكن ماذا تريدين أن تقولي؟

قالت: إن إخباره ﷺ عن وجـود الحمامـات في بلاد العجم، ثم إخباره عن صفة الداخلين فيها، ثم نهيه عن الدخول إلا بعد الاستتار يتضمن البديل الشرعي لتلك الحمامات الأعجمية.

قلت: فهمت ذلك.. ولكن ألم تسمعي قولـه ﷺ:(شـر الـبيت الحمام، تعلو فيه الأصوات وتكشـف فيـه العـورات، فمن دخلـه فلا يدخل إلا مستترا)[2] ؟

قالت: فهذا حديث ينهى عن رفع الأصوات، وكشف العورات، لا عن دخول الحمامات.

قلت:.....!؟

قال: لا عليك.. فالحمامات التي أقصـدها لا علاقـة لهـا بهـذا.. وهي يمكن أن تجرى في البيوت.. ولا تحتاج المرأة ولا الرجـل إلى الخروج.

قلت: فهي حمامات مباركة إذن.

قالت: كـل الحمامـات مباركـة.. ولكنكم أنتم الـذين تمحقـون البركة بما تسلكونه من سلوك.

قلت: فحدثيني عن هذه الحمامات البيتية ومنافعها.

قال: هناك حمامات مائية تعتمد على الخواص التي جعلها الله في الماء، والتي هي سر بركته.

قلت: خواص الماء كثيرة.. فماذا تقصدين؟

قالت: خاصية التسـخير والـذوبان والتشـكل.. ألم تعـرف من

---

1) الحاكم، والترمذي، وقال: حسن غريب.

2) الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

صواحبي أن الماء يتشكل بحسب ما يوضع فيه.

قلت: أجل.. وهو ما يعتمد عليه المعالجون بالماء.

قالت: والحمامات المائية نوع من هذا العلاج.

قلت: فما الأغراض الصحية التي يقصدونها من هذه الحمامات؟

قالت: أغراض كثيرة، فبحسب ما تضع في الماء من العناصر والمركبات يعطيك.. فقد يعطيك صحة أو جمالا أو انتعاشا بالإضافة إلى ما يعطيك من الطهارة.

قلت: فهل يستخدم الماء حارا أو باردا؟

قال: بحسب الحاجة.

قلت: ولكن الله تعالى قال لأيوب عليه السلام: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾(ص:42)

قال: لقد احتاجت علة أيوب عليه السلام لهذا الحمام البارد، كما احتاج ﷺ فى مرضه أن يُصَبَّ عليه من سبعِ قِرَبٍ من هذا الماء البارد.

قالت: فما حرارة الماء المستخدم في هذه الحمامات؟

قالت: يستخدم في حمامات الأعشاب الماء الساخن، أو الدافىء، أو البارد، أوالمثلج، لكنه يفضل أن تعتمد أغلب الحمامات على درجة حرارة مرتفعة للماء لزيادة الانتفاع بفوائدها.

قلت: فاذكري لي بعض هذه المستحضرات لأنتفع به، ولأعلم مدى صدقك في دعواك.

قالت: فلنبدأ بحمام الشاي، فإني أعلم مدى حبك له.

قلت: أيمكن أن أغتسل بالشاي؟

قالت: أجل.. وله فوائد صحية عظيمة، فهو يقوم بتليين وتجميل أنسجة الجلد، وتنشيط الدورة الدموية، وزيادة حيوية الجسم، وتلطيفه وإزالة توتر العضلات، وتسكين الآلام، وتقوية العظام، وتليين المفاصل، وتخفيف الآلام الروماتيزمية، وتخفيض حرارة الجسم المرتفعة، وتهدئة الأعصاب، وهو يعمل كمطهر للجسم، فينظف الجلد ويزيل الرواسب عنه.

وبالإضافة إلى هذا كله يساعد على الشفاء من بعض الأمراض، ويقوي الجسم بصورة عامة.

قلت: بورك فيك.. فهل هناك حمام غيره؟

قالت: هل تعرف المريمية؟

قلت: كيف لا أعرفها.. إنها من الأعشاب المباركة، وقد قرأت من فوائدها أنها تقوي الذاكرة الضعيفة وتعيدها في وقت قصير،

بالإضافة إلى فوائد أخرى كثيرة.

قالت: سر ذلك يرجع إلى ما وهبها الله من قوة وقف العفونة في الجسم، والتي هي سبب الكثير من العلل.

قلت: فـإذا مـا ختلطت بكن، واسـتخدمت حمامـا، مـا هـو تأثيرها؟

قالت: هي نافعة ـ بإذن الله ـ ظاهرا وباطنا.

قلت: ماذا تفعل بالضبط؟

قالت: الاستحمام بها يكون على مرحلتين، أما الحمـام الأول، فيعمل على تخليص الجسم من السموم والرواسب الضارة.

أما الحمام الثاني، فيقوم بتنشيط الجسم، وإعادة الحيوية إليه بعد تنظيف مسامه وخروج الرواسب منها.

قلت: فهـذه فوائـد عظيمـة.. وبـورك فيـك.. كمـا بـورك في المريمية.. فصفي لي وصفة أخرى.

قالت: هل تعرف البابونج؟

قلت: كيف لا أعرفه، وهـو من الأعشـاب المباركـة المملـوءة عافية وصحة.. فهو يعمل على شـفاء الالتهابـات.. بـل يعمـل نفس عمل المضادات الحيوية في شفاء الالتهابات، فـإذا مـا غلي شـيء منه واستنشقه الشخص، اسـتطاع أن يزيـل الالتهـاب من تجاويفـه الأنفية والجبهية بسرعة، وأن يقضي على جميع الجراثيم الموجودة خلال مدة قصيرة.

وهو يساعد على رفع التشنجات الحاصلة في المعدة، وسـائر أقسـام الجهـاز الهضـمي، ويزيـل المغص من المعـدة والأمعـاء والمـرارة أحيانـا، وهـو يسـاعد على شـفاء الجـراح غـير الملتئمـة بسرعة، وعلى الأخص في تلـك الأمـاكن من الجسـم الـتي تعسـر معالجة الجراح فيها، كالقسم الأسفل من السـاق، فيمكن معالجـة الجراح بكمـادات البـابونج أو المـراهم المركبـة منـه، فتنـدمل بعـد وقت قصير.. كما أنه يعمل على شفاء التقرحات المعدية.

قـالت: وزيـادة على ذلـك فـإن أبخـرة البـابونج تسـتخدم في معالجة النزلات الصدرية والرشوحات الرئوية.

قلت: كيف تكون هذه الأبخرة؟

قالت: بسيطة جدا.. ليس عليـك سـوى أن تسـخن المـاء في قدر، ثم تلقى فيه شـيئا من البـابونج، ثم تغطى رأسـك مـع القـدر بقطعة كبيرة من القماش، وتبدأ في استنشاق بخـار البـابونج مـدة ربع ساعة على الأقل، فيقـوم البـابونج بقتـل هـذه الجـراثيم ورفـع الالتهابات.

قلت: ما شاء الله.. لقد وصفت لي وصفة نافعة مباركة.

قالت: لقد اتحدت مع البابونج للقيام بهذا العلاج المبارك.

قلت: فحدثيني عن حمام البابونج.

قالت: هذا الحمام من الحمامات المقويّة للغاية والمُكسبة للنشاط والحيوية، كما أن له فائدة خاصة في القضاء على نزلات البرد في بدايتها.

كما أنه يليّن ويُجمِّل الجلد، ويهدىء الأعصاب، ويزيل التقلصات، ويبعث على الاسترخاء.

قلت: بورك فيك.. فهل هناك حمامات أخرى؟

قالت: كثيرة هي هذه الحمامات، فمنها حمام الأعشاب البحرية، فهي تحمل فوائد عظيمة للجسم، فعلاوة على تأثيرها الجمالي من خلال إضافتها لماء الحمام، فهي تغذي الجلد وتكسبه نعومة وجمالاً، كما أنها تحتوي على مواد مضادة للروماتيزم على وجه الخصوص.

ولهذا نجد أن الإصابة بالروماتيزم تكاد تنعدم بين أفراد الشعب الياباني، نظراً لإقبالهم على تناول الأعشاب والمأكولات البحرية ضمن غذائهم اليومي.

ومنها حمام خل التفاح، فإذا أضيف لماء الحمام حوالي ملعقتين كبيرتين منه يبعث النشاط في الجسم، ويزيد من مناعته للمرض، ويخلص الجلد من الرواسب والسموم، ويُجمّله بوجه عام.

ومنها حمامات أخرى كثيرة ملأها الله بالبركة.

قلت: فكيف أستفيد من بركاتها؟

قالت: لا تنس أن تذكر الله.. فلا بركة بلا ذكر.. ولا صحة بلا إيمان.

قلت: فعودي بي إلى الحديث عن المغتسل البارد الذي وصفه الله تعالى لأيوب عليه السلام.

قالت: وقد وصفه رسول الله ﷺ للحمى في أحاديث كثيرة، فقد قال ﷺ: (الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء)(1)

قلت: فما في هذه الحديث من الفوائد الصحية؟

قالت: الحمى هي كل ارتفاع لحرارة الجسم، فمن المعروف أن في الجسم مركزاً لتنظيم الحرارة في منطقة بالدماغ تعرف بتحت المهاد، وهي تستشعر حرارة الدم، فإذا ارتفعت قليلاً زادت في إفراز العرق من الجلد ليتم خروج الحرارة من الجسم إلى

1) البخاري ومسلم.

الجو المحيط.. ولكن إذا كانت حرارة الجو فـوق الأربعين فلا يمكن لحرارة الجسم أن تخرج إلى الهواء المحيـط، ولا بـد من اسـتخدام الماء البارد والمثلج.

ورغم أن للحمى أسباباً كثيرة إلا أنها في النهاية تكون بسـبب مواد رافعة للحرارة تؤثر على منطقة تحت المهاد وتحدث الرعشة وتقلص العضلات فتزيد من ارتفـاع الحـرارة.. ومن أشـهر أسـبابها ضـربة الشـمس والـبرداء أو الملاريـا والأنفلـونزا ونـولات الـبرد والحمى التيفية والمالطية وغيرها.

والمعالجـة بالكمـادات البـاردة والمـاء المثلج نـوع هـام من العلاج للأعراض ذاتها، وإذا كانت الأدوية النوعية المضادة للحميـات الانتانية لم تكتشف إلا في القرن التاسع عشر، وكـذلك مخفضـات الحرارة كالأسبرين والكينين فقـد كـان اسـتعمال المـاء البـارد هـو الواسـطة العلاجيـة الأولى، وإذا كـان النـبي ﷺ قـد نبـه إلى هـذه الواسطة العلاجية الهامة فالإعجاز في دعوته تلك، أن تبريد الحمى بالماء مـا يـزال العلاج العرضـي الأمثـل، والـذي يشـرك حالياً مـع الأدوية النوعية.

الشراب المبارك

سـمعت صـوتا عـذبا من لؤلـؤة أخـرى تقـول: أمـا أنـا، فـإني اللؤلؤة المختصة بالشراب المبارك؟

قلت: لقد عرفت بركاتك في تغذيـة الجسـم.. فهـل تعلميـني من بركاتك في العلاج؟

قالت: أجل.. ولكنكم تقصرون.

قلت: فيم؟

قـالت: أنتم تبـالغون في العلاج بالسـموم الـتي تصـنعونها، وتغفلون عني.

قلت: لم؟.. فأنت أرخص ثمنا.

قالت: زهدتم في لرخص ثمني، فرحتم تبيعونني بالسموم.

قلت: فكيف يعرف البشر قيمتك؟

قالت: لو حبست عنهم.. ثم وضعت في قارورات، واشتروني بوزني ذهبا.. حينذاك سيتحدثون عن منافعي.

قلت: لم؟

قالت: لأن المستضعفين المساكين تبع لأرباب الأمـوال.. وهم لا يصفون إلا ما يملأ جيوبهم.

قلت: ولكنـك شـراب.. ويكفيـك ذلـك.. فكيـف تطلـبين أن تصيري دواء..

قالت: لأني دواء.. ولو بحثتم في أسـراري وكيفيـة اسـتعمالي علاجا لوجدتم الكثير.

قلت: فهل هناك من بحث في ذلك؟

قالت: كثيرون هم.. وهم لما يروا بعد الكثير من فوائدي.

قلت: فماذا وجدوا؟

قالت: وجدوا أشياء كثيرة، وسأقتصر على وصفة منها.

قلت: فاذكريها لأنتفع بها.

قالت: لقد قام الاتحاد الياباني للأمراض بتجربة للعلاج بالمـاء، وقـد بلغت نتـائج نجاحهـا 100بالمائـة بالنسـبة لعلاج كثـير من الأمراض القديمة والعصرية.

قلت: فما هي الوصفة؟

قالت: استيقظ مبكراً صـباح كـل يـوم وتنـاول 4كـؤوس مـاء سعة كل واحد منهما 160مل على معدة فارغة، ولا تتناول أي نوع من الطعام أو السوائل قبل مضى 45 دقيقة على شرب ماء.

ثم تناول فطورا عاديا بعد مضي 45 دقيقة.

ثم لا تتناول أي طعام أو شراب خلال الساعتين التاليتين لكل من وجبة الفطور والغذاء والعشاء.

وبعد العشاء لا تتناول شيئاً لا سيما عند حلول وقت النوم.

قلت: فهل أستمر على ذلك طول حياتي؟.. إن ذلك لشاق.

قالت: لا.. تحتاج ككل علاج إلى مدة قصيرة تختلـف بـاختلاف المرض، فارتفاع ضغط الدم يحتاج 30 يومـاً، ومثلـه داء السـكري، والسرطان 6 أشهر، ومشاكل المعدة 10أيام، والإمساك 10أيـام، والسل 3 أشهر.

أما الذين يشـكون من التهـاب المفاصـل، فعليهم أن يكـرروا هذه التجربة 3 مرات يومياً في الأسـبوع الأول، ثم يخفضـونها إلى مرة واحدة في الصباح.

قلت: فما الأمراض التي يمكن علاجها بهذه الوصفة؟

قالت: منها الصداع، وضغط الدم، وفقر الدم، وداء المفاصل، والشـلل وسـرعة خفقـان القلب، والصـرع، والسـمنة، والسـعال، والتهاب القصـبة الهوائيـة والربـو، والسـل، والتهـاب السـحابا، وأي مـرض آخـر يتصـل بالمسـالك البوليـة والكبـد، وفـرط الحموضـة، والتهاب غشـاء المعـدة والإمسـاك والبواسـير وداء السـكري، وأي مرض آخر يتصل بالعين والأنف والحنجرة.. وغيرها كثير.

قلت: فبم تفسرين هذا الدور الذي يقوم بـه المـاء في حفـظ الصحة؟

قالت: أنا لا أفسر، فإن فسرت أرجعت ذلك إلى ما أودع الله فينا معشر المياه من البركات.

قلت: أقصد تفسير قومي.

قالت: لقد نصوا على أن المـاء أساسـي في عمليـة الأيض أو الاسـتقلاب أو التمثـل الغـذائي.. ولهـذا ففي حالـة جفـاف الجسـم بسبب نقص الماء يتم سحب الماء من أجزاء مختلفـة من الجسـم ليتم سوقه إلى الأماكن الأشد طلباً للسوائل حـتى أن الأمـر يصـل إلى حد سحبه من الفراغات الواقعـة بين الخلايـا والأنسـجة الحيـة داخل الجسم حتى من الـدم وسـحب المـاء من الـدم يجعلـه أكـثر سـماكة وثخانـة - فيصـبح صـعباً ضـخّه وبالتبعيـة والتعـاقب يصـير الانسان أكثر اسـتعداداً وتعرضـاً لخطـر حـدوث بعض أنـواع ضـغط الدم وكذا أمراض القلب.

قلت: فما السبب في هذا النقص الذي ينتج هذا الخطر؟

قالت: إن السبب الأكثر شيوعاً لنقص المياه بالجسم هو عدم استيفاء القدر الكـافي والمتحصـل من المـاء، وذلـك بعـدم شـرب الكفاية أو نسيان شربه أو العزوف عن شربه حـتى يحـدث الظمـأ بالفعل.

بالإضافة إلى هذا فـإن ثمـة أسـباب أخـرى منهـا وجـود بعض العلل والأمراض الأخرى مثل ذات الرئـة ونـزلات الـبرد والانفلـونزا ومـرض البـول السـكري وهـو يتسـبب في نقص كبـير في مـاء الجسم.. وعلى المرضى إبداء الحذر البالغ وتحري تحصيل المقادير الكافية من الماء في الجسم.. زيادة على أن تنـاول مقـادير كبـيرة من البروتين وبشكل شاذ غـير عـادي يمكن أن يتسـبب في طـرح المزيد من الماء خـارج الجسـم بواسـطة الكلى حـتى أن معـدلات البول تكون في هذه الحالة كبيرة وبكميـات أكـبر من المعتـاد ممـا يفاقم الحالة.

ومن الأسباب الشائعة التعرق أو إفـراز العـرق وهـذا بالـذات ملحوظ مع أولئك الذين يبذلون أو يؤدّون أنشطة بدنيـة خاصـة في الطقس الحار والـرطب، لـذا فـإن القاعـدة العامـة والمثلى تقـول للجميع:(اشربوا الماء، ولو لم تكونوا عطاشى)

قلت: ولكن هناك سوائل أخرى يمكن تعويضها للماء.

قالت: تقصد المياه الغازية والشاي والقهوة..

قلت: وغيرها كثير.

قـالت: هـذه السـوائل لن تحـدث فاعليـة ـــ خاصـة مـع المشروبات المدرة للبول ـ فلا يحل محل الماء إلا الماء.. وإن كنت

لا تستسيغ طعم الماء العادي فيمكنك إضـافة قطـرات من عصـير الليمون أو وضع شريحة برتقال في كوب المـاء.. إن فوائـد شـرب الماء أكثر من أن تكون مجرّد الخلاص من إحساس الظمأ..

قلت: ولكن هناك من يحتفظ جسـمه بالسـوائل، فيحتـاج إلى إدامة العطش لئلا يغرق جسمه في الطوفان.

قالت: ذلك بحسب منطقكم.. لا بحسب منطق البركات.

قلت: فما منطق البركات؟

قـالت: إن هـذا المنطـق ينص كمـا ينص علمـاءكم على أن التخلص من ارتجاع السوائل والاستسقاء يحتاج لشرب ماء أكثر.

قلت: فما سر ذلك؟

قالت: سر ذلك أن ارتجاع السوائل هذا قد حـدث في الأصـل بسبب جفاف وندرة الماء- تراكمياً- في الجسـم ممـا دفـع الجسـم لمحاولة استبقاء ما يمكنه من الماء، والذي في حالة الحصول على القـدر الكـافي من الميـاه بالشـرب سـيحدو بالجسـم وقتئـذ إلى التخلص من هذا المرتجع الضار من السـوائل (والـذي يأخـذ شـكل الأوديما أو الاستسقاء)

فالهدف في الأصل هو الحفاظ على أكـبر قـدر من السـوائل تتدفق وتطـوف خلال الجسـم، وهـذا يمكن تحقيقـه بزيـادة القـدر المتناول من المـاء، وفي نفس الـوقت ملاحظـة مـا يحصـل عليـه الجســم من صــوديوم (ملح)من الأغذيــة، فكــثرة الملح تــؤدي للاحتفاظ بالمـاء، فكلمـا زادت معـدلات الصـوديوم حـاول الجسـم ارتجاع الماء بشكل متزايد.. والسبب محاولة تخفيف درجـة كثافـة الملح داخل الجسم مما يؤدي إلى الاستسقاء وظهـور علاماتـه من انتفاخ الأنسجة مثلا عند الكاحل.

قلت: تقصد أن نقص الماء يدعو الجسم إلى الظن بأنـه ثمـة ندرة شديدة وقحط قد حلّ به مما يجعله يلجأ لارتجاع السوائل.

قـالت: أجـل.. ولهـذا يتعين على الـذي يعـاني من ذلـك إلى إنقـاص المتنـاول من الملح- في الطعـام- أو زيـادة المتنـاول من المياه بالشرب.

قلت: لقـد نبهتـني إلى خطـر الجفـاف الـتراكمي الـذي يحـل بالبدن نتيجة الظمأ الشديد، فاذكري لي مظاهره.

قـالت: لقـد كـان الـدكتور فيريـدون باتمـان جليـدج من أكـثر الأطبـاء اهتمامـا بهـذا(1).. فقـد كشـف النقـاب عن أزمـة ومعانـاة

1) يعتبر كتاب د. باثمان- المسمى « صيحات جسمك الكثيرة والمتزايدة طلباً للماء » هو مرجع كامل وعلاجي بالماء يشمل التصورات العلمية والمعطيات- خطـوة بخطـوة- في فائدة شرب الماء صحياً وعلاجياً من علل كثـيرة جـدا حـتى علـل الأطفـال وإصـابات

الجسم بسبب الجفاف التراكمي.

ومما ذكره من المخاطر المنجرة عن هذا الربو والسكري وضغط الدم المرتفع ومرض التصلب المتعدّد ومتلازمة الإعياء المزمن والتهاب المفاصل والكثير الكثير!

قلت: لا أريد كلاما عاما.. أريد تفاصيل تملؤني قناعة.

قالت: أتعرف حرقان القلب؟

قلت: أعلم أنه إحساس الألم والحرقة خلف عظم القص، وهو يرتفع ويعلو من الجوف وتجاه الحلق مع إحساس بحمض أو سائل مر في الفم، وهو عادة ما يتسبب عن ارتجاع بعض سوائل المعدة صوب وناحية المرىء.

قالت: إن هذه الحالة إشارة أو لافتة تحذير رئيسية للجسم تدل على نقص الماء في الجزء العلوي من القناة المعدية المعوية.. ولسوء الحظ فإن استعمال مضادات الحموضة والأقراص لاحتواء الألم هو وقتي ولن يصحح حالة ندرة الماء أو نقصه وبالتالي سيظل الشخص يعاني منها!

قلت: وعيت هذا.

قالت: ومثله التهاب المفاصل وخاصة الشكل الروماتويدي، فهو إشارة على نقص الماء المزمن في المفصل المتألم وهذه الحالة يمكن أن تصيب صغار السن بالإضافة للكبار وتناول مسكنات الألم لن يشفى منها بل إنه يعرض الشخص لمزيد من الضرر بسبب الأعراض الجانبية لهذه الأدوية.. إن تناول الماء بالقدر الكافي بل والزائد، وأيضاً تحصيل مقادير صغيرة من الملح البحري من الممكن أن يساعد في شفاء من هذه العلة.

قلت: وعيت هذا.

قالت: ومثل ذلك آلام أسفل الظهر وكذا تصلب- و- أو التصاق المفصل أو المفاصل في العمود الفقري)، وهو أحد أشكال التهاب المفاصل المقعدة.. فكلها علامات على نقص الماء المزمن في الفقرات والعمود الفقري فالماء - عند ذاك- بمثابة بطانة أو وسادة تدعم وزن الجسم وتخفف أو تهمد الصدمات، ولذا فالعمل على الحصول على القدر الزائد منه بانتظام للجسم من الممكن أن يكون هو العلاج الناجع وليس الاعتماد على الأدوية المسكنة التجارية!

ومثل ذلك الخناق الصدري.. فهذه الحالة- وخاصة إذا اقترنت بحرقة الفؤاد هي علامة على ندرة ماء الجسم خاصة في محور

الملاعب "الرياضية"

القلب- الرئة وعلاجها بزيادة القدر المتناول من المـاء حـتى يشـعر المريض بزوال الألم وبالخلاص من تناول الأدويـة الخاصـة بالحالـة- وطبعا هو أمر يتسم بالحكمـة والتبصـر أن يتم ذلـك تحت إشـراف الطبيب المختص.

ومثل ذلك الصداع النصفي فهو لافته تحذير بأن ثمـة احتيـاج- من قبـل المخ والعيـنين للمـاء- ويمكن الخلاص منـه بالوقايـة من الجفاف من أن يحل تراكمياً بالجسم.. وللعلم فإن هذه الحالـة من الجفاف ربما سبّبت التهابا بالمنطقة خلـف العيـون، بـل واحتماليـة نقص أو خسارة البصر.

ومثــل ذلــك الربــو الــذي يحصــد الملايين.. فــالمرض من مضاعفات جفاف الجسم وعدم تميهه بالشكل الكـافي ممـا يحـدو بالجسم إلى اللجوء لميكانيزم خـاص بـه حالـة الجفـاف أو القحـط هـذه فـالممرات الهوائيـة في الرئـة تنقبض لكي تمنـع المـاء من مغادرة الجسم على شـكل بخـار.. وهكـذا فـإن تنـاول المزيـد من الماء يقي ويعالج هجمات الربو هذه.

ويمكن تشبيه ذلك نسبيا بالمادة الطينيـة اللزجـة الـتي تصـب في فجــوات أو فراغــات الأغشــية المخاطيــة لبعض الخلايــا لكي تحميها وتقيها من خسارة مخزونها من مائهـا الحيـوي أثنـاء عمليـة التناضــح- تبــادل الســوائل- بين الخلايــا والخلايــا المجــاورة- فالكوليسـترول إضـافة لـدوره في تصـنيع الهرمونـات والأغشـية المخاطية في الخلايا العصبية يوظفه الجسم أيضاً بمثابـة درع ضـد العبء الإضافي- الضريبي- والذي تفرضـه الخلايـا الحيويـة الأخـرى والذي يتعفق بتبادل الماء من خلال أغشيتها المخاطية.

الهواء

سلمت على لآلئ الماء مودعا، فصاحت في لؤلؤة منهن: إلى أين؟

قلت: إلى متوسم الغذاء..

قالت: أفلا تزور الهواء؟

قلت: ومن الهواء؟

قالت: ذلك الإكسير المبارك الذي هو أبونا، ونحن أبناؤه.

قلت: أنــا أبحث عن أســرار البركــات، ولا أبحث عن الآبــاء والأمهات.

قالت: إن كان للبركة أب أو أم.. فالهواء أبوها أو أمها.

قلت: كيف ذلك؟ أنا لا أشعر بأن له هذا الدور الـذي تتحـدثين

عنه.
قـالت: لقـد أمـر اللـه بالصـيام، فهـل يمكن أن تصـوم على الهواء؟
قلت: لو صمت عن الهواء لاختنقت.
قالت: فكيف تنكر إذن سر بركاته؟
قلت: أنا لا أنكر.. ولكني أنظر إليه كشيء عادي لا علاقـة لـه بالغذاء ولا الدواء.. وما لم تكن له علاقة بهذين لا علاقة له بالبركة.
قالت: فلذلك لن ترجع للمتوسم حتى تنال من العلم ما يمحو عنك هذا الجهل.
قلت: فكيف أتعلم؟
قالت: كل شيء يتعلم عند أهله.
قلت: وعلم الهواء؟
قالت: عند الهواء.
قلت: كيف؟
قالت: تلطف كتلطف النسيم، فستراه.
تلطفت كتلطـف النسـيم، فأبصـرت لآلئ مختلفـة الأشـكال والألوان تتوزع في الفضاء.
قلت: من أنتن.. فـإني أرى اللآلئ الـتي يتصـارع قـومي من أجلها تحسدكن.
قـالت إحـداهن: نحن أهويـة مختلفـة، أمـا أنـا، فيطلـق علي الأوكسـجين، وأمـا أخـواتي، فتلـك تسـمونها النـتروجين، والأخـرى تسمونها الأرجـون، والأخـرى تسـمونها الـنيون، والأخـرى تسـمونها الكنسيون، والأخرى تسمونها الكريبتـون، والأخـرى تسـمونها ثـاني أوكسيد الكربون، وهي متشكلة من تزاوجي مع الكربون.
وكلنا تشرفنا بذكر القرآن الكريم لنـا، فقـد قـال تعـالى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(النحل:79).. فنحن جو السماء.

شرح الصدر:

قلت: فحدثيني عن نفسك، وعن سر بركتك؟
قالت: أنا التي أشار إليها قوله تعالى: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ (الأنعام:125)
قلت: كيف ذلك!؟.. فلا أرى اسم الأكسجين في الآية.
قالت: ومن قال لك بأن هذا اسمي؟
قلت: أسمع قومي يسمونك بهذا الاسم.

قالت: لكل قوم الحرية في أن يختاروا ما شاءوا من الأسماء، ألم تعلم بأن يوم الجمعة تسميه الملائكة يوم المزيد؟

قلت: بلى.. فما اسمك بين قومك؟

قالت: اسمي بين قومي (انشراح).. فقد جعلني الله نسيما عليلا تنشرح له الصدور، ألم تسمع ما تدل عليه الآية من فضلي؟

قلت: بلى.. وقد نص العلماء المرابطون على ثغر الإعجاز على ما في تلك الآية من إعجاز.

قالت: وما قالوا؟

قلت: لقد ذكروا أن الارتفاع في الجو لمسافة عالية يسبب ضيقاً في التنفس، وشعوراً بالاختناق، وهو يزيد كلما زاد الارتفاع، كما تنص على ذلك كلمة يصّعد، حتى يصل الضيق إلى درجةٍ حرجةٍ وصعبة جداً.

قالت: وما الذي ذكروا من سب هذا الضيق؟

قلت: تعلمت هذا مجردا عن تفاصيله.

قالت: فاعلم بأن سر ذلك يعود إلى انخفاض نسبة وجودي في الارتفاعات العالية، فأنا أعادل 21بالمائة تقريباً من الهواء فوق سطح الأرض، بينما أنعدم نهائياَ في علو 67ميلاً، ويبلغ توتري في الاسناخ الرئوية عند سطح البحر 100 مم، ولا يزيد عن 25 مم في ارتفاع 8000 متر حيث يفقد الإنسان وعيه بعد دقيقتين أو ثلاث، ثم يموت(1).

وقد أدى الجهل بهذه الحقيقة إلى سقوط ضحايا كثيرين خلال تجارب الصعود إلى الجو، سواء بالبالونات أو الطائرات البدائية، أما الطائرات الحديثة فأصبحت تجهز بأجهزة لضبط الضغط الجوي والأوكسجين.

قلت: فأنت غذاء ضروري إذن.

قالت: لا غنى عني.. فأنا نسمة الحياة لكل الحيوانات التي فوق الأرض.

قلت: ولكني أرى من زملائك من يفوقك عددا، فكيف هنت لهذه الدرجة.. أم أن لغيرك من المنافع ما ليس لك؟

قالت: لا.. ألم تسمع قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا

---

1) والسبب الثاني لذلك هو انخفاض الضغط الجوي، حيث ينخفض هذا الضغط كلما ارتفعنا عن سطح الأرض مما يؤدي لنقص معدل مرور غازات المعدة والأمعاء، التي تدفع الحجاب الحاجز للأعلى فيضغط على الرئتين ويعيق تمددها، وكل ذلك يؤدي لصعوبة في التنفس، وضيق يزداد حرجاً كلما صعد الإنسان عالياً، حتى أنه يحصل نزيف من الأنف أو الفم يؤدي أيضاً للوفاة، انظر: مع الطب في القرآن الكريم، الدكتور عبد الحميد دياب، والدكتور أحمد قرقوز.

خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (الحجر: 21)؟
قلت: بلى.. وقد قال تعالى مثلها: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (القمر:49)
قالت: فأنا مع زملائي منزلون بقدر معلوم.. فأنا أشكل نسبة الخمس تقريبا من الهواء الجوي، أو بتعبير أدق 21بالمائة من الهواء.
قلت: فلو زدت.. ماذا سيحصل؟
قالت: لو زدت بنسبة 50 بالمائة مثلاً أو أكثر فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال لدرجة أن أول شرارة من البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة حتى لتكاد تنفجر.
قلت: فلو نقصت نسبتك؟
قالت: لو أن نسبتي في الهواء قد هبطت إلى 10بالمائة أو أقل، فإن الحياة تكون قد انمحت على الأرض منذ دهور.
ولذلك كان من رحمة الله تعالى أن عنصرنا قد أفلت من الاتحاد مع غيره وترك في الجو بنفس النسبة تقريباً، وهي النسب اللازمة لجميع الكائنات الحية.
قلت: أراك تذكرين الاحتراق.. فما علاقتك بالاحتراق.. فهل أنت احتراق أم انشراح؟
قالت: أنا لا أشرح الصدور فقط، بل إني ركن أساسي في التغذية، ولا أكون انشراحا إلا بكوني احتراقا، ألا تعلم أن السلام قد يكون كامنا في الثورة؟
قلت: بلى.. سمعت هذا كثيرا.. ولكن كيف تحققين الانشراح بالاحتراق؟
قالت: كما تحقق الشمعة النور بالاحتراق والذوبان.
قلت: لكني أرى الشمعة ولا أراك.
قالت: إن الغرض الأساسي من دخولي إلى الجسم هو التغلغل عبر الدم إلى الخلايا لحرق الطعام، وتحويله إلى طاقة يستفيد منها الجسم في حركته وبقائه.
قلت: فلنفرض أنك لم تفعلي.
قالت: كيف تقول هذا؟.. أو تفرض هذا.. أنا مسخرة سخرني الله لهذه المهمة.. ولا أتصور أن أعصيه.
قلت: فلنفرض فقط.
قالت: لتعلم ذلك حق اليقين دعني أطلب من صواحبي أن لا يزرن رئتيك لترى ما سيحصل.

قلت: لقد وعيت وفهمت.. فلا تفعلي.
قالت: لقد نسيت ما جئت من أجله.
قلت: وما جئت من أجله؟
قالت: أن أبين لك سر الحصول على بركتي.
قلت: فكيف أحصل عل بركتك؟
قالت: بأمرين كلاهما يمتلئان بركة.
قلت: فما هما؟
قالت: أما الأول، فيشير إليه قوله ﷺ:(بورك لأمتي في بكورها).. فمن طبق هذا الهدي النبوي يكون قد حصل على سر مهم من أسرار بركاتي، فإن أعلى نسبة لغاز الأوزون، وهو شكل من أشكالي في الجو تكون عند الفجر، وتقل تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس.
وهذا الغاز له تأثير مفيد للجهاز العصبي، وهو منشط للعمل الفكري والعضلي، بحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر، ويستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر الجميل المسمى بريح الصبا، لذة ونشوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل.
قلت: هذه الأولى.. فما الثانية؟
قالت: أما الثانية.. فتنفس بجميع رئتيك..
قلت: وهل تريني أستعمل بعض رئتي؟
قالت: أجل.. فالإنسان في حالات التنفس العادي يتنفس من ربع إلى ثلث رئتيه، أما التنفس العميق فيضطره إلى استعمال رئتيه كاملة.
قلت: فما الفائدة من ذلك؟
قالت: هذا يدرب كل أجزاء الرئة على الاستعمال، بالإضافة إلى أنه يقوي عضلات الجهاز التنفسي، ويجعلها أقدر على القيام بوظائفها في الجسم.
ألا تعلم أن الإنسان في الحالات الطبيعية يتنفس من 14إلى 18 مرة في الدقيقة، ويدخل الرئتين في كل مدة يتنفس فيها عن طريق الشهيق ما يوازي نصف لتر من الهواء، ويخرج من رئتيه عن طريق الزفير ما يوازي نصف لتر من الهواء، ويضطر الجسم إلى إخراج الكميات الزائدة منه في الدم عن طريق التنفس وإلا أدى تراكمه في الجسم إلى الخمول والكسل.
قلت: وفي التنفس العميق كم يدخل.. وكم يخرج؟
قالت: في التنفس العميق تزيد كمية الهواء الذي يدخل

ويخرج من الرئتين من نصف لتر إلى ما يقرب من لتر ونصف لتر، وهذا يعني أن التنفس العميـق يـدخل إلى الجسـم كميـة أكـبر من الأوكسجين، ويخرج منه كمية أكبر من ثاني أوكسيد الكربون.

قلت: فما تأثير ذلك على الصحة؟

قالت: يساعد هذا التنفس العميق عدة مرات في اليـوم على إطالة التنفس وجعـل الإنسـان أقـدر على ممارسـة الأشـياء الـتي تتطلب منـه بـذل مجهـود أكـثر من المجهـود العـادي، كالمشـي مسافات طويلة بدون إجهاد، وهذا هو السبب الذي من أجله يقـوم الرياضيون بعمل تمرينات للتنفس بصفة مستمرة.

ولـذلك ينصـح الأطبـاء الكثـير من المرضـى بعمـل تمرينـات تنفس عميق قبل وبعد إجراء العمليات الجراحية لهم، وذلك لزيادة لياقتهم الصحية وإرجاعهم إلى الحالة الطبيعية بعد العملية، ولعـدم تعرض أي جزء من الرئة إلى الإنكماش بسبب الرقاد فترة طويلـة من الـوقت في الفـراش، وبسـبب عـدم التنفس أثنـاء المـرض بالسرعة والعمق اللازمين لبقاء الرئتين كما هما.

قلت: أرأيت لـو أن شخصـا لم يمـارس هـذا التنفس العميـق الذي تذكرينه؟

قالت: إذا لم يفعل ذلك، ولم يقم بـأي مجهـود رياضـي، فإنـه سيصيب جهـازه التنفسـي مـع مـرور الـوقت بشـيء من الكسـل، وينتج عن ذلك إحساس بـالتعب والإرهـاق عنـد بـذل أي مجهـود لا يستدعي من الشخص العادي الإجهاد.

قلت: ولكن....

قاطعتني وقالت: ماذا تشعر عندما تتنهد؟

قلت: أشعر ببعض الراحة.. فأنا أتنهد عندما أكون في حـالات الضيق والقلق والاضطرابات النفسية والعصبية.

قالت: فما التنهد إلا نوع من التنفس العميق..

قلت: فما سر الراحة فيه؟

قالت: عندما تتنفس تنفسا عميقا تزداد عملية احتراق الطعام في الجسم وينتج عن ذلك زيادة في نسبة ثـاني أوكسـيد الكربـون الموجـود في الـدم، والتنفس العميـق يسـاعد على إخـراج هـذه الكمية الزائدة من ثاني أوكسيد الكربون، فتشعربالراحة.

قلت: فهذا يدعوني إلى ملازمة التنفس العميق في كل حين.

قالت: لا.. ألم يقل الله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْـرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (لأعراف:31)؟

قلت: بلى.. ولكنه لم يذكر التنفس.

قالت: التنفس نوع من الأكل.. أو هو نوع من الشرب.
قلت: فما مخاطر الإسراف فيه؟
قالت: إن ثاني أوكسيد الكربـون يجب أن يكـون موجـودا في الدم بنسبة معينة، فإذا نقصـت هـذه النسـبة بسـبب كـثرة التنفس العميق نتج عن ذلك إحساس بالدوخة، وتزايـد في ضـربات القلب، وإحسـاس الشـخص بالإجهـاد.. ولـذلك كـان الاعتـدال يجمـع بين الحسنيين.
قلت: فهل يحتاج التنفس العميق إلى تدريب؟
قالت: أجل.. وقد أحسنت بهذا السؤال، فإن هناك من يعتقــد بـأن التنفس عمليـة آليـة نقـوم بهـا جميعـا ولا تحتـاج إلى التوجيـه والتدريب، لكن الحقيقة هي أن التنفس الجيد أمـر قـد يغفـل عنـه الكثير وأن النجاح فيه يرتبط بارتفاع الأداء الصـحي، والتخفيض من مستويات الاكتئاب والقلق.
قلت: فكيف أتنفس هذا التنفس العميق؟
قالت: ذلك شيء يسير.. لكي تتأكـد أنـك تتنفس بعمـق ضـع كتابا على بطنك، ثم خذ نفسا عميقا، فإن لاحظت أن بطنك يرتفـع بالكتاب عند الشـهيق، وينخفض عنـد الزفـير، فـأنت تتنفس تنفسـا عميقا.
قلت: هذا شيء يسير.. فإن لم أجد الكتـاب هـل يمكنـني أن أضع شيئا آخر؟
ضـحكت، وقـالت: لم أكن أحسـبك بهـذا الـذكاء.. إن لم تجـد الكتاب الذي تضعه على بطنك، فلن تقدر على التنفس العميق مـا حيت.
قلت: فما اسم الكتاب الذي أضعه؟
قالت: دعك من هذا المزاح.. واسمع نصيحة أخرى.
قلت: ما هي؟
قالت: لتحقيق المزيـد من التنفس الجيـد حـاول أن يسـتغرق الزفير فترة أطول من الشهيق، فالزفير بشكل خاص يسـاعد على التخلص من السموم الموجودة بالجسم، والتي إذا لم نتخلص منها، فسوف تختزن في الدهون.
قلت: وهذا يسير كذلك.. ولن يحتاج مني إلى كتاب أو غيره.
قالت: ويتطلب التدريب على التنفس الجيـد تـدريب الرئـتين، ويكون ذلك بأن تأخذ نفسا عميقا وكبيرا عـددا من المـرات يوميـا، وان تحتفظ بها لفترة في الرئتين.
قلت: لم؟

قالت: لتدريب رئتيك.. فهما كالعضلات.. إن لم تقم بتـدريبهما فانهما تفقدان مرونتها.

قلت: عرفت بركتين من بركاتك يا انشراح.. فهل من بركـات أخرى؟

قالت: سأترك المجال لرفيقاتي، فهن ينتظرن دورهن.

قلت: فمن تتركين؟

قالت: سأترك أقرب رفيقاتي إلى نفسي.. من أتعـاقب معهـا على مصلحتك ومصلحة غذائك.

قلت: من تعنين؟

قالت: من تسمونها ثاني أكسيد الكربون.

قلت: فكيف تتعاقبين معها على مصلحتنا؟

قـالت: عنـدما تتنفسـون الأكسـجين، ويحـترق في أجـوافكم تخرج نتيجة احتراقه رفيقتي ثاني أكسيد الكربون مع هواء الزفــير، وهي ليست سوى مركب من الكربون والأكسجين.

قلت: أهذا هو التعاقب؟

قـالت: ليس هـذا فقـط.. بـل تمتص النباتـات رفيقـتي ثـاني أكسيد الكربون الذي يتحد مع الماء مكونًا غذاء، ثم تُخـرج النباتـات الأكسجين الزائد إلى الهواء(1).. وهكذا نتعاقب لمصلحتك ومصلحة الحياة على الأرض.

تكوين الغذاء:

تقدمت ثاني أكسيد الكربون، وقالت: دعيني أشــرح دوري يـا انشراح.

قلت: هي انشراح.. فمن أنت؟

قالت: أنا التي تسموننني ثاني أكسيد الكربون.

---

1) لقد اكتشف قي عام 1779 م أن النبات يتنفس فيأخذ الأكسـجين و يطـرد ثـاني أكسيد الكربون، مثله في ذلك مثل الإنسـان و الحيـوان، و يصـحب تنفس النبـات ارتفـاح في درجـة الحـرارة، و يتم التنفس في الليـل و النهـار، إلا أنـه في النهـار لا تظهـر نتيجـة التنفس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربـوني الـتي يجريهـا النبـات بسـرعة أكـثر من عملية التنفس، فيخرج الأكسـجين و يمتص ثـاني أكسـيد الكربـون، لـذلك قـد عـرف بـأن ارتياد الحدائق يكون نهاراً، و لا يحسن ارتيادها ليلاً حيث يتنفس النبـات، و لا يوجـد تمثيـل كربوني، و بذلك ينطلق ثاني أكسيد الكربون و يأخذ النبات الأوكسجين.

و قد دلت الأبحاث، على أن عملية التمثيـل الكربـوني، كـانت كفيلـة وحـدها باسـتهلاك ثاني أكسيد الكربـون الموجـود في العـالم، لـو أن الأمـر قـد اقتصـر عليهـا، ولكن العليم الخبير قدر ذلـك فيجعـل الكائنـات الحيـة الأخـرى تخـرج ثـاني أكسـيد الكربـون. كمـا أن الأجسام الميتة في تحللها تخرج ثاني أكسيد الكربون وكذلك بعض التفاعلات الأخرى.

وقد قضت حكمة الخالق أن تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو دائماً، من ثلاثـة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هـواء، وأن هـذه النسـبة ينبغي أن تكـون ثابتـة على الدوام لعمارة العالم، فلم يحدث قـط مهمـا اختلفت عمليـات الاسـتهلاك وعمليـات الإنتاج أن اختلفت هذه النسبة.

قلت: وما يسميك قومك؟
قالت: يسموننني مخضار.
قلت: مخضار!؟.. ما مخضار؟
قالت: ألا تعلم أن الله تعالى أشار إلي في قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً (الأنعام:99)
قلت: أهذه الآية تشير إليك؟
قالت: هي تشير إلى ما تسمونه المصانع الخضراء في النباتات، أو ما تسمونه اليخضور.
قلت: هو يخضور لأن لونه أخضر.. فما أنت؟
قالت: وأنا مخضار لأنه لولاي لما احتاج إلى هذا اللون الأخضر، بل لولاي لم يكن بهذه الصفة أصلا.. فقد جعلني الله سببا من أسباب وجوده.
قلت: كيف ذلك؟
قالت: هذه المصانع الخضراء يخرجها النبات بأمر ربه تعالى عند بداية نموه وهي تحتوي على الكلوروفيل الذي عبّر عنه القرآن الكريم بالخضر، حيث يقوم بالاستفادة من الطاقة الضوئية، ويحولها إلى طاقة كيمائية ينتج عنها تكوين الحبوب والثمار المختلفة وسائر أجزاء النبات التي نراها في الحدائق والبساتين.
قلت: فما علاقتها بك.. فإني لم أر لك أي علاقة؟
قالت: اصبر علي.. فلا قدرة للعجول على التعلم.
قلت: أنا صابر.. فتكلمي.
قالت: لقد عرفت أن مصانع الغذاء في النبات تتركز في الأوراق والأجزاء الخضراء منه.
قلت: أجل..
قال: فاعرف بأن هذه المصانع بحاجة إلى المواد الخام، كما أنها بحاجة إلى وضع تصميم وترتيب وتنظيم يتم به وصول هذه المواد الخام إلى المصانع الخضراء.
قلت: فهمت.. فأنت إحدى هذه المواد الخام.
قالت: أجل.. فإني مع الماء والأملاح والضوء نشكل المواد الأساسية لما يكونه النبات من أغذية.
قلت: عرفت دور الماء، فحدثيني عن دورك.
قالت: أدخل إلى هذه المصانع الخضراء بواسطة ثغور صغيرة قد أعدت بإحكام، وتنتشر في الطبقة السطحية للأوراق، وقد خلق الخالق سبحانه خليتين حارستين أو أكثر تقومان بدور البواب الذي

يفتح ويقفل بنظام، وبحسب الحاجة.
قلت: فها قد دخلت.. فماذا تصنعين؟
قالت: بعد أن تصل المواد الخام ــ والتي أشكل ركنا من أركانها الأساسية ـ إلى المصانع، وهي ملايين الملايين من المصانع نقوم بأخطر إنتاج في العالم وأعظمه.
قلت: وما هو؟
قالت: إنتاج كل ما تحتاجونه من البروتينات، والدهنيات، والنشويات، والفيتامينات، والأملاح.
قلت: كل ذلك من من ماء وأملاح وثاني أكسيد كربون وضوء شمس.
قالت: كلنا نتحد من أجل كل ما تأكلونه من غذاء.. ومن عجيب أمرنا أننا نقوم بعملنا دون ضجيج أو إزعاج.. فنقوم بعمليات كيماوية طويلة متلاحقة، وفي سلسلة متتابعة في الخطوات حتى يكون الناتج هي تلك الثمار اللذيذة الشهية التي ليست إلا مخازن، خزن فيها الغذاء وأحكم حفظه فيها.
قلت: فهل هذا فقط ما تقومين به؟
قالت: لي أدورا أخرى كثيرة.. ولكني لن أنفرد بالحديث.. فمن رفاقي من ينتظر.
قلت: من؟
قالت: من تطلقون عليه النتروجين، ونطلق عليه:(ملطاف)

تلطيف الهواء والتربة:

اقترب النتروجين بلطف، وقال: نعم أنا الملطاف.. وليسموني نتروجينا كما يريدون.. ولكني لن أرضى باسم غير الملطاف.
قلت: لم هذا الإصرار على هذا الاسم؟
قال: لأني ألطف الهواء والتراب.. فأنا عبد اللطيف.. فلا أحب إلا ما يذكرني بهذه العبودية.
قلت: عرفتني باسمك، فعرفني بنفسك ودورك.
قال: لقد جعلني الله ذا أهمية بالغة على الأرض، فأنا أقوم بدور مخفف للأوكسجين، فأخفضه إلى النسبة التي تلائم الإنسان والحيوان.. ألا تعلم بأني أشكل 78بالمائة من كل نسيم يهبّ، فأنا جزء من الهواء الواقي، وبدوني كان يمكن أن تحدث عدة أمور خطرة.
قال: لا تحدثني عن احتمالات فقدك.. فأنت بيننا موقر مكرم، ولكن حدثنا عن فائدة وجودك، فإني لا أرى لك من الأهمية ما أراها

لأختك انشراح.

قال: لقد أخطأت في هذا.. فأنا لا أقل عنها أهميـة.. ذلـك لأن هناك سلسـلة من المـواد الكيمويـة الـتي أعـد جـزءاً منهـا، والـتي تشكل الغذاء الذي تتناولنه.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنسيت أني ملطف.

قلت: تلطف الهواء.

قال: ليس الهواء فقـط.. بـل الـتراب أيضـا.. فبـدون تلطيفي للتربة وتخصيبي لها لا يمكن أن ينمو أي نبات من النباتات الغذائية.

قلت: أنت هواء، فكيف تصير في التراب؟

قال: لذلك طريقتان: أما الأولى، فعن طريـق نشـاط جـراثيم معينة تسكن في جـذور النباتـات البقليـة، مثـل البرسـيم والحمص والبسلة والفول وكثير غيرها.. وهذه الجـراثيم تمتصـني من الهـواء وتحيلني إلى ملطاف مركب.. وحين يموت النبـات يبقى بعض هـذا الملطاف المركب في الأرض.

قلت: فهمت هذه الطريقة، فما الطريقة الثانية؟

قـال: عن طريـق عواصـف الرعـد، فكلمـا ومض بـرق خلال الهواء وحدّ بين قدر من الأوكسجين، وبيـني فيسـقطه المطـر إلى الأرض كملطاف مركب(1).

قلت: فهل تكفي هاتان الطريقتان في تخصيب التربة؟

قال: عموما.. ولكن من غير إسـراف.. فلـذلك تـرى الحقـول التي طال زرعها تفقد ما بها من عنصري، ولهـذا يعمـد الـزراع إلى مناوبة المحصولات التي يزرعونها.

تزيين السماء:

فجـأة لاحت لي مجموعـة من الألـوان البـاهرة من الأحمـر والأزرق والأخضر.. فقلت: من أنت.. فقد بهرني جمالكن؟

قالت إحداهن: أما أنا، فيسـموننني الأرجـون، وأنـا أتواجـد في الهواء بنسبة 10/6 في 1بالمائة، وأنا أعطيك النور الساطع البـاهر الذي تتزينون به.

قلت: فأنت مزيان.

قالت: كيف عرفت اسمي؟

قلت: أنا أقول بالقياس في اللغة.. فقست اسمك على اسـم زملائك.

---

1) عواصف البرق تؤدي إلى اتحاد الأكسجين والنيتروجين في الجو لتكـوين أكسـيد النتروز الذي ينزل مع الأمطار، فيكون سماداً للتربة.

قالت: قل بـه في اللغـة مـا شـئت.. وإيـاك أن تقـول بـه في الشرع.. فتحكم عقلك في دين الله.

الرياح والتلقيح:

أردت الانصـراف، فنـادتني طائفـة من الهـواء جمعت أشـكالا مختلفـة منـه.. وقـد كـانت من القـوة بحيث حبسـتني عن السـير، فقلت: من أنت.. فإن لك قوة وشدة.

قالت: أنا الريح والرياح.

قلت: فمم تتشكلين؟

قالت: كل من رأيته جزء مني وخدم لي..

قلت: وما علاقتك بالنسيم.. أهو ابن عمك؟

قالت: لا.. هو أنا.

قلت: عجبا.. فهل أنت نسيم لطيف.. أم ريح جبارة.

قالت: كلاهما أنا.. أنا عبد للـه.. إن أمـرني بـأن أكـون نسـيما كنت، وإن أمــرني أ أكـون شـديدة كنت.. ألم تسـمع مـا ورد في عبوديتي لله.. ألم تسمع قوله تعـالى: ﴿ هُـوَ الَّذِي يُسَـيِّرُكُمْ فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَـرَيْنَ بِهِمْ بِـرِيحٍ طَيِّبَـةٍ وَفَرِحُـوا بِهَـا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَـوْجُ مِنْ كُـلِّ مَكَـانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيـطَ بِهِمْ دَعَـوُا اللَّهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَـا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُـونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ﴾(يونس:22)

قلت: فما في ذلك من فضلك ودلائل عبوديتك؟

قـالت: ألا تبصـر؟.. لقـد مـيز اللـه بواسـطتي بين المخلص والمنافق، ومن يثبت في عبادة الله وبين من يعبد الله على حرف.

قلت: أنـــا أبحث عن البركـــات.. ولا أبحث عن فضـــل المخلوقات.

قالت: فلي بركات عظيمة نص عليها القرآن الكريم، ألم تعلم بأن الله تعالى جعلني واسطة للماء المبارك والثمر المبارك.

قلت: كيف.. وأين هذا؟

قالت: لقد نص على هذا آيات من القرآن الكريم، فالله تعالى يقول: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَـا مِنْ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَسْـقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾(الحجر:22)

ولذلك كنا بشارة من بشائر الخـير.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَـاءَ فَأَخْرَجْنَـا بِـهِ مِنْ كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ﴾ (لأعـراف:57)، وقولـه تعـالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِـهِ وَأَنزَلْنَـا مِنْ السَّـمَاءِ

مَاءً طَهُورًا﴾(الفرقان:48)

قلت: كل هذه الآيات تطفح بالبشر والفرح والرحمة.

قالت: لتخبر أنها المقصد الحقيقي من إرسال الرياح، فهي التي يحيا بها موات الأرض، ويثمر الزرع وتمتلئ خزائن السحاب، ويرتوي الخلق بمائها الطهور.

فقد جعل الله لنا تلقيح الأزهار في النباتات فتثمر، ومعظم التلقيح في النبات تقوم به الرياح، ولولا ذلك لتعذرالحصول على الطعام أو الحب والثمار.

كما أننا نلقح السحب، فتنزل الماء المبارك، وكل ذلك بتقدير الخالق الرازق الذي نعمر ألسنتنا بالتسبيح له وذكره.

قلت: أرى القرآن الكريم يذكر الرياح مرة بالإفراد ومرة بالجمع، فما السر؟

قالت: هذا من أسرار القرآن الكريم في اختيار الألفاظ.. فعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد عبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة، ليخبر أن رياح الرحمة كثيرة، وأن ريح العذاب واحدة رحمة من الله، لأن رحمته سبقت غضبه.

قلت: ما شاء الله.. هذا توجيه جيد.

قالت: بل إن الرياح القواصف والأعاصير والريح العقيم والريح الصرصر العاتية ماهي كذلك إلا رياح رحمة بما تلقيه في صدور المؤمنين من خوف من الله ينزع حجاب الغفلة والعادة، ويعيد لله في أذهانهم قدرته وتصرفه المطلق في الكون، ولولا الريح العقيم ما عرف فضل الله بالرياح اللواقح.

ولهذا يأتي التحذير من مكر الله بالتهديد بأمثال تلك الرياح، قال ﷻ: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنْ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (الإسراء:69)

قلت: فكيف أنال أسرار بركاتك؟

قالت: بالتأسي بسنة رسول الله ﷺ في التعامل معي.

قلت: وكيف كان ﷺ يتعامل معك؟

قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه، وقد قيل له: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية فقال: ما يؤمني أن يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم

العذاب فقالوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا(الاحقاف:24)

وكان ﷺ ينهى عن سبها أو التوجه إليها بالذم، بل يتوجه إلى الله، فيسأله من خيرها، ويستعاذ به من شرها، وكان يوصي أمته بقوله:(الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا به من شرها)

وكان من سنته أن يقول إذا عصفت الريح:(اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)

قلت: بهذا التوحيد علمنا النبي ﷺ كيف نوحد الله في كل الأشياء، وكيف لا نأمن مكره مع كل شيء، لأن كل شيء مجند لله خاضع لأوامره حتى الريح التي نراها طيبة قد تحمل في طياتها جرثوم الموت القاتل إذا أراد الله ذلك.

قال: فإذا عرفت ذلك، ونظرت إلي بهذه العين نلت بركتي، وقد تنال من نصرتي ما أنلت أهل الله.

قلت: فهل نصرت أولياء الله؟

قالت: كثيرون هم.. لقد كنت جندا من جند الله يوم تحزبت الأحزاب تبغي استئصال شأفة المسلمين، قال ﷻ: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا(الأحزاب:9)، فالريح من الجنود المرئية، وغيرها من الجنود غير المرئية.

وكنت جندا من جند الله التي نصر الله بها هودا عليه السلام على قومه، حين أرسل عليهم ريحا باردة كبرودة قلوبهم، في أيام مشؤومات كشؤم نفوسهم مقابلة لهم على تشاؤمهم من نبيهم عليه السلام، وتحقيا لطلبهم، قال ﷻ: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ(فصلت:16)

قلت: إن تاريخك مملوء بالجهاد في سبيل الله.

قالت: ولا زالت لي أدوار لن أرتاح حتى أؤديها.. فدعني، فإن رسالة وصلتني من السماء.. ولا بد أن أذهب.

حفظ السماء:

ذهبت الريح.. فرأيت كل ما رأيته من أهوية يتجمع بشكل عجيب ليشكل جدارا صلبا لا يمكن اختراقه.

قلت: من أنت؟

قال: أنا الجدر الحافظ الذي يحفظ أرضكم من كل سوء.. أنا الذي أشار إلي قوله تعالى: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ

عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (الانبياء:32)
قلت: كيف ذلك؟
قالت: لقد جعل الله سمك الغلاف الجوي ثمانية عشر ألف ميل، وصممه بإحكام شديد وميزان دقيق؛ ليتم إحراق ملايين الشهب والنيازك قبل وصولها إلى الأرض.
وليس ذلك فقط.. بل من بركاتنا أننا نمتص الأشعة القاتلة والدقائق الذرية المميتة قبل وصولها إلى الأرض.. إننا نمثل درعاً واقياً لسكان الأرض من هذه المخاطر كلها.. إننا نشبه المشيمة التي تحيط بالجنين، فنمنع المواد الضارة من العبور ولا نسمح إلا للمواد النافعة.

الحبوب

أردت الانصراف من عالم الهواء المبارك، فقالت لي جزيئة من جزيئات الهواء: إلى أين تذهب يا تلميذ السلام؟
قلت: إلى مستشفى السلام.. لألقى المتوسمين.
قالت: فكيف لا تزور أحب بناتنا إلى نفوسنا، وأعظمهن بركة؟
قلت: من تقصدين؟
قالت: تلك السنابل التي تفيض بالبركات.
قلت: لا أراها..
قالت: لقد قدمت لك بواحدة منهن.. وهي ستحدثك بلسانها عن أسرارها وأسرار بركاتها.
فجأة لا حت لي سنبلة بألوان الذهب، وقالت: لا أظن أنك تجهلني.
قلت: كيف أجهلك؟.. وأنا آكلك صباح مساء.
قالت: فاعرف قدري لتأكلني، وأنت تحمد الله.. فلا بركة فيمن لم يحمد الله.
قلت: أنا أحمد الله كما يحمده أكثر قومي.
قالت: لا يستقيم لك الحمد حتى تعرف فضل ما تحمد الله عليه، ووجه النعمة فيه.
قلت: لقد أضر بنا الإلف، فنسينا كثيرا.
قالت: إن نسيت، فاعلم أن الله تعالى شبه مضاعفة الصدقات بمضاعفة حبات القمح، فقال: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة:261)

قلت: أقرأ هذا.. فهل فيه من أسرار البركة شيء؟

قالت: ما بك.. ألست ترى.. أم تراك لا تسمع؟

قلت: بل إني بحمد الله أسمع وأرى.

قال: ألا ترى أن الله تعالى قرننا بالصدقات وشبهنا بها.. ألا تعلم قيمة الصدقات؟

قلت: بلى.. فقد قال ﷺ:(إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل أحد)(1)، وفي حديث آخر قال:(ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)(2)

قالت: فعلمك بهذا يدلك على أسرار البركات التي نختزنها.. ألا تعلم أن الآية التي قرنتنا بالصدقات تحوي حلولا اقتصادية مهمة تنتفع بها أي أمة إذا ما فكرت في استقلالها الكامل؟

قلت: ماذا تعني؟

قالت: هي دعوة للاهتمام بمضاعفة السنابل وحبات البركة التي تختزنها السنابل، ففيها ما يغني ويكفي.

قلت: وما تغني السنابل؟.. وقد عرفت من حاجات الإنسان الغذائية ما ذكرت.

قالت: إن الله تعالى برحمته جعل في حبة القمح وأخواتها من القيمة الغذئية ما يغني عن أكثر الأطعمة، بل إن في النصوص ما يشير إلى كونها غذاء كاملا.. وهو سر آخر من سر البركة التي أودعها لله فينا.

قلت: قرأت القرآن الكريم من أوله إلى آخره، فلم أجد هذا.. فما هذه الدعوى العريضة؟

قالت: ألم تقرأ قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي

1) أحمد وابن حبان.
2) الترمذي والنسائي وابن ماجة.

مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (يوسف:43 ـ 49)

قلت: بلى.. كثيرا.. ففي هذه الآية قصة رؤيا الملك، وكيف مكن الله ليوسف عليه السلام في الأرض، وهو تمهيد لحضور إخوة يوسف عليه السلام.

قالت: ما أقل ما تفقهون من القرآن الكريم.. ألا تسمعون من القرآن الكريم غير القصص؟

قلت: فما تسمعين؟

قالت: في هذه الآيات الكريمة أخبر تعالى أن المصريين، ومن جاورهم من الشعوب اكتفوا في تلك الفترة الطويلة بما تدره عليهم السنابل المخزنة من رزق، وهو دليل على أنها غذاء كامل، وإلا لكان في اكتفائهم بها ما يؤدي بهم إلى سوء التغذية(1).

قلت: فهل أثبت العلم الحديث ذلك؟

قال: لا حاجة لأن يثبت ذلك.. فقد عاشت البشرية سنين طويلة من أعمارها تعتمدنا غذاءنا، فلم تشك فاقة ولا جوعا.

قلت: ولكن....!؟

القمح:

قال: أجل.. سأرضي بعض غروركم.. لقد أثبتت الدراسات التي أجريت على التركيب التحليلي للقمح، وعشبة القمح أنهما يحتويان على العناصرالوفيرة مثل الكالسيوم والفسفور والكبريت البوتاسيوم والكلور والصوديوم والمغنيسيوم، وغيرها.. وليس هذا فقط، بل إنهما يحتويان على نسب مقاربة جدا لما هي موجودة عليه في جسم الإنسان.

وزيادة على ذلك فإن حبة القمح تحتوي على كل العناصر النادرة في التربة، بكميات نادرة أيضا، وبنسب مقاربة جدا لما هي موجودة عليه في جسم الإنسان، ومن أمثلتها الحديد والفلور والزنك، والنحاس، واليود والكروم والكوبالت، والسيليكون، والفاناديوم والسيلينيوم والمنجنيز والنيكل والموليبدنيوم وغيرها.

وإضافة إلى ذلك كله، فحبوب القمح تحتوي على الكربوهيدرات التي تعتبر المصدر الأول للطاقة.

قلت: ولكن ما ذكرته لا يشكل الغذاء الكامل؟

---

1) ذكر هذه الإشارة الدكتور جميل القدسي الدويك، قال:« وبالفعل عاشت مصر بأكملها، وما حولها من الحضارات سبع سنين كاملة على غذاء متكامل، وافٍ شامل، دون أن يأكلوا أي طعام آخر لأن كل الأطعمة قد انتهت بعد جفاف سبع سنين، فأكلوا بذلك الغذاء الصحي المتكامل ألا وهو القمح الكامل»

قالت: تقصد البروتينات.. القمح يحتوي على كل الأحماض الأمينية العشرين الأساسية وغير الأساسية، وهي وحدات بناء كل أنواع البروتينات الموجودة في الجسم.. كلها كلها بدون استثناء.. وكيف لا وهو يحتوي على الحمضين الدهنيين الأساسيين اللذين يقدمان للجسم وظائف خارقة عظيمة معجزة تعجز آلاف بل ملايين المركبات عن القيام بها.

قلت: والفيتامينات!؟

قالت: القمح يحتوي على مجموعة هائلة ومتنوعة من الفيتامينات، والتي يندر وجودها حتى في أعظم صيدلية، وبكميات رائعة مفيدة مدهشة(1).

قلت: والهرمونات والإنزيمات!؟

قالت: حبة القمح تحتوي على مركبات هرمونية عظيمة مسيطرة مهيمنة هي البروستاغلاندينات، وعلى أكثر من ثمانين إنزيماً عظيماً مسيطراً مهيمناً.

قلت: فقد كان يوسف عليه السلام خبيرا غذائيا إذن؟

قال: كيف لا، وقد شهد له القرآن الكريم بذلك، ألم يقل الله تعالى على لسانه: لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا (يوسف:37)، فهو يعلم بالغذاء قبل حضوره، ويعلم تأويله بعد أكله.

الشعير:

قلت: لقد حدثتني أيتها السنبلة المباركة عن القمح، فحدثيني عن الشعير.

قالت: ها هي ذي أختي سنبلة الشعير تحدثك عن نفسها.. فلا أبلغ من حديث الإنسان عن نفسه.

تقدمت سنبلة الشعير بجمالها، وقالت: لقد ورد في من البركات ما ورد في القمح، فقد تناولني النبي ﷺ خبزًا وحساء وشرابًا، ونصح بي ووصفني لمداواة المرضى وتخفيف الحزن والغم الذي يعتري النفس الإنسانية بين حين وآخر.

قلت: فاذكري لي ما تطمئن به نفسي، وينشرح ل صدري.

قالت: من ذلك ما قاله ابن عباس يصف حياة النبي ﷺ:(كان ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر

---

1) من الفيتامينات التي تم اكتشافها في حبة القمح الكاملة حتى الآن فهي، فيتامين ج، فيتامين هاء (السكسينات)، البيتا كاروتين (فيتامين أ)، والبيوتين، والكولين، وحمض الفوليك، الثيامين (فيتامين ب1)، الريبوفلافين فيتامين ب2)، النياسين (فيتامين ب3)، البانتوثنيك أسيد (فيتامين ب5)، وفيتامين ك.

خبزهم خبز الشعير)[1]، وعن أبي أمامة قال:(ما كـان يفضـل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير)[2]

وقد كانوا يأكلون الشعير بنخالتـه، وقـد روي أنـه ﷺ لم يأكـل (خبزًا منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قبض)[3]

قلت: أكان يأكل الشعير بنخالته؟

قالت: أجل.. ألم تسمع حديث سهل بن سعد، فقـد قـال: مـا رأى رَسُول اللَّهِ ﷺ النقي[4] من حين ابتعثه اللَّه تعالى حتى قبضــه اللَّه، فقيل له: هل كان لكم في عهد رَسُول اللَّهِ مناخـل؟ قـال: مـا رأى رَسُول اللَّهِ منخلاً من حين ابتعثـه اللَّه تعـالى حـتى قبضـه اللَّه تعالى، فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قـال:(كنـا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثَرَّيْنَاه[5])[6]

قلت: ولكن المناخـل وجـدت بعـد ذلـك.. ولا حـرج في أكـل النقي.. فالله تعالى لم يحرم الطيبات.

قـالت: الطيبـات في النقي والنخالـة.. ألا تعلم أن بعض بـني قومك كـانوا يـأكلون الأرز بقشـوره، فـتركوه فأصـابهم مـا أصـاب المستكبرين؟

قلت: فما خسروا غير القشور؟

قالت: إن تلك القشور التي خسـروها كـانت تحمل40بالمائـة من الكالســيوم، و55 بالمائــة من الفوســفور، و55بالمائــة من الحديد، و56 بالمائة من البوتاسيوم، و78بالمائة من فيتامين ب1، و50بالمائـة من فيتـامين ب2، و69بالمائـة من فيتـامين ب، و70 بالمائة من الألياف.

قلت: أكل هذه الفوائد تختزنها القشور؟

قالت: وغيرها..

قلت: فحدثني عن سر بركتك.

قالت: قد حدثتك عنها.

قـالت: أنت أعلم بمـا في نفسـي من آثـار مـا تركـه قـومي، فخاطبيني بحسب عقلي.

قالت: لا بأس.. سـأخاطبك مـا دمت تلميـذا.. ولـو كنت أعلى درجة من ذلك ما زدت على ما ورد في النصوص: لقد وردت الأدلة

---

1) الترمذي، وقال: حسن صحيح.
2) الترمذي.
3) أحمد.
4) هو الخبز الحواري، وهو الدرمك.
5) أي: بللناه وعجناه.
6) البخاري.

العلميـة الكثـيرة تثبت الفوائـد الـتي يحتـوي عليهـا الشـعير غـذاء وشرابا.

ومن ذلك أن معهد البحوث الزراعية بجامعة ألبرتا بكنـدا قـام ببحث حول (أهمية المنتجات المحتوية على منتجات الشـعير على صحة مرضى السكر ــ النـوع الثـاني ــ)، وتحديـد أهميـة اسـتخدام منتجات الشـعير وتأثيرهـا على نسـبة السـكر والـدهون في الـدم، وكانت النتيجة النهائية لهذا البحث توضيح أهمية غذاء الشعير وخـبز الشعير كوسـيلة لزيـادة كميـة الألـيـاف المطلوبـة للجسـم القابلـة للذوبان وغير القابلة للـذوبان، لخفض نسـبة السـكر والـدهون في الدم.

قلت: وهل للشعير القدرة على تنظيم امتصـاص السـكر في الدم.

قالت: أجل.. فهو يجـد من ارتفـاع السـكر المفـاجئ لاحتـواء أليافه المنحلة القابلة للذوبان على بكتينات تكـون مـع المـاء هلامًـا لزجًا يبطئ من هضم وامتصاص النشـويات والسـكريات، كمـا أنـه قليل السعرات غني الألياف المنحلة وغير المنحلـة، ممـا يقلـل من الرغبـة في تنـاول الأطعمـة السـكرية وغيرهـا، وهـذا يسـاعد على تنظيم نسبة السكر في الدم.

قلت: ذكـرت أن لـك علاقـة بالـدهون، فهـل تسـاهمين في التقليل من الكوليسترول؟

قـالت: أجـل.. وقـد أثبتت الدراسـات العلميـة فاعليـة حبـوب الشعير الفائقة في تقليل مستوى الكوليسترول في الدم من خلال عدة عمليات حيوية، منها أن حبوب الشـعير تحتـوي على مركبـات مشابهة لفيتامين هـ الذي يعد من أشهر مضادات الأكسدة التي لها القدرة على تثبيط إنزيمات التخليق الحيوي للكوليسترول.

ومنها أن ألياف الشعير المنحلة تحتوي على مـادة هامـة جـدًا وهي البيتا جلوكان، وهي الـتي تتحـد مـع الكوليسـترول الزائـد في الأطعمة والأحماض الصفراوية مما يقلل وصوله إلى تيار الدم.

وتشير نتائج البحوث إلى انخفاض نسـبة الكوليسـترول العـام بنسبة 10بالمائة، وانخفـاض نسـب الكوليسـترول منخفض الكثافة ldl إلى 8بالمائة وارتفاع نسبة الكوليسترول عالي الكثافة hdl إلى 16بالمائة.

زيـادة على هـذا، فإنـه ينتج عن تخمـر الألـيـاف المنحلـة في القولــون أحمــاض تمتص من القولــون وتتــدخل مــع اســتقلاب الكوليسترول فتعيق ارتفاع نسبة في الدم.

قلت: فلك علاقة إذن بضغط الدم.

قـالت: أجـل.. فلي دور في كبح جمـاح ضـغط الـدم، وذلـك لاحتوائي على كمية وافرة من عنصر البوتاسيوم، حيث يخلـق هـذا العنصر التـوازن اللازم بين الملح والمـاء داخـل الخليـة.. وهـو يـدر البول مما يقلل من ضغط لدم.

قلت: لقد ذكرت في بدء حديثك أن لك علاقة بعلاج الأحزان.. فصفي لي وصفة لذلك.. فالاكتئاب من أمراض عصرنا؟

قالت: لست أنا الذي يصف هذه الوصفة.

قلت: فمن يصفها إن لم تصفيها؟

قالت: رسول الله ﷺ هو الذي وصفها.. وحسبنا بذلك شرفا.. وحسب هذه الوصفة بذلك بركة.

قلت: فما هي الوصفة؟

قالت: لقد كان ﷺ يصف التلبينـة، وهي حسـاء الشـعير لعلاج المحزونين، ويقول:(التلبينـة مجمـة لفـؤاد المـريض تـذهب ببعض الحزن)(1)، وكان ﷺ إذا أخذ أحدًا من أهله الوعك أمر بالحساء من شعير فصـنع، ثم أمـرهم فحسـوا منـه، ثم يقـول:(إنـه يرتـو فـؤاد الحزين، ويسرو فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها)(2)

قلت: آمنت بمـا قـال رسـول اللـه ﷺ.. فهلا ذكـرت لي مـا كشفه العلم الحديث من تأويل ذلك ليطمئن قلبي؟

قالت: أفلا يطمئن قلبك إلا لما قالت المخابر؟

قلت: هي جند من جند الله.. فلـذلك نفـرح بمـا تأتينـا بـه من أخبار انتصار الحقيقة.

قالت: لقد أشارت هذه الأحاديث إلى استعمال حبوب الشعير غذاء ودواء فقد استعمله النبي ﷺ لأهل بيته خبزًا، وأمر به للمريض الذي لا يطعم الطعام، وأمـر بـه للحـزين، وإصـلاح فـؤاد المـريض، وأمر به للمبطون، فإن حساء الشعير يغسل بطن المريض. ويرتــو فؤاد الحزين، ويسرو فؤاد السقيم.

قلت: فما تفسير تأثير الشعير في إزالـة الحـزن، كمـا وصـف ﷺ التلبينة بأنها (تذهب ببعض الحزن)؟

قالت: لقـد أثبت البـاحثون أن من أسـباب الحـزن والاكتئـاب حدوث خلل كيميائي، كما أثبتوا أن هناك مواد لها تـأثر في تخفيـف الاكتئاب والحزن، مثل: عنصر البوتاسيوم والمغنيسـيوم ومضـادات

---

1) البخاري ومسلم.
2) ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح.

الأكسدة والميلاتونين وبعض عناصر فيتامين ب المركب والسيراتونين.

والشعير يحتوي على كل ذلك، فهو يحتوي على عنصري البوتاسيوم والمغنيسيوم اللذين يؤدي نقصهما إلى سرعة الغضب والانفعال والشعور بالاكتئاب والحزن، وضبط عنصر البوتاسيوم والمغنيسيوم له تأثير في تخفيف الاكتئاب عن طريق تأثير هذين العنصرين على بعض الموصلات العصبية.

والإنسان يشعر بالميل إلى الاكتئاب عند تأخر العمليات الفسيولوجية للموصلات العصبية، ومن أهم أسباب هذا الخلل نقص فيتامين ب المركب، والشعير يحتوي على كمية طبيعية من بعض فيتامين ب المركب، وهذا مما يساعد على التخلص والتخفيف من الاكتئاب.

بالإضافة إلى هذا، فإن علاج نقص مضادات الأكسدة مثل فيتامين هـ له تأثير فعال في علاج حالات الاكتئاب والشيخوخة وخاصة لدى المسنين، وأيضًا على فيتامين أ المضاد للأكسدة.

ويحتوي الشعير على حمض الأميني تريبتوفان الذي يسهم في تخليق أهم الناقلات العصبية وهو السيروتونين، والتي تؤثر بشكل واضح في الحالة النفسية والعصبية للمريض.

قلت: لقد سمعت قوله ﷺ:(التلبينة تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ بالماء)فما تفسيره؟

قالت: التلبينة ملينة للأمعاء، مهدئة للقولون، مضادة لسرطان الأمعاء، وهي توصف للمرضى كغذاء لطيف سهل الهضم.. والشعير غني بالألياف المنحلة وغير المنحلة، وهذه الأخيرة تمتص كميات كبيرة من الماء وتحبسه داخلها، فتزيد من كتلة الفضلات مع الحفاظ على ليونتها مما يسهل ويسرع هذه الكتلة عبر القولون، وينشط الحركة الدودية للأمعاء مما يدعم عملية التخلص من الفضلات.

زيادة على هذا، فإن هناك أبحاثا على أهمية الشعير في التقليل من الإصابة بسرطان القولون، حيث استقر الرأي على أن الشعير يقلل من بقاء الفضلات في الأمعاء؛ مما يقلل من بقاء المواد المسرطنة في الأمعاء؛ مما يقلل من الإصابة بالسرطان، كما أن الشعير يحوي من عناصر مضادات الأكسدة والفيتامينات ما يقاوم الشوارد الحرة التي تدمر غشاء الخلية والحمض النووي، وقد تكون المتهم الرئيس ي حدوث أنواع معينة من السرطان.

ولهذا يستخرج من الشعير مادة تستعمل حقنًا تحت الجلد أو

شـرابًا في حـالات الإسـهال والتيفوئيـد والتهابـات الأمعـاء تسـمى الهوردنين.

قلت: أرى أن العلم الحديث يقف في صفك.. ويوشك أن تباع في الصيدليات.

قالت: لا يهمنا أن تقف علومكم معنا.. بل يهمنا ما شرفتنا بـه النصوص التي ربطت بنا الكثير من الأحكام الشرعية.

قلت: فأي أحكام ربطت بكن؟

قالت: ألا ترى أن النبي ﷺ لا يقصر الربا على الذهب والفضة ونحوها مما له علاقـة بـالنقود، بـل يـذكر القمح والشـعير ومـا هـو مثلهما من الأغذية الأساسية لئلا يتلاعب المرابون بها، فقد قال ﷺ: (التمر بالتمر، والحنطة بالحنطة، والشعير بالشعير، والملح بالملح، مثلا بمثل يدا بيد، فمن زاد واستزاد فقد أربى، إلا ما اختلف ألوانه)(1)

وأكثر ما وردت من صدقات الإطعام في الكفارات يجعـل من القمح والشعير مادته الأساسية، وقد قال ﷺ:(ليتصدق ذو الـدنانير من دنانيره، وذو الدرهم من درهمه، وذو البر من بره، وذو الشـعير من شعيره، وذو التمر من تمره من قبل أن يأتي عليه يوم فينظـر أمامه فلا يرى إلا النار وينظر عن يمينه فلا ينظر إلا النار وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار وينظر من قدامه فلا يرى إلا النار)(2)

قلت: فما ترين من سر النهي عن الربا في صـنفكن، والحث على الصدقة منكن؟

قالت: ذلـك واضـح.. فالربـا يقمـع الجشـع.. والصـدقة تنشـر الرحمة.

قلت: فما علاقة ذلك بالبركة؟

قالت: هذا هو سر البركة.. فالجشع والحرص الذي ملأ بطون قومـك جعلهم يتلاعبـون بجيناتنـا ليهندسـوها كمـا يشـاءون.. أو ليوقعونا في الجنون الذي أوقعوا فيه البقر.

قلت: والرحمة؟

قالت: لا بركة بلا رحمة..

قلت: أرى لك اهتماما بما يقول العلم.. فهل لك اهتمام مثلـه بالتفسير؟

قالت: كيف لا يكون لي اهتمام بكلام ربي؟

قلت: فما ترين في الفوم الذي ورد في قوله تعالى: وَفُومِهَا ، فقد اختلفت فيها أقوال المفسرين؟

---

1) مسلم.
2) الطبراني في الأوسط.

قالت: لا شك أن هذه الآية تقصدنا معشر الحبوب.. بل هذا ما ذهبت إليه أكثر أقوال المفسرين(3).. فإن قدر الله وزرت الثوم.. فلا تسمع لما يقول، فهو يدعي أن هذه الآية تقصده.. ولا دليل له على ذلك.

اللبن

قالت لي سنبلة الشعير ـ وقد رأت عزمي على الانصراف ـ: أتراك سلوتنا؟

قلت: كيف أسلوكن.. وأنتن نعمة من نعم الله، وبركة من بركاته؟

قالت: فإلى أين المنصرف.. فلم نكمل ذكر بركاتنا؟

قلت: لا طاقة لي باستكمال تعلم جميع بركاتك.. فهل يحاط ببركات الله علما؟

قالت: أما إن قلت هذا، واعترفت بما أولانا الله من فضل، فإنا سنرسلك لنهر من أنهار البركات، امتلأ بجميع الخيرات، حتى فاض أعذب من نهر الفرات.

قلت: أراك تسجعين.. أو تلغزين.. فمن تقصدين؟

قالت: الرزق الذي أفاضه الله عليكم من بين الفرث والدم.

قلت: ذاك اللبن، وقد كان أول طعام رأيته في حياتي، فكيف أراه، وأنى لي أن أحادثه؟

قالت: أنا أوصلك إليه.

قلت: ألديك براق يطير بي إليه؟

قالت: لا.. انظر عن يمينك لتراه.

فنظرت فإذا نهر من لبن امتلأ بياضا وجمالا، فصحت أأنت النهر الذي وصفه الله تعالى بقوله: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ(محمد:15)؟

قال: لا.. أنا النهر الذي وصفه الله تعالى بقوله: وَإِنَّ لَكُمْ فِي

---

3) روي أن ابن عباس سئل عن قول اللّه تعالى:﴿ وَفُومِهَا ﴾ ما فومها؟ قال: الحنطة. قال ابن عباس: أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول:

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير، عن ابن عباس في قول اللّه تعالى:﴿ وَفُومِهَا ﴾ قال: الفوم الحنطة بلسان بني هاشم، وقال الجوهري: الفوم الحنطة، وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة: أن الفوم كل حب يختبز، قال: وقال بعضهم: هو الحمص لغة شامية، قال البخاري: وقال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم.

الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَـرْثٍ وَدَمٍ لَبَنـاً خَالِصـاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ(النحـل:66)، وقولـه: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَـامِ لَعِبْـرَةً نُسْـقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَـا وَلَكُمْ فِيهَـا مَنَـافِعُ كَثِـيرَةٌ وَمِنْهَـا تَـأْكُلُونَ (المؤمنون:21)

قلت: فأنت نهر من أنهـار الـدنيا.. ولكـني لا أعـرف نهـرا من أنهار اللبن.

قال: لو جمعتم ما تحلبونه من لبن كل يـوم لشـكلتم أنهـار لا نهرا واحدا.

قلت: أنا أبحث عن أسرار البركـات.. ولا علم لي بالجغرافيـة ولا التاريخ.. ولا بالمسـاحات ولا المكاييـل.. فلـذلك أخـبرني عنـك، وعن سر بركتك.

قال: لا يجحد بركتي إلا جحود.

قلت: أنا لا أجحدها، ولكني أريد أن أعلمها.

لبن الأم:

قال: أول بركاتي أن الله تعالى أوصاكم بـأن تطعمـوا أولادكم عامين كاملين من لبني.

قلت: ذلـك صـحيح، فقـد قـال تعـالى: وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِـعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَـاعَةَ (البقـرة:233)، وهي الآية التي تشرع أحكام الرضاع.

قال: ألا يكفيك ذلك للدلالة على الفضل الذي ملأني الله به.

قلت: بلى هذا فضل عظيم.. وقـد زعم قـومي أنهم اسـتغنوا عنه بالقارورات الزجاجية التي صنعوها.

قال: والأمهات التي در الله أثداءهن باللبن المبارك؟

قلت: مشـغولات بـبرامج يتفرجونهـا، أو ألعـاب يلعبونهـا، أو شوراع يعمرونها، أو مكاتب يزينونها.

قال: بئست الأم التي لا تطعم ابنها بركتها.

قلت: أنت رجعي يا لبن.. فنحن في عصر جديد، وقد تطورنـا في كل المجالات.

قال: هو تطور خال من البركات، مليء بالمنغصات.

قلت: صدقت، ولم تصدق.

قال: بين؟

قلت: أما كونه عصرا خاليا من البركات، فقد يكـون صـحيحا.. ولكنه ليس مليئا بالمنغصات، بل هو مليء المسرات.

قال: المسرات عنده وبـه ومنـه.. أمـا مـا تسـمونه مسـرات، فليس سوى منغصات متسترة بالسرور الكاذب.

قلت: وهل تعرف المسرة؟
قال: كل أكوان اللـه لا تعـرف إلا المسـرة.. فاللـه لم يخلقنـا لنحزن.
قلت: فقد وافقتني إذن.
قال: فيم؟
قلت: في أن البركات التي فيك لا تختلف عن البركـات الـتي يصنعها قومي، ويسقونها الرضع.
قال: تلك السـموم الـتي تسـقونها الرضـع لا بركـة فيهـا، ألم تسمع الله تعالى، وهو يقـول: ﴿ وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِـعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَـوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾، فلم يـذكر الزجاجـات، وإنمـا ذكـر الوالـدات، ولم يكتـف بذلك، بل حدد الأوقات حتى لا تتلاعب النساء والرجال بها.
قلت: لا أزال إلى الآن أراك ومـــا نصـــنعه من لبن ســـواء، فكلاكما أبيض، وكلاكمـا معقم، بـل إنـه يزيـد عليـك بعناصـر كثـيرة وفيتامينات ومعادن تغري الآباء بالاستغناء عنـك، والأمهـات بإراحـة أنفسهن منك.
قـال: لا شـك أنـك لم تسـمع قولـه تعـالى:﴿ فَاسْـتَخَفَّ قَوْمَـهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف:54)
قلت: ذاك فرعون، وذلك شعبه.. ولا علاقة لي به.
قـال: فـأنتم قـد اسـتخفت بعقـولكم شـركات اللبن الكـاذب، لتصرفكم عن الحقيقة.. فلم تبحثوا، ولم تنظروا، بل رحتم تبــذلون أموالكم، وتضحون بأولادكم.
قلت: إلى الآن.. كل ما أسمعه دعاوى.
قال: أعلم ذلك.. وأعلم ما تحتاجه.. ولهـذا أحضـرت معي مـا يقيم عليك الحجة.
قلت: وما أحضرت؟
قال: انظر..
فنظرت فرأيت علبة لبن رضع، وقد آتاها الله لسانا تعـبر بـه، فقلت: من أنت أيتها العلبة؟
قالت: أنا مسلمة لله تائبة من خطايا ارتكبتهـا، أو كنت سـهما فيهـا.. فهـربت منهم لمـا خفتهم.. وجئت إلى لبن الفطـرة لأودعـه أسرار ما يفعله المجرمون.
قلت: فحدثيني عن الفرق بينك، وبين لبن الأم.
قالت: أرأيت البيت الذي بنيته وتعبت في بنائه؟
قلت: ما حصل له.. لقد ملأتني رعبا.
قالت: لا تخف.. أرأيت لو أن بعض المحتالين أخـذه منـك في

مقابل صورة لقصر فخم من القصور التي تزدهي بها الأحلام.

قلت: وما تغني عني صور القصور؟

قال: فما تـراه من ألواننـا هـو تلـك الصـور الـتي يريـدون أن يستبدلوا بها اللبن الذي يبني بيوت أجساد أطفالكم.

قلت: فهمت المثال.. فبرهني على صدقه.

قالت(1): أول مـا يملـؤك بـاليقين الـذي يزيـل عنـك ظلمـات الشك هو أن تعلم أن لبن الأم يتناسب مـع حاجـة الرضـيع، فلـذلك يتطـور من يـوم لآخـر بمـا يلائم حاجتـه الغذائيـة، ويناسـب تحمـل جسمه، وغريزته وأجهزته التي تتطور يوماً بعد يوم.

قلت: ولكـني أرى في اللبن الصـناعي قـاروات تتناسـب مـع الأعمار المختلفة.

قـال: هي تنتقـل فجـأة من تقـدير إلى تقـدير.. أمـا لبن الأم، فيتحول من يوم إلى يوم فهو ـ مثلاً ـ يفـرز في الأيـام الأولى اللبن Colostrm الـذي يحـوي أضـعاف مـا يحـوي اللبن من الـبروتين والعناصر المعدنية، لكنه فقير بالدسم والسكر، كما يحـوي أضـدادا لرفع مناعـة الوليـد، ولـه فعـل ملين، ولـذلك فهـو الغـذاء المثـالي للوليد.

كما يخف إدرار اللبن من ثدي الأم، أو يخف تركيزه بين فـترة وأخرى بحسب الحاجة، وذلك لإراحة الجهاز الهضـمي عنـد الوليـد، ثم يعود بعدها بما يلائم حاجة الطفل.

قلت: فهمت هذا.. وهو ممـا لا يمكن للصـناعة تحقيقـه مهمـا تطورت.

قالت: وأزيدك أن لبن الأم أسهل هضماً، لاحتوائه على خمـائر هاضمة تساعد خمائر المعدة عند الطفـل على الهضـم، وتسـتطيع المعـدة إفـراغ محتواهـا منـه بعـد سـاعة ونصـف، وتبقى حموضـة المعدة طبيعية ومناسبة للقضاء على الجراثيم التي تصلها.

بينما يتأخر هضم خـثرات الجبن في لبن البقـر، لثلاث أو أربـع ساعات، كما تعدل الأملاح الكثيرة الموجودة في لبن البقر حموضة المعدة، وتنقصها مما يسمح للجـراثيم، وخاصـة الكولونيـة بالتكـاثر مما يؤدي للإسهال والقيء.

ويضـاف إلى هـذا مـا يسـببه لبن البقـر من مضـاعفات عـدم تحمل وتحسس لا تشاهد في الإرضاع الطبيعي كالإسـهال والـنزف المعوي والتغوط الأسود ومظاهر التجسس الشائع، كما إن الإلعاب

1 رجعنا للمعلومات العلمية في هـذا المطلب إلى كتـاب « مـع الطب في القـرآن الكريم » للدكتور عبد الحميد دياب، والدكتور أحمد قرقوز.

والمغص والإكزما البنيوية أقل تواجداً في الإرضاع الطبيعي.

قلت: فهمت هـذا.. فالله خلـق الجهـاز الهضـمي للرضـيع متناسبا مع لبن أمه.

قالت: ويضاف إلى هذا أن لبن الأم معقم، بينما يندر أن يخلـو اللبن في الرضاع الصناعي من التلوث الجرثومي، وذلك يحدث إما عند عملية الحلب، أو باستخدام الآنيـة المختلفـة أو بتلـوث زجاجـة الإرضاع.

قلت:....

قالت: وأزيدك أن درجة حرارة لبن الأم ثابتة، وملائمة لحرارة الطفل، ولا يتوفر ذلك دائماً في الإرضاع الصناعي.

قلت: أرى الأمهـات، وهن يـرهقن كثـيرا في تبريـد اللبن وتسخينه كل حين.

قالت: ومع ذلك لا يصلن إلى درجة الحرارة التي تتناسب مـع رضيعهن.

قلت: هذه فوائد كثيرة.. وهي تكفي لإقناعي.

قـالت: فأضـف إليهـا مـا يحملـه لبن الأم من مصـادر قـوة المناعة، فلبن الأم يحوي أجساما ضدية نوعية تساعد الطفـل على مقاومة الأمراض، وهي تتواجد بنسبة أقل بكثير في لبن البقر، كما أنها غير نوعية، ولهذا فمن الثابت أن الأطفال الـذين يرضـعون من أمهاتهم أقل عرضة للإنتان ممن يعتمدون على الإرضاع الصناعي.

والإرضـاع من الأم يـدعم الزمـرة الجرثوميـة الطبيعيـة في الأمعـاء ذات الـدور الفعـال في امتصـاص الفيتامينـات وغيرهـا من العناصر الغذائية، بينمـا يسـبب الإرضـاع الصـناعي اضـطراب هـذه الزمرة.

قلت: اقتنعت بما تقولين.

قالت: اسمع لتردع قومك.. فإرضاع الطفـل ــ الـذي أمـر بـه اللـه ــ يحميـه من الإصـابة بـأمراض مختلفـة، كالتهابـات الطـرق التنفسية، وتحدد الرئة المزمن الذي يرتبـط بترسـب بـروتين اللبن في بلاسـما الطفـل، وحـذف لبن البقـر من غـذاء الطفـل يـؤدي لتحسـنه من المـرض، ومثـل ذلـك التهـاب الأذن الوسـطى، لأن الطفل في الإرضـاع الصـناعي يتنـاول وجبتـه وهـو مضـطجع على ظهره، فعند قيام الطفل بأول عملية بلع بعـد الرضـاعة ينفتح نفـير أوستاش ويدخل اللبن واللعاب إلى الأذن الوسطى مؤدياً لالتهابها.

وتزيد حالات التهـاب اللثـة والأنسـجة الداعمـة للسـن بنسـبة ثلاثة أضعاف عن الذين يرضعون من الثدي، أما تشنج الحنجرة، فلا

يشاهد عند الأطفال الذين يعتمدون على رضاعة الثدي.

قلت: إن ما ذكرته يفسر ارتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال الذين يعتمدون الإرضاع الصناعي مقارنة بنسبة وفيات إخوانهم الذين يرضعون من الثدي.

قالت: وذلك بمقدار أربعة أضعاف رغم كل التحسينات التي أدخلت على طريقة إعداد اللبن في الطرق الصناعية، وعلى طريقة إعطائه للرضيع..

قلت: اقتنعت بما تقولين.

قالت: وفوق ذلك، فإن الإرضاع الطبيعي أقل كلفة، بل هو لا يكلف أي شيء من الناحية الاقتصادية، فلذلك ينتفع به الغني والفقير، والدول المتخلفة والدول المتطورة.

قلت: أدركت ما قلت، وبورك فيك، وتقبل الله توبتك.

قالت: لقد تقبلها بفضله، فآليت على نفسي ألا أدع مجلسا يبين عورة ما يفعلون بكم إلا ونهضت محتسبة لله، ناهية عن المنكر، آمرة بالمعروف.

قلت: لقد سمعت قوله ﷺ:(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)(1)، وقد بحثت هذه المسائل في (فقه الأسرة)، وقد توقفت في النسب الذي يحرم به اللبن الاصطناعي.. ألا تعرفينه؟

قالت: ذكرتني بمزاحك.. ألا تعلم أن الأبحاث العلمية الحديثة(2) أثبتت وجود أجسام في لبن الأم المرضعة يترتب على تعاطيها تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات... وهي نفس الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثا والتي لم يكتمل نمو الجهاز المناعي عندها.

فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي ترضعه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية.

وقد وجد أن تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى أعراض مرضية عند الإخوة في حالة الزواج.

قلت: صدق رسول الله ﷺ، فقد أخبر أنه (لا تحرم المصة ولا المصتان)(3)

---

1) البخاري ومسلم.

2) انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام السنة النبوية: محمد كامل عبد الصمد، والعلوم في القرآن:د: محمد جميل الحبّال د: مقداد مرعي الجواري.

3(3) مسلم.

قالت: و(لا تحرم الإملاجة والإملاجتان)[1]
قلت: فهل اكتشفوا تأثير اللبن في الجينات؟
قالت: هذا محتمل، فقرابة الرضاعة قد يكون سببها انتقال عوامل وراثية من لبن الأم واختراقها لخلايا الرضيع واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع، ويساعد على هذه النظرية أن لبن الأم يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا، ومعلوم أن المصدر الطبيعي للجينات البشرية هو نواة الخلايا DNA كما يحتمل أن الجهاز الوراثي عند الرضيع يتقبل الجينات الغريبة، لأنه غير ناضج، حاله حال عدة أجهزة في الجسم، لا يتم نضجها إلا بعد أشهر وسنوات من الولادة.
قلت: إذا صح ما قلت.. فإن هذا سيفتح فتوحا في الطب، وخاصة في الأمراض الوراثية.
قالت: أجل.. ولعل الله يهدي بعض أهل السلام للبحث في هذا.

أسرار البركة:

عدت إلى نهر اللبن، وقلت: علمت بركات لبن الرضيع، فحدثني عن بركات لبن الفطيم، فإني أرى نفرا من قومي ينفرون منه.
قال: تقصد أولئك الذين تتلمذوا في مدارس الماكروبيوتيك.
قلت: وهل يعادي تلاميذ المباركوبيوتيك تلاميذ الماكروبيوتيك؟
قال: تلاميذ السلام لا يعادون أحدا من خلق الله.. فأخبرني ماذا قالوا، فلعل شبهة عرضت لهم، فلنا من المتكلمين من يجيب عنها.
قلت: لقد ذكروا أنه[2] يتسبب بأمراض السكري لدى الأطفال وانتقاص مواد الكالسيوم والفوسفور والماغنيزيوم في أجسامهم مما يؤدي إلى ضعف العظام وتسوس الأسنان، وإلى إصابة الفرد مستقبلاً بسرطان القولون وارتفاع الكوليسترول وغيرها من الأمراض.
كما كشفت الدراسات أن ثمة احتمالات للإصابة بسرطان الثدي عند النساء، والبروستات لدى الرجال الذين يفرطون في تناول لبن البقر، وأيضاً يتسبب الإفراط في تناول اللبن بسرطان المبيض وضمور الخصوبة لدى النسوة.

1(4) مسلم.
2) انظر: مجلة الدليل إلى الطب البديل، مقال: مساؤى حليب الابقار، الدكتور فيليب حدثي اختصاصي في التشخيص بحدقة العين والعلاج الطبيعي، وقد ذكر فيه مساوئ وأضرار حليب الأبقار من خلال بحث علمي معمق ومراجع ودراسات.

قال: فما الذي دعاهم إلى هذه الدعاوى الخطيرة؟

قلت: دراسات كثيرة أجروها، وتوثقوا منها، فهم يزعمون ـ مثلا ــ أن بروتينات لبن الأبقار هي السبب الرئيسي لأمراض السكري لدى الأطفال، وأن المتهم هو البروتين المسمى البومين المصل البقري، فهو يختلف عن البروتينات البشرية اختالافا يتسبب للجسم البشري بالرد لتوليد الأجسام المضادة، وهذه الأجسام المضادة تهاجم وتتلف خلايا بيتا المنتجة للانسولين في البنكرياس.

قال: هذا عن البروتين، فماذا عن غيره؟

قلت: يقولون: إن منتجات اللبن خفيفة جدا، ويندر فيها وجود الحديد حيث لا تحتوي إلا على ما نسبته عشرة ملليغرامات فقط في كل اونصة منها.

وللحصول على الحصة الموصى بها يوميا من الحديد والتي هي 15 ملليغرام في اليوم، فإن على الاطفال البالغين أقل من عام أن يشربوا أكثر من 31 كوارت (قياس اميركي يعادل ربع غالون)من اللبن في اليوم.

ونقص الحديد الناجم عن اللبن ليس مرده فقط نقص الحديد في اللبن، ولكنه يرجع أيضاً إلى نزعة ذلك اللبن لدفع الأطعمة الغنية بالحديد خارج غذاء الطفل، فاللبن يتسبب بنقص في الدم في الجهاز المعوي، وهو يخفض مع الوقت من مخازين الجسم من الحديد.

وقد كتب باحثون من جامعة ايوا الاميريكية حديثاً إلى مجلة (جورنال اوف بيدياتريكس)التحذير التالي:(إن نسبة كبيرة من الأطفال الذين يتناولون لبن الأبقار يصابون بزيادة كبيرة في نقص الهيموغلوبين (الكريات الحمراء)، وبعض الأطفال يعانون من افراط في الحساسية للبن الأبقار ويمكن أن يخسروا كميات كبيرة من الدم)

قال: فما الذي ذكروا غير هذا؟

قلت: لقد ذكروا أن اللبن يعطل عملية امتصاص الأمعاء للمعادن، إذ تبين أن الأطفال الذين يتناولون كميات كبيرة من لبن الأبقار يعانون من نقص في مادة الكالسيوم في أجسامهم، مع العلم أن المنتجات اللبنية تحوي كميات كبيرة من الكالسيوم غير أن اجسامهم خلت تقريباً من الماغنيزيوم أو الفسفور وهي ضرورية لامتصاص الكالسيوم.

قال: فهل هذا ما ذكروا.. أم أن هناك غيره؟

قلت: هـذا مـا أعملـه، وقـد يكـون هنـاك غـيره.. أرأيت مـا يحملونـه من عـداوة نحـوكم.. فهـل حملت من الحقـد مـا يكفي لمصارعتهم؟

قال: نحن لا نعرف الصراع.. أنسيت أنك في أرض السلام.

قلت: فقد وقفت موقفا حرجا يضـطرك إلى الصـراع.. فمـاذا تقول؟

قال: أقر بأنهم صدقوا في كل ما ذكروه.. ومن واجب النصـح على الخبير أن يذكر للخلق ما اكتشفه من المضار، وإلا كان خائنا.

قلت: فقد رجعت عن رأيك إذن في بركة اللبن.

قال: كيف أرجـع عن ذلـك.. وقـد قـال ﷺ:(من أطعمـه اللـه طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيـه، وارزقنـا خـيراً منـه، ومن سـقاه الله لبناً فليقل: اللهم بـارك لنـا فيـه، وزدنـا منـه، فـإني لا أعلم مـا يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن)(1)؟

قلت: فقـد وقعت في التنـاقض إذن، فـأنت تسـالمهم، وفي نفس الوقت تخالفهم.

قال: أنا لا أسالم، ولا أخالف.

قلت: وضح لي ما تريد.

قال: هؤلاء صـادقون في مـا قـالوا.. ومـا ذكـروا لا يـدعو إلى هجرنا، بل يدعو إلى البحث عن سر هذه التأثيرات التي حصلت.

قلت: اضرب لي مثالا يبين لي منهجك في هذا.

قال: أرأيت لو أن سموما سـرت إلى طعـام تأكلـه، نبت منـه لحمك، ونشز منه عظمك، أتراك تحذر منه أم من السم الذي وقـع فيه.

قلت: بل أحذر من السم.. ولو حذرنا من الطعام لما بقي في الأرض طعام واحد يصلح للأكل.

قال: فكذلك هؤلاء.. لو أنهم بدل أن يحكموا على اللبن بحثـوا في الأسباب التي جعلت اللبن بهذه الصفة لوجدوا من ذلك الكثير.

قلت: فدلني على بعض ما ينبغي أن يبحثوا فيه.

قالت: أول ما ينبغي أن يبحثوا فيه هو سر بركـتي الـذي عـبر عنه ﷺ بقوله:(عليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر)(2)

قلت: فما في هذا الحديث من الأسرار؟

قال: ابحثوا عن نوعية غـذاء البقـر الـذي نهـوا عن لبنـه، أهـو غـذاء المـراعي الطبيعيـة الـذي أخـبر عنـه ﷺ، أم هـو الغـذاء

1(5) أحمد وأبو داود والترمذي.

2(5) ابن عساكر.

الاصطناعي الذي لا يتناسب مع طبيعة البقر، ولا طبيعة البشر(1)؟

قلت: وما الحاجة إلى ذلك؟

قال: لقد أخبر الله تعالى أن لنوعية الغـذاء تأثيرهـا في اللبن، ألم يقل الله تعالى يـبين منشـأ اللبن: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَـامِ لَعِبْـرَةً نُسْـقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِـهِ مِنْ بَيْنِ فَـرْثٍ وَدَمٍ لَبَنـاً خَالِصـاً سَـائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾(النحل:66)

قلت: فإن وجـدوا أن الغـذاء الـذي تتناولـه هـذه الأبقـار كـان طبيبعيا.

قال: حينذاك يبحثون في كيفيـة وصـول هـذا اللبن إلى هـؤلاء الناس، هل يصلهم من ضرع البقرة إلى أفواههم، أم أنه يمـر على مصانع كثيرة، ويزود بمواد حافظـة وغيرهـا، فلا يصـلهم إلا بعـد أن يسام الخسف، ويذاق ألوان العذاب(2).

قلت: فإن شربوه من ضرع البقرة نفسها؟

قال: حينـذاك يبحثـون عن نمـط الحيـاة الـتي يعيشـها هـؤلاء الذين تضرروا بهذا اللبن.

قلت: وما علاقة نمط الحياة بهذا؟

قال الخبير: لها علاقة عظيمة، فقـد اظهـرت الإحصـائيات أن مظـاهر نمـط العيش مسـؤولة بنسـبة 50 بالمئـة عن العوامـل المـؤثرة في الصـحة.. ومن بين أهم عوامـل نمـط الحيـاة يـؤدي الغـذاء دوراً أساسـياً في تعزيـز الصـحة، والحيلولـة دون المـرض، وإطالة أمد الحياة.

قلت: فإن كان نمط معيشة هؤلاء صالحا؟

قال: كان ذلك خاصا بهم، لا عاما لكل الناس.

---

1) ورد بمقال مهم تحت عنوان: شرب الحليب.. خطر يهدد صحتك! طـارق قابيـل، نشر بإسلام أون لاين بتاريخ 06/07/2002، أمثلة كثـيرة عن أسـباب تحـول الحليب من بلسم شاف إلى سم ناقع.

2) أثبتت دراسة علمية متكاملة أجريت في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أن جميـع أنواع الحليب التي يتم تداولها في الأسواق هناك والتي تخضع لرقابة صارمة يتواجـد بهـا حوالي 59 نوعـا من الهرمونـات النشـطة، وعـدد كبـير من المـواد المسـببة للحساسـية، بالإضـافة للـدهون والكولسـترول. كمـا أكـدت التحليلات أن الحليب يحتـوي على كميـات ضارة من مبيدات الأعشاب، والمبيدات الحشرية والمواد السامة (2.200 مـرة أعلى من المستوى الآمن)، وحوالي 52 مضادًّا حيويًّا قويًّا، ودم وقيح وغائط وبكتيريا وفيروسات.

وأكدت دراسة أخرى أجريت على 78 ألف مريض على مدى 12 سنة أن الدول الأكـثر استهلاكا لمنتجات الألبان لديها نسب أعلى أيضًـا من مرضـى هشاشـة العظـام، وحـذرت الدراسة من أخطار تناول منتجات الألبان الشهيرة التي يفضلها الكبار والصغار؛ فالقضمة الواحـدة لقطعـة من الجبن تحمـل مخـاطر عشـرة رشـفات من الحليب؛ لأنـه عـادة مـا يستخدم عشرة جرامات من الحليب لعمل جرام واحـد من الجبن، وقضـمة الآيس كـريم خطرها يتجاوز خطر الحليب بحوالي 12 مرة، أما الزبـد فقـد يصـل خطـره إلى 21 مـرة ضعف الحليب. انظر: المقال السابق.

قلت: كيف تقول هذا؟ فالدراسات تنطلق من العينـات لتعمم أحكامها على كل الناس.

قال: لأن النصوص المقدسة عودتنا أنها لا تتخلـف، وقـد ذكـر اللـه تعـالى اللبن باعتبـاره من نعم اللـه على عبـاده، فلا ينبغي أن يتحول إلى نقمة إلا إذا أفسده العباد، أو فسـد العبـاد، ألم تقـرأ مـا ورد في الحـديث أن رجلا جـاء إلى رسـول اللـه ﷺ يقـول: أخي يشتكي بطنه.. فأمره رسول الله ﷺ أن يسقه عسـلاً.. فقـال: إني سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال ﷺ:(اسقه عسـلاً)، فسـقاه.. فبرئ. فقال رسول الله ﷺ:(صدق الله وكذب بطن أخيك!)(1)

قلت: صدق الله..

قال: أما إن قلت هذا، فقد أثبتت أبحاث عليمـة كثـيرة أهميـة اللبن الغذائية، فقد نشرت مجلة اللانست الطبيـة المشـهورة عـام 1985 دراسة قام بهـا الـدكتور غارلانـد من جامعـة كاليفورنيـا في الولايات المتحدة حيث درس الغـذاء الـذي يتناولـه ألفـا رجـل على مدى عشرين عاماً، فوجد أن أولئك الـذين كـانوا يشـربون كأسـين ونصف من اللبن يومياً أقـل عرضـة بكثـير لسـرطان القولـون من أولئك الذين لا يتناولون اللبن.. ولهذا كانت نصيحة الـدكتور غارلانـد أن يشرب الناس ما بين كوبين إلى ثلاثـة أكـواب من اللبن القليـل الدسم للوقاية من سرطان القولون..

وهنـاك دراسـة أخـرى من اليابـان تشـير إلى أن تنـاول اللبن يقلل من الإصـابة بسـرطان المعـدة.. ومن المعـروف لـدى عامـة النـاس أن تنـاول اللبن عنـد المصـابين بقرحـة المعـدة يخفـف ألم القرحة.

وقد اكتشف العلماء في جامعة نيويورك في الولايات المتحدة أن اللبن يحتوي على مادة تسمى (البرستاغلاندين)وهي التي تقي من القرحـة.. ومن الملاحـظ كـثرة التهـاب المعـدة والأمعـاء عنـد الأطفال إلا أن هذا المرض يمكن الوقاية منه إذا أعطينا أطفالنا لبناً كامل الدسم(2).

قلت: فهذه الدراسات تثبت أشياء مهمة.

قـال: هـذا غيض من فيض.. فإنـه لا يحـاط ببركـات اللـه، ألا تعرف الإمام جعفر الصادق ؟

---

1) إن العسل لكي يحدث تأثيره الشافي يحتاج إلى مرور بعض الوقت، وقد يختلف مقدار هذا الوقت من مرض إلى آخر ويتضح هذا المعنى من تردد أخ المريض على النـبي ﷺ مشتكيا من أن أخاه لا يزال يعاني من مرضه وتأكيد الرسول الكـريم ﷺ بالاسـتمرار في سقي أخيه العسل قائلاً: كذب بطن أخيك- وصدق الله العظيم- فيه شفاء للناس.

2) انظر: قبسات من الطب النبوي باختصار.

قلت: كيف لا أعرف ذلك الجبل الهمام من جبال آل البيت الكرام عليهم السلام؟

قال: لقد كان فقيها في بركات الله.. فقد جاءه رجل، فقال: إن بي وجعا، وأنا أشرب النبيذ، ووصفه لي الطبيب، فقال له الإمام:(ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي؟)قال: لا يوافقني. قال:(فما يمنعك من العسل الذي قال الله فيه: شِفَاءٌ لِلنَّاسِ(النحل:69)؟) قال: لا أجده، قال:(فما يمنعك من اللبن الذي نبت منه لحمك واشتد عظمك؟) قال: لا يوافقني. قال:(تريد أن آمرك بشرب الخمر.. لا والله لا آمرك)

قلت: ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (آل عمران:34)

قال: أخبر قومك بأنهم لن ينتفعوا من بركاتي إلا إذا صاروا على الفطرة، وتركوني على الفطرة، فالحجب بيني وبينهم هي الفطرة، ألم تسمع حديث الإسراء؟

قلت: بلى.. فقد روي أن رسول الله ﷺ أتي ليلة أسري به بقدح من خمر، وقدح من لبن، فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل عليه السلام:(الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر، غوت أمتك)

قال: فقد أخبر ﷺ أنه يمثل الفطرة، ولا ينتفع به إلا من ترك جسمه على الفطرة.

بركات الزبادي:

قلت: ولكنك قد تتغير، وتخرج عن فطرتك، وتصير زبادي(1)، فهل نرميك؟

قال: لا.. هذا التغير تغير فطرة، لا تغير صناعة..

قلت: كيف ذلك؟

قال: إذا كبر الرضيع، فصار شابا، هل يخرج من الفطرة بذلك؟

قلت: لا.. هي مرحلة لا بد أن يصير إليها.

قال: فكذلك الزبادي مرحلة من مراحلي.. ولها من البركات ما للشباب من بركات.

قلت: فحدثني عن بركات الزبادي، فإني أجد نفسي تشتهيه

---

1) وقد عرف عند العرب منذ زمن بعيد وأصبح للبن الرائب عدة أسماء عربية مثل اللبن الزبادي أو الحاذر أو الحامض والخبيط، وورد ذكره في أسفار العرب وفي أحاديثهم، والأسماء التي وردت في لغتهم له أكبر دليل على معرفتهم. وكذلك الأطباء العرب تحدثوا عنه وعن فوائده العلاجية والغذائية، ومما قالوا فيه: ان اللبن الرائب ليس فيه من الحدة التي كانت في اللبن ولذا فإنه ينفع المعدة الملتهبة لأنه أبرد بينما يضر المعدة الباردة.

بطبع فطرت عليه.

قال: فأبشر.. فنفسك لا تزال على فطرتها.. فالتفت عن يسارك، فإن لي نبعا يسير فيه ما تحول من لبني إلى زبادي، فاسأله.. فإن له من العلم بحاله ما ليس لي.

التفت، فرأيته بجمال اللبن، فقلت: حدثني عنك.

قال: أنا الزبادي.. ومن لا يعرف الزبادي.. أنا من وضع الله تعالى في بركة التجدد الدائم، والحيوية الثابتة، وجمال المظهر، وسلامة الأجهزة من الأمراض.

قلت: ما سر ذلك؟

قال: لأن الله وضع في معظم الفيتامينات الهامة.. زيادة على أن محتواي من المادة الدهنية سهل الهضم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنا من يقوي المعدة، ويقطع الاسهال، ويخصب البدن، ويفتح الشهية ويسكن الحرارة، وأنا خير وصفة لمعالجة القلاع عند خلطي بالعسل.

وقد بينت الدراسات والأبحاث التي أجريت علي أهميتي العلاجية حيث وجد أن الله تعالى وضع في بركات تتلف جراثيم العصبات القولونية في المعدة والأمعاء.. ووضع في ما يفيد في حالات التهاب الكبد والكلى وضعفها..

قلت: أأنت كل ذلك؟

قال: وفوق ذلك أنا طارد للغازات، مدر للبول، مكافح للحصى في المثانة والكلى، مذيب للرمال، مفيد في عمل أجهزة الهضم، وفي حالات تصلب الشرايين والوهن، كما أني مهدئ للأعصاب، محارب للأرق، مجمل للوجه، مطر للجلد.. فإن شئت أن تعلم صدق قولي، فاذهب إلى بلغاريا أوالقوقاز أوالأناضول.

قلت: لم؟.. وهل تباع هناك بثمن بخس؟

قال: لا.. ولكن لي قوما هناك يحبونني ويكرمونني.

قلت: فبماذا جازاهم الله؟

قال: بطول أعمارهم.. ألم تعلم أن علماء التغذية يذكرون أن نسبة طول العمر بين سكان بلغاريا والقوقاز والأناضول هي أعلى نسبة في العالم؟ ومن أسباب ذلك أن اللبن الرائب هو طعام هذه الشعوب الأساسي، وهو الذي أعطى لأجسامهم القدرة على التجدد الدائم والحيوية الثابتة وجمال المظهر وسلامة الأجهزة من الأمراض.

قلت: ما شاء الله، فما سر كل هذه البركات التي وضعها الله

فيك؟

قال: لقد قاموا بتحاليل محدودة، ومع ذلك رأوا في من الخير ما لا يمكن حصره.

قلت: فما رأوا؟

قال: لقـد وجـدوا أني أحتـوي على قيم غذائيـة عالية(1)، فأنـا أحمل في تركيبي أغلب المعادن اللازمة للجسـم.. كمـا أن المـواد البروتينية التي تدخل في تكويني ذات القيمة الحيوية العاليـة.. وأن المـادة الدهنيـة الـتي فيـه سـهلة الهضـم.. كمـا أني أضـم معظم الفيتامينات المعروفة القيمة الحيوية والضرورية للجسم، فأنا غـني بفيتامين أ ومجموعة فيتامين ب المركب.. ونسبة ليست كبيرة من فيتامين ج.. كما أني ذات قيمة سعرية حرارية لا بأس بها.

قلت: فما الفرق بينك، وبين أبيك اللبن؟

قال: لكل منا منافعه وبركاته.. ولا تفاضل بيننا.

قلت: لم أقصد التفاضل.. ولكني قصدت أنواع المنافع.

قال: لقد وجدوا بمقـارنتي بـاللبن أنـني أتمـيز بـاحتوائي على حامض اللبن، وهو ما يسـاعد على قتـل مـا في من جـراثيم، ولـذا فإنني ذو فائدة عظيمة في القضاء على الغازات السامة بالجسم.. لأن الجراثيم الضارة لا تستطيع البقاء في حامض اللبن.

زيادة على ذلك، فأنا أساعد في تخفيف الـوزن، ولهـذا أدخـل في أنظمة النحافـة.. وسـر ذلـك احتـوائي على نسـبة بسـيطة من السعرات الحرارية زيادة على أن نسبة البروتين العالية التي وهبها الله لي تحفظ عضلات الجسم والوجه قوية.

قلت: ذكرت أن لك تأثيرا في الجمال، فما سره؟

قال: سره هـو كـون فيتـامين ب من محتويـاتي، وهـو عامـل الجمـال والحيويـة للشـعر والبشـرة والعيـنين، كمـا يسـاعد على مقاومة الجوع بين الوجبات..

التمر

1) أجريت بعض الدراسات في انجلترا على اللبن الزبادي وقد صرَّح العلماء بقولهم: إن الزبادي يعد مصدراً رائعاً للفيتامينات والمعادن والبروتينات ولذلك فهو مفيد جداً للذين يخضعون لنظام غذائي صارم "الرجيم" كما يفيد تناول الزبادي بعد العلاج بالمضادات الحيوية، حيث إن المضاد الحيوي يقتل جميع البكتريا الموجودة بالجسم، سواء الضارة أو المفيدة، ولذا فتناول الزبادي يعوض المعدة عما تفقده من بكتريا مما يساعد في هضم الأغذية عموماً.

وقد ثبت أن البكتريا المفيدة للمعدة توجد في الزبادي، وهي بكتريا حامض اللاكتيل التي تساعد على تخليق بعض الفيتامينات وتخليق البروتين للوصول للاحماض الامينية مما يساعد على هضم الطعام، بما تفرزه من انزيمات فضلاً على استطاعة البكتريا الموجودة في الزبادي من تطهير المعدة وقتل الطفيلات.

سرت مودعا نهـر اللبن، فقـال: إلى أين؟.. هـل اشـتقت إلى أهلك وولدك؟
قلت: لا.. ولكن لي إخوانـا في مـدائن السـلام لا بـد أن أعـود إليهم.
قال: أفلا تصل رحمك؟
قلت: رحمي كثيرون.. فمن تقصد منهم؟
قال: عمتك.
قلت: عماتي كثيرات، فمن تقصد منهن؟
قال: عمتك النخلة.
قلت: لا أذكر أن لي عمة بهذا الاسم.
قال: كيف تنسى عمتك؟
قلت: لقد ذكرت لـك أني لا أعـرف عمـة بهـذا الاسـم.. فقـد يكون خلط عليك.
قال: معاذ الله.. لا يخلط على مثلي.. ألا تـراني صـافيا كقلب المؤمن؟
قلت: بلى.. ولكـني صـادق أيضـا.. ويسـتحيل أن يكـون كلانـا صادق.
قال: فهيا نفعل ما تفعله الملائكة عند اختلافها.
قلت: فما تفعل؟
قال: تتحاكم إلى ناصح.
قلت: أرانا بمحـل خـال، فـأين نجـد هـذا الناصـح الـذي يحكم بيننا؟
قال: هاهي ذي النخلة تحكم بيننا.
فجأة ظهرت نخلة بمنتهى الجمال تحـوي أعـذاق نخـل تمتلئ بالحياة، فقلت: لا بأس، أقبل التحاكم إلى هـذه، فـإني أحب ظلهـا، وأحب بناتها.
التفتت إلي النخلة، وقالت: أهلا بابن أخي.. ما هـذا الجفـاء؟.. كيف تقاطع عمتك؟
قـف شـعري، وقلت: لا أعلم أن جـدي قـد تـزوج من بنـات النخل، فكيف تكونين عمتي؟
قـالت: ألم تسـمع قولـه ﷺ:(أكرمـوا عمتكم النخلـة، فإنهـا خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر أكـرم على اللـه من شجرة ولدت تحتهـا مـريم بنت عمـران، فـأطعموا نسـاءكم الولـد

الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر)[1]
قلت: لا.. فاعذريني، ولو بلغني الحديث ما جادلت اللبن فيما لا أعلم.
قالت: لا بأس عليك.. فاللبن لا يحمل الأحقاد.
قلت: فحدثيني عنك وعن بناتك.
قالت: حديثي طويل، فاقترب لتستظل بالسعف المبارك.
اقتربت، فقالت: إن ما يملؤني بالسرور هو سماعي لتشبيه الله لي بالمؤمن.. فلذلك تراني أقدم تموري حلويات لهذه البشارة العظيمة التي ملأني الله بها.
قلت: فتمورك علامة سرورك؟
قالت: هي فيض من سروري، وسر من أسرار فرحتي.
قلت: فكيف عرفت تشبيه الله لك بالمؤمن؟
قالت: ما بالك يا ابن أخي، إن كان الحديث لم يبلغك، فالقرآن الكريم قد بلغك.
قلت: هو بلغني، ولكنه أوسع من أن أدرك معانيه، أو أحيط ببركاته.
قالت: إن قلت ذلك واعترفت بقصورك، فاعلم أن الله تعالى شبهني بالمؤمن، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (ابراهيم: 24 ـ 25)
قلت: لقد ذكر الله تعالى شجرة طيبة، ولم يخصك يا عمة، فكيف تخصصين القرآن الكريم بدون مخصص، وكيف تحملينه ما لا يحتمل؟
قالت: ألم تسمع الحديث الوارد في ذلك؟
قلت: أي حديث تقصدين؟
قالت: ما روي أن رسول اللّه ﷺ قال يوما لأصحابه: (أخبروني عن شجرة ـ تشبه أو ـ كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول اللّه ﷺ:(هي النخلة) [2].
قلت: هذا حديث صريح يشبهك بالمؤمن، فطوبى لك هذا التشبيه.

---

1) الموصلي وابن أبي حاتم، والعقيلي وابن عدي وابن السنى وأبو نعيم في الطب وابن مردويه عن علي، قال المناوي في الفيض (2/95)فالحديث في سنده ضعف وانقطاع.
2) البخاري.

قالت: بل ورد هـذا في نصـوص أخـرى، ألم تسـمع قولـه ﷺ: (مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك)(1)

قلت: فهذا حديث آخر.

قالت: لا زال المزيد.. فقد قال ﷺ:(مثل المؤمن الـذي يقـرأ القرأن كمثل الأترجـة ريحهـا طيب وطعمهـا طيب، ومثـل المـؤمن الذي لا يقرأ القـرآن كمثـل التمـر لا ريح لهـا وطعمهـا حلـو، ومثـل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مـر، ومثل المنافق الـذي لا يقـرأ القـرآن كمثـل الحنظلـة ليس لهـا ريح وطعمها مر)(2)

قلت: فهل هذا من أسرار بركاتك؟

قالت: بلى.. فالمؤمن مبارك.. ولا يشبه به إلا مبارك.

قلت: ففيم تشبهينه؟

قالت: أشياء كثيرة.. ألا تنظر إلى هامتي المرتفعة؟

قلت: بلى..

قال: فهي مثال عزة المؤمن.. ألا تنظر إلى ظلي المديد؟

قلت: بلى..

قالت: فهو مثال رحمة المؤمن.. أفلا تنظر إلى ثباتي الــذي لا تحركه الأعاصير؟

قلت: بلى..

قالت: فهو مثال ثبات المؤمن.. أفلا تنظر إلى صبري؟

قلت: أين هو.. لا أرى فيك شيئا اسمه الصبر.

قالت: ألا ترى أني أتحمل من الظـروف الجويـة القاسـية من ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الرطوبة ما لا تتحمله أي شجرة؟

قلت: هذا صحيح.

قالت: وفـوق ذلـك لا أطلب إلا خـدمات هي أقـل بكثـير ممـا يتطلبه غير من الأشجار.

قلت: هذا صحيح، وقد قال ﷺ:(مثل المؤمن مثل النخلــة مـا أخذت منها من شئ نفعك)(3)

قالت: صدق رسول الله ﷺ.. فأنـا أشـبه المـؤمن في صـبره وثباته وعزته ومنافعه.. وغير ذلك كثير.. فكيف لا أكون عمته؟

قلت: صدقت فيما ذكرت.. ولكـني لم آت لأبحث عن نسـبك، وصلتك بي، أو صلتي بك.

قالت: فعم تبحث؟

---

1) الطبراني في الكبير.
2) البخاري.
3) الطبراني في الكبير.

قلت: عن بركاتك.

قالت: وهذا من أعظم دلائل بركاتي.. فكل ما اقترب الغذاء من الإنسان، أو الإنسان من الغذاء، كلما كان ذلك أكثر أثرا وأعظم بركة.

قلت: كيف ذلك؟

قال: ألا ترى أجسامكم ترفض هذه الأغذية الصناعية، وتعبر عن رفضها بالأمراض والعلل؟

قلت: هذا صحيح.

قالت: سر ذلك هو غرابة هذه المنتجات عن الطينة التي خلقتم منها.. أما طينتي، فهي طينتكم، فإن دخلت بناتي إلى أجسامكم لم تجد شيئا غريبا، ولم تجد أجسامكم إلا ما يتناسق معها ويتكامل.

قلت: هذا صحيح.. وقد سمعت مثله، واقتنعت به.. ولكني امرؤ مغرم بالتفصيل.. فلا تجدي معي حجج العقل كما تجدي ثمرات المخابر، فحدثيني عما تقول المخابر عنك؟

قالت: ألا تزال المخابر تستعبدك؟

قلت: لا أزال في ابتدائية السلام.. ولا تزال أشياء كثيرة ورثتها من قومي تستعبدني.

قالت: ما دمت قد قلت ذلك.. فإني سأكلف تمرتين من تمراتي قد تكونتا في مخابركم، وستحدثك الأولى منهما عن بركات الغذاء، وأما الثانية، فستحدثك عن بركات الشفاء(1).

بركات الغذاء:

سمعت صوت تمرة جميل، فقلت: ما أحلى صوتك أيتها التمرة؟

قالت: طعمي كصوتي كلانا حلو.. فكونوا طيبين لتستحقوا الطيبات.

قلت: صدقت، فقد قال الله تعالى: وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ(النور:26)، ولكن أهناك تمر خبيث، فقد قال تعالى: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ (النور:26)؟

قالت: أجل.. ألم تسمع قوله تعالى: وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيه(البقرة:267)

---

1) من المراجع: كتاب: التداوي بالنبات و الطب النبوي، تأليف الدكتور عبد الباسط محمد السيد أستاذ مادة الجراثيم والمكروبات في الجامعات المصرية.
ندوة للدكتور عبد الباسط السيد على قناة الجزيرة في برنامج بلا حدود بتاريخ 04/12/2002 تم إعادة صياغتها بتصرف.
موقع شركة تمور المملكة على شبكة الإنترنت.

قلت: بلى.. فقد قيل: إنه التمر الرديء.
قالت: وأخبث منه تلك الحلويات التي تصنعونها، فتزيدكم خبثا على خبث.
قلت: فحدثيني عن الطيبة، فقد سمعت من أنباء الخبث ما ملأني بالغثاء.
قالت: ألم تسمع قوله ﷺ:(بيت لا تمر فيه جياع أهله)
قلت: بلى..
قالت: فهذا الحديث يدل على أن التمر غذاء كامل..
قلت: صدقت.. وقد يدل على هذا أن رسول الله ﷺ دعا إلى التسحر بالتمر، فقال:(نعم سحور المؤمن التمر)(1)
قالت: هذا صحيح.. وقد عرف قومك أن السكر الموجود في طعام السحور يكفي ست ساعات، وهي مدة كافية لشغل الصائم عن الجوع والعطش.
قلت: وبعدها؟
قالت: وبعد ذلك يبدأ الإمداد الغذائي بالوقود من المخزون الموجود بالكبد، ولهذا أمر ﷺ الصائم إذا أفطر أن يفطر على التمر أو الرطب.
قلت: أجل.. فقد قال ﷺ:(من وجد تمراً فليفطر عليه، ومن لا يجد فليفطر على الماء فإنه طَهورٌ)(2)
قالت: أتدري ما سر ذلك؟
قلت: ما سره؟
قالت: لأننا أغنياء بفضل الله بمواد الطاقة، فنحن نحتوي على عدد من أنواع السكاكر كسكر العنب، وسكر الفاكهة، وسكر القصب، بل إن نسبتها فينا عالية تبلغ حوالي 70بالمائة.
قلت: فأنتم وقود بالدرجة الأولى؟
قالت: أجل.. وزيادة على ذلك فإن السكاكر الموجودة فينا سريعة الامتصاص سهلة التمثيل، إذ لا يحتاج امتصاصها إلى عمليات هضمية وعمليات كيماوية حيوية معقدة، كما هو الحال مثلاً في المواد الدهنية والنشوية والتي تحتاج الى مفرزات هضمية.. فلذلك تستطيع المعدة هضم التمر وامتصاص السكاكر الموجودة فيه خلال ساعة أو بضع ساعة.
قلت: فما تفسير ذلك؟
قالت: لأننا نحتوي على سكريات أحادية، وهي تصل سريعاً

1) البخاري ومسلم.
2) أبو داود والترمذي.

إلى الكبد، والدم الذي يصل بدوره إلى الأعضاء وخاصة المخ، أما الذي يملأ معدته بالطعام والشراب، فإنه يحتاج لساعتين إلى ثلاثة ساعات حتى تمتص أمعاؤه السكر.. ولهذا دعا النبي ﷺ إلى ابتداء المفطر بنا.

قلت: هذه فوائد عظيمة.

قالت: والأمر لا ينحصر في ذلك فإن فائدة السكاكر الموجودة فينا لا تنحصر في منح الحرارة والقدرة والنشاط، بل إنها مدرة للبول، وتغسل الكلى، وتنظف الكبد.

قلت: بورك فيك.. ولكن القيمة الغذائية لا تعتمد على سهولة امتصاص الجسم للسكريات فقط.. وإلا فإن كثيرا من الأغذية سريعة الامتصاص، ومع ذلك لا تحمل أي منفعة.

قالت: لا تقل هذا عني، فإني ابنة عمتك.

قلت: فلتكوني.. لا يمنعني من الحق مانع، ولا يصدني عنه صاد.

قالت: إن قلت ذلك.. فقد ذكر الخبراء الذي استعبدوا عقلك أنني غنية جداً بالمواد الغذائية الضرورية للإنسان.. بل إن كيلوغراما واحدا مني يعطي ثلاثة آلاف كالوري، أي ما يعادل الطاقة الحرارية للرجل متوسط النشاط في اليوم الواحد.. أي أن الكيلوغرام الواحد مني له نفس القيمة الحرارية التي يعطيها اللحم، بل إن ما يعطيه الكيلو الواحد مني يعادل ثلاثة أضعاف ما يعطيه كيلو واحد من السمك.

قلت: ولكن الغذاء مع ذلك ليس حرارة فقط، فمن الغذاء ما ينبت منه اللحم والعظم، ومنه الفيتامينات..

قالت: أتتيه علي بالفيتامينات.. إنني أحتوي منها على أهمها.. فإني أختزن فيتامين أ.. أتعرفه؟

قلت: أجل.. فهو يساعد على زيادة وزن الأطفال، ولذلك يطلق عليه الأطباء اسم عامل النمو، كما يحفظ رطوبة العين وبريقها، وبذلك يضاد الغشاوة الليلية.. وهو..

قالت: لا يمكنك عد فضائله.. وأنا أحتوي على نسبة عالية منه تعادل أعظم مصادره.. أي تعادل نسبته في زيت السمك والزبدة.

كما أني أحتوي على فيتامين ب 1وفيتامين ب 2..

قلت: أعرفها، فلها دور في تقوية الأعصاب وتليين الأوعية الدموية وترطيب الأمعاء وحفظها من الالتهابات والضعف.. أما فيتامين ب2 فيوصف في آفات الكبد وتشقق الشفاة وفي تكسر الأظافر وتشقق الجلد.

قالت: فأنا احتوي عليه كما أحتوي على غيره من الفيتامينات.
قلت: ولكن الغذاء ليس فيتامينـات فقـط.. فهنـاك المعـادن.. وما أدراك ما المعادن؟
قالت: أتفخر علي بها.. فـاذكر لي مـا تعرفـه منهـا لأذكـر لـك علاقتي به.
قلت: هنــاك الفســفور، وهــو يــدخل في تــركيب العظــام والأسنان.. ويوجد بكثرة في ضراتك من المشمش والعنب.
قالت: كيف تقـول هـذا؟.. لقـد ذكـر الخـبراء أنـني أغـنى من المشمش والعنب بالفسفور، ففي كل مائة غرام مني تجـد أربعين مليغراما من الفسفور بينما لا تزيد كميـة الفسـفور الموجـودة في أي فاكهة عن عشرين مليغراماً في نفس الكمية.
قلت: وهناك البوتاسيوم.
قالت: ألا تعلم أني أستخدم لعلاج نقص البوتاسـيوم لاحتـوائي على كميات كبيرة منه.
قلت: وهناك الحديد والكالسيوم؟
قالت: إن بضع حبات مني تزيد في مفعولها عن فائدة زجاجة كاملـة من شـراب الحديـد الـتي تتناولونهـا، وتزيـد على أخـذ إبـرة كالسيوم.
وفــوق ذلــك كلــه، فــإن الحديــد والكالســيوم موجــودان في جسمي بشكل طبيعي يتقبله الجسم، ويتمثله بسرعة، بينمـا أدويـة الحديد والكالسيوم تمجها المعدة، وتثقل غشاءها المخاطي، وقد لا تهضمها كاملة.. فإن شئت الدليل على ذلك فـاذهب إلى مـراحيض من يتناول هذه السموم، وقل لي: ماذا ترى؟
قلت: قــولي وقولــك، ودعيــني، فقــد ملأت أنفي بــالروائح الكريهة.
قــالت: تــرى اصــطباغ لــون فضــلات من يتعــاطى الأدويــة الحديدية بالسواد، وهو دليل على عدم الهضـم الجيـد، وعلى عـدم موافقة الحديد الاصطناعي للجسم.
قلت: ومن المعادن المهمة المغنيسيوم.
قالت: وأنا أحتوي منه على نسب مقبولة مـؤثرة، ألم تلاحـظ بأن الذين يتناولون التمر بكثرة لا يعرفون مرض السرطان اطلاقا.
قلت: لم ألاحظ ذلك.
قالت: فقد لاحظ الخبراء ذلك..
قلت: وهناك البورون، وهو من العناصر النادرة والمهمة لنمـو بعض الكائنات الحية، ويلعب دوراً كبيراً في الفيتامينات التي تكـون

ذات أهمية لعلاج الروماتيزم، بالإضافة إلى تـأثيره على الهرمونـات الجنسية؟

قـالت: لقـد دلت الدراسـة على أنـني أحتـوي على البـورون بنسبة تصل الى 3 6ملجرام/ 100جرام في الجزء اللحمي والنوى على حد سواء.

قلت: فأنت منجم معادن إذن؟

قالت: ألم تسـمع الخـبراء، وهم يقولـون:(نقب عن المعـادن في مناجم التمر)

بركات الشفاء:

تقدمت التمرة الثانيـة، وقـالت في زهـو لم تسـتطع إخفـاءه: أتعرفني، يا تلميذ السلام.

قلت: أنت تمرة كسائر التمر.. فإن كنت أعرف التمـر، فـإني أعرفك.

قالت: لا.. أنا تمرة خاصة، ولي حكاية خاصة.

قلت: لا علم لي بحكاياتكم، فأخبارنا لا تعدو الإنس.

قالت: فلحكايتي علاقة بالإنس.

قلت: بـأيهم.. فـالإنس كثـيرون، ومنتشـرون.. وحكايـاتهم لا يحصيها الحاصي، ولا يدركها القاصي.

قـالت: حكـايتي مـع امـرأة امتلأت بـالطهر والعفـاف، حـتى صارت تاجا على رؤوس الأشراف.

قلت: أولئك أربع.. فمع أيهن كنت؟

قـالت: مـع تلـك الـتي تسـنمت ذروة الطهـارة حـتى جاءتهـا البشارة.

قلت: فحكايتك مع أم المسيح.. مريم البتول..

قالت: رزقك الله القبول.

قلت: فما حكايتك معها؟

قالت: كنت في النخلة التي قال اللـه تعـالى فيهـا: فَأَجَاءَهَـا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَـالَتْ يَـا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْـلَ هَـذَا وَكُنْتُ نَسْـياً مَنْسِيّاً(مريم: 23).. وأنا من الرطب الـذي قـال اللـه تعـالى فيـه: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً(مريم: 25)

قلت: فما سر إطعام الله لمريم ـ عليها السلام ـ من عذقك؟

قالت: لقد كشف قومك بعض ذلك.. ألم تسمع بما اكتشفوا؟

قلت: أسمع.. ولكن عقلي لم يكن يهتم بمثل هذا.. ولكني مـا إن رأيتكن وسمعت حديثكن حـتى صـار قلـبي يخفـق لكـل حـديث يصرح أو يعرض بذكركن.

قالت: فقد وقعت في حبنا إذن.
قلت: أخشى من ذلك.
قـــالت: لا تخش.. فلا يحبنـــا إلا الكـــرام، ولا يكرمنـــا إلا المكرمون.. ألم يكن ﷺ يحبنا ويذكرنا.
قلت: بلى..
قالت: فقد استننت بسنة من سننه، واهتديت بهدي من هديه.
قلت: فحدثيني عن حديثك مع مريم ـ عليها السلام ـ
قالت: حديثي معها ذكره ربي.. وما كان لي أن أستدرك على ما قال، أو أضيف إلى ما ذكر، ولو علم الله أن في زيادة التفاصيل علما خيرا لذكره.
قلت: فحدثيني عما كشف قومي من أسرار اختيـار اللـه لـك دون غيرك طعاما للطاهرة البتول.
قالت: لقد ذكروا حكما كثيرة لذلك.. يعتبرهـا إخـوان الإعجـاز من دلائـل الإعجـاز، وقـد صـدقوا.. فلا يـذكر مثـل هـذا إلا عـالم بالتفاصيل.
قلت: فاذكري لي ما يطيقه عقلي مما ذكروا.
قـالت: لقـد تـبين في الأبحـاث المجـراة على الـرطب(1) أي ثمرة النخيل الناضجة، أنها تحوي مادة مقبضة للرحم، تقـوي عمـل عضلات الرحم في الأشـهر الأخـيرة للحمـل فتسـاعد على الـولادة من جهة، كمـا تقلـل كميـة الـنزف الحاصـل بعـد الـولادة من جهـة أخرى.
قلت: هذه فائدة جليلة.
قـالت: وقـد اكتشـفوا أن الـرطب يحـوي نسـبة عاليـة من السـكاكر البسـيطة السـهلة الهضـم والامتصـاص، مثـل سـكر الغلوكـوز، ومن المعـروف أن هـذه السـكاكر هي مصـدر الطاقـة الأساسـية، وهي الغـذاء المفضـل للعضـلات، وعضـلة الـرحم من أضخم عضلات الجسم، وتقوم بعمل جبار أثناء الولادة التي تتطلب سكاكر بسيطة بكمية جيدة ونوعيـة خاصـة سـهلة الهضـم سـريعة الامتصاص، كتلك التي في الرطب.
ونذكر هنـا بـأن علمـاء التوليـد يقـدمون للحامـل، وهي بحالـة المخاض الماء والسكر بشكل سـوائل، وقـد نصـت الآيـة الكريمـة على إعطـاء السـوائل أيضـاً مـع السـكاكر بقولـه تعـالى: فَكُلِي وَاشْرَبِي (مريم:26)

1) انظر: أبحاث المهندس الزراعي اجود الحراكي ـ حضارة الإسـلام ــ السـنة 18 العـدد 7، والإسـلام و الطب الحـديث: للـدكتور عبـد العزيـز باشـا إسـماعيل، وحـوار مـع صديقي الملحد للدكتور مصطفى محمود.

قلت: هذا إعجاز آخر.
قالت: أجل.. وهناك أنواع كثيرة في هذا لا تزال في طيات الغيب.
قلت: فاذكري لي ما ذكروا.. واتركيهم يبحثون فيما لم يذكروا.
قالت: لقد ذكروا أن من آثار الرطب أنه يخفض ضغط الدم عند الحوامل فترة ليست طويلة ثم يعود لطبيعته، وهذه الخاصة مفيدة لأنه بانخفاض ضغط الدم تقل كمية الدم النازفة.
وذكروا أن الرطب من المواد الملينة التي تنظف الكولون، ومن المعلوم طبياً أن الملينات النباتية تفيد في تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة خاصة.
قلت: ألهذا أرى الصالحون ينصحون الحامل بأكلك؟
قالت: أجل.. فقد قال بعضهم:(ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئا هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم؟)
قلت: فقد استنبط هذا من القرآن الكريم.
قالت: لقد كانوا يستنبطون كل شيء من القرآن الكريم.. فارجعوا إليه ففيه مفاتيح كل شيء.
قلت: فبركات الشفاء التي جعلها الله فيك تخص النساء فقط، بل الحوامل منهن.
قالت: ومن قال ذلك؟.. أنا خير محض.. دواء للكل.. كما أني غذاء للكل.. ألا تعرف بركات ما أعطاني الله من الألياف السللوزية؟
قلت: هي لذيذة في فمي.. لكني لا أدري تأثيرها في بطني وأمعائي.
قالت: تلك الألياف تساعد الأمعاء على حركتها الاستدارية، وبذلك تجعل التمر مليناً طبيعياً ولهذا يساعد التمر على تجنب أمراض البواسير.
بل وجد أنه للوقاية من الإمساك يحتاج الإنسان إلى تناول التمر والرطب لغناه بالألياف، فقد وجد أن كل 100جرام من التمر تعطي نحو 8.5 جرامات من الألياف، وهي مهمة للوقاية من الإمساك.
قلت: هذه فائدة عظيمة.. فهل هناك غيرها؟
قالت: كثيرة هي فوائدي.. وسأذكر لك منها ما يملأ صدرك انشراحا.

قلت: فاذكري لي.

قالت: لقد وجدوا أنني أساعد على العلاج من الأنيميا لما أحتويه من معدن الحديد.. وأني أعالج أمراض القلب لما أحتويه من هذا العنصر.. وأن لدي فعالية ضد الحساسية لاحتوائي على عنصر الزنك.. وأني أوقف النزيف أثناء الحمل لاحتوائي على فيتامين K والتاناين الذي هو عبارة عن مادة قابضة.. وأني أستخدم في حالات الفشل الكلوي لاحتوائي على فيتامين بي1-بي 2 وبي6 إضافة إلى سكر الفواكه.. وأني أخفف من الحموضة والحرقة لاحتوائي على الأملاح القلوية.. وأني أمنع الدوخة ودوار الرأس لاحتوائي على بعض العناصر مثل الكاروتين.. وأني أساعد على منع الخلايا السرطانية من النمو والانتشار لاحتوائي على المغنيسيوم والكالسيوم.. وأني أمثل نظاما لإعادة البناء في جسم الإنسان لاحتوائي على الفسفور وباقي الأملاح المعدنية والفيتامينات، وأن دقيق التمر المجفف ونواته المطحونة تساعد على الشفاء من الربو وضيق التنفس..

قلت: حسبك.. فقد امتلأت ببركاتك.

قالت: أفلا أسمعك نصيحة لم يسمعها قومك من قبل؟

قلت: أتريدين تقديم وصفة للشفاء؟

قالت: ليجربوها إن شاءوا.. فسيرون من بركاتها ما يملؤهم قناعة بالمباركوبيوتيك.

قلت: فيم تنصحين؟

قالت: بأن يطبقوا.. ولو مرة في حياتهم ما ورد في الحديث من أنه كان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رَسُول اللَّهِ ﷺ نار.

قلت: فما كان غذاؤهم كل تلك الفترة؟

قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرَسُول اللَّهِ ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رَسُول اللَّهِ ﷺ من ألبانها(1).

قلت: هذا الحديث يذكر شظف العيش الذي كانوا يعيشه ﷺ .. والحمد لله لقد فتح الله علينا من بركات الأرض.

قالت: لا.. الحديث لم يفد ذلك فقط.

قلت: فما يفيد غير هذا؟

قالت: إنه يصف وصفة من وصفات المباركوبيوتيك.

قلت: فما تفعل هذه الوصفة؟

---

1) البخاري ومسلم.

قالت: تعيد برمجة أجسامكم لتستقبل البركات.
قلت: أي بركات؟.. بركات الغذاء أم بركات الشفاء؟
قالت: إذا حلت البركة بالجسم غذت وشفت.. ولا خير في دواء لا يغذيك.. ولا خير في غذاء لا يشفيك.. ألم تسمع قوله ﷺ: (خير تمركم البرني، يذهب الداء، ولا داء فيه)(1)
قلت: فما البرني؟
قالت: نوع من أنواعي وهو ممن تشرف بغرس رسول الله ﷺ له بيده الشريفة بالمدينة المنورة.
قلت: أأنتم معشر التمر أنواع مختلفة؟
قالت: نحن مثلكم معشر البشر.. أنسيت أنني ابنة عمتك؟
قلت: اعذريني.. فقد ورثت النسيان عن آبائي وأجدادي.
قالت: فنحن أنواع كثيرة مختلفة الأشكال والطعوم، وقد أحصى العلماء من تمر المدينة وحدها مائة وبضعاً وثلاثين نوعاً(2).
قلت: فهل بركاتك تقتصر على ما غلا من التمر.. فإن بعضا مما ذكرت لا يستطيع الفقراء شراءه؟
قالت: فبشرهم أن بركات الله في كل تمر.. ففضل الله لا يؤثر الأغنياء على الفقراء.. ألم تعلم أنه ﷺ (كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه)(3).. ألم تسمع ما ورد في الحديث عن بعضهم، قال: (ربما رأيت رسول الله ﷺ يتلوى ما شبع من الدقل)(4)
قلت: وما الدقل(5)؟
قالت: التمر الرديء..
قلت: فهل هذا من الطب؟
قالت: من فهم عن رسول الله ﷺ علم أن حياته كلها خير ومصالح.. ولكنكم لا تزالون تعبدون المخابر، وتسجدون بين يدي الفئران البيضاء.
قلت: أنستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله ﷺ نوع أكل التمر ليتناسب مع الحاجات المختلفة؟
قالت: أجل.. وقد دلت الأدلة الكثيرة على ذلك.. فهو يقول عن البلح:(كُلوا البلح بالتمر فإنَّ الشيطان يقول: بقي ابن آدم

1) ابن عدي والحاكم والعقيلي والبخاري في تاريخه.
2) قال ابن الأثير: وأنواع تمر المدينة كثيرة استقصيناها فبلغت مائة وبضعاً وثلاثين نوعاً.
3) أبو داود.
4) الترمذي.
5) قال الزمخشري: الدقل تمر رديء لا يتلاصق فإذا نثر تفرق وانفردت كل تمرة عن أختها.

يأكل الجديد بالعتيق)[1]، وفي رواية:(كلوا البلح بالتمر[2]، فإن الشيطان يحزن إذا رأى ابن آدم يأكله يقول: عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق)[3]

قلت: لماذا أمر النبي ﷺ بأكل البلح بالتمر، ولم يأمر بأكل البسر مع التمر؟

قال: لقد علل الطب التقليدي ذلك بأن البلح بارد يابس، والتمر حار رطب، ففي كل منهما إصلاح للآخر، بخلاف البسر مع التمر، فإن كل واحد منهما حار، وإن كانت حرارة التمر أكثر.. ولا ينبغي من جهة الطب الجمع بين حارين أو باردين.

وقد قالوا بأن في هذا الحديث: التنبيه على صحة أصل صناعة الطب، ومراعاة التدبير الذي يصلح في دفع كيفيات الأغذية والأدوية بعضها ببعض، ومراعاة القانون الطبي الذي تحفظ به الصحة.

قلت: فأرى الأحاديث أجمعت على التنوع، فهل ذلك سر من الصحة؟

قالت: أجل.. ألم يقل الله تعالى عن النحل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (النحل:69)

قلت: لقد ذكر الله تعالى اختلاف ألوان العسل.

قالت: لينبه بذلك إلى ما في اختلاف هذه الألوان من أدوية..

قلت: فكل لون دواء خاص.

قالت: كما أن كل نوع من الأنواع شفاء خاص وبركة خاصة.

قلت: فقد سمعت أنه ﷺ كان يخلط التمر بغيره من المآكل..

قالت: أعلم ذلك.. فقد روي أنه كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه[4]، وأنه كان يحب الزبد والتمر[5]، وأنه كان يقول:(خبز ولحم وتمر وبسر ورطب، إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا: بسم الله وبركة الله)[6].

قلت: وأنه كان يسمي التمر واللبن الأطيبين.

قالت: فهذه وصفة مباركة.. ألا ترى إلى ما وهبهه الله للبدو الذين يقتصرون عليهما من صحة جسم، ورشاقة قد، وبعد عن

---

1) ابن ماجة والحاكم.
2) الباء في الحديث بمعنى: مع، أي: كلوا هذا مع هذا.
3) رواه البزار في مسنده.
4) الطبراني في الأوسط والحاكم وأبو نعيم في الطب.
5) أبو داود وابن ماجة.
6) الحاكم.

الأويئة والأمراض؟
قلت: أأنصح بها قومي إذن؟
قال: انصحهم على أن يعاملونا باحترام وإكرام لينالوا بركاتنا، فنصير أطباء في أجوافهم.. ألم يأمركم ﷺ بإكرام عمتكم؟
قلت: هذا صحيح، وقد ورد في الحديث أنه ﷺ كان إذا أتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم شفتيه وقال:(اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره، ثم يعطيه من كان عنده من الصبيان)(1)
قالت: فاستنوا به في إكرامه لنا لتنالوا من بركاتنا ما نال سلفكم منها.

الزيتون

أردت توديع التمرات المباركات، فقالت لي إحداهن: إلى أين تريد؟
قلت: إلى مدائن السلام، فقد طال غيابي عنها، وأحسب قلبي بدأ يدق شوقا إلى معلمي.
قالت: أي المعلمين: معلم السلام، أم معلم البركة؟
قلت: كلاهما.. فقلبي لا يفرق بينهما.
قالت: لا يمكنك أن تذهب حتى تزور أختا لنا قرنها الله بنا في البركات، وفي الآيات البينات.
قلت: لا شك أنك تقصدين الزيتونة، وتقصدين قوله تعالى: ﴿ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً﴾ (عبس: 29)
قالت: أجل.. فقد آتاك الله فطنة.. ولا أحسبها إلا من بركات التمر والزيتون.
قلت: صدقت.. فقد غذيت بلبانهما، وربيت على حبهما، وعجنت خلاياي بمائهما.
قالت: فهل ترغب في زيارة الزيتونة؟
قلت: لا مناص لي من زيارتها.. فمن الجفاء أن أزورك وأترك أختك.. ولكن بلادها بعيدة، فأنت نخلة تائهة في الصحراء.. وهي مرابطة هناك في ثغور الجيال.
قالت: لا بأس عليك.. فقد يسر الله أن جاءت زيتونة مباركة تزورنا، وقد رغبت في الحديث إليك.
قلت: هي رغبت في ذلك.
قالت: أجل..
قلت: لقد سررت بما ذكرت.. ولعل الله أن يبارك في كما

1) ابن السني.

بارك فيها.

قالت: كل من أحب البركات باركه الله.. فأبشر، وبشر.

فجأة ظهرت زيتونة لا شرقية ولا غربية، تضيء كشعاع الشمس المشرق الذي يدفئ ولا يحرق، فقلت مستقبلا: أهلا بالزيتونة التي رغبت في الحديث إلي.

قالت: وأهلا بالأخ الذي أحبني قبل أن يراني.

قلت: حدثيني عن بركاتك.. وعن سرها.. فإني تلميذ بركات.

قالت: لن أحدثك حتى تسمع ما ورد في فضلي من الآيات.. فأنا من أدوية السماء.. ونحن تشرفنا بذكر الله لنا قبل أن نتشرف بما في أجسادنا من العناصر.

قلت: أعلم ما ورد في ذكرك من القرآن الكريم، فأنت التي أقسم الله بك، فقال: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾(التين:1)

قالت: وأنا التي جعلني الله مثالا للأنوار المقدسة، فقال: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور:35)

قلت: وأنت التي وصفك الله بقوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾(المؤمنون:20)

قالت: وأنا التي أمر رسول الله ﷺ بأكل زيتي، فقال:(كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة)(1).. بل أخبر بأني علاج للادواء، فقال:(كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام)(2).. بل وصفني لبعض الأدواء، فقال:(عليكم بزيت الزيتون فكلوه وادهنوا به فإنه ينفع من الباسور)(3)، وقال:(عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مضحة من الباسور)(4)

قلت: فبركاتك في زيتك.

قلت: وهل أنا إلا زيت.. ألم يقل الله تعالى في: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ أي تنب الدهن، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ (الحج:25)، أي من يرد فيه الإلحاد.

قلت: فالباء زائدة إذن.

---

1) الترمذي وقال حديث غريب. وأخرجه أحمد والحاكم.
2) أبو نعيم في الطب.
3) ابن السني.
4) الطبراني في الكبير وأبو نعيم.

قاطعتني بقوة، وقالت: كيف تقول هـذا في كلام ربـك الـذي: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيـلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ﴾ (فصـلت:42).. ليس فَي كلامــك ربــك زائــد.. إن جهلت حرفــا.. فابحث عنه.. أو اسأل من يعرفه.

قلت: أتعرفين التفسير؟

قـالت: لا.. أنـا أضـعف من أن أعرفـه.. ولكـني علمت ممـا رزقني الله من فضله أنه لا زائد في الكون.. فالزيادة لغو.. والله لا يخلق اللغو.. فكيف يتكلم اللغو؟

قلت: صدقت.. فكيف عرفت ذلك؟

قالت: لقد جعل الله كل جزء مـني فوائـد محضـة.. فلـذلك لا أرى جـزءا مـني إلا ويمكن الانتفـاع بـه حـتى أغصـاني يمكنكم أن تجعلــوا منهــا فرشــاة لأســنانكم بــدل فرشــاة الســموم الــتي تستخدمونها.

قلت: كيف ذلك؟.. تلك فرشاة ناعمة.

قالت: لقد قال ﷺ:(نعم السواك الزيتون من شجرة مباركــة يطيب الفم، ويـذهب بـالجفر، وهـو سـواكي وسـواك الأنبيـاء من قبلي)(1)

قلت: ولكنـه رخيص.. وقـومي لا يملأون أعينهم إلا بمـا يفـرغ جيوبهم.

قالت: فليسـتعملوني.. وقـد تنـازلت عن حـق ثمـني للفقـراء والمســاكين.. فليــدفعوها لهم.. لينــالوا بركــتي، وبركــة التــداوي بالصدقة.

قلت: عرفت فضلك.. فحدثيني عن بركاتك.

قالت: لا تزال قاصرا عن معرفة فضلي.. فكلام الله لا يحـاط به.

قلت: صدقت.. فاعـذريني.. فـإني من قـوم يكـثر نسـيانهم.. وتعظم غفلتهم.

قـالت: عـذرتك.. وسـأحدثك عن بعض بركـاتي لتـؤمن بكلام ربي.. وتتداوى بأدوية ربي.

قلت: أرى في كلامك حرارة أشواق المحبين.

قالت: وهل هناك في الوجود من لا يحب ربه.. إن دهني الذي ترونه ما هو إلا دموعي التي تخثرت شوقا إليه ومحبة له.

قلت: ولكنا لا نشعر بالمحبة إن أكلناك.

قـالت: لأنكم تـأكلون جيفـتي، ولا تـأكلون حقيقـتي.. تـأكلوني

---

1) الطبراني في الأوسط.

وأنتم تجهلوني.. ومن جهل شيئا حرم بركته.
قلت: ألهذا ذكرك القرآن الكريم ونوه بك؟
قالت: أجل.. ولكنكم لا تبصرون.
قلت: عـرفت هـذا.. فلا يمكن أن تنـال البركـات إلا بـالآداب والسلام والحياة.
قالت: إذا عرفت هذا.. فسأحدثك بما تشتهيه ويشتهيه قومـك من ثمـرات المعامـل والمخـابر.. وهي قليـل من كثـير، وغيض من فيض.. فلم تعلموا مني إلا قطرات من بحر محيط.
قلت: فحدثيني.. فكلي آذان صاغية.
قال: سأقتصر من حديثي على دور أناطه الله بي ترجـع أكـثر التفاصيل إليه.
قلت: وما هو؟
قالت: التطهير.. فأنا الدهن المغذي المطهر.
قلت: فما تطهرين؟
قالت: الجسم من أدرانه، والعـروق من أوحالهـا، والقلب من آلامه، والذاكرة من أوهامها.
قلت: أجملت ففصلي.
قالت: أما تطهـيري الجسـم من أدرانـه، فقـد جعـل اللـه في قدرة على تطهير الجسم من الحصوات، وقـد قـال بعض الأطبـاء: (رأيت حالات مرضية يصوم فيها المـريض بحصـوات المـرارة، ثم يشرب زيت زيتون لإذابة الحصوات، حيث تنقبض المـرارة وتطـرد الحصوات من الجسم)
قلت: ما شاء الله.. فكيف تطهرين العروق من أوحالها؟
قالت: وحل العروق هـو الكوليسـترول.. وقـد ارتبـط اسـمي بالحد من الإصابة بارتفـاع الكولسـترول.. ألم تعلم أن الشـعوب(1) الــتي تســتهلك كميــات جيــدة من زيــتي تنخفض فيهــا نســبة الكولسـترول الضـار، وبالتـالي تتقي الإصـابة بتصـلب الشـرايين، والذي له علاقة كبيرة بأمراض القلب والجلطة؟
وسر ذلك أني أحتوي على أحماض دهنية متميزة تعرف باسم الاحماض الدهنية أحادية عديمة التشبع، حيث تعمل هـذه الأحمـاض الفريدة على الحد من ارتفاع معدل الكوليسترول في الدم.
كمـا أني أحتـوي على فيتامينـات خاصـة تعـرف بمضـادات

1) أشارت الأبحاث المختلفة في مجال علاقة الغذاء المستهلك للشعوب وأمـراض القلب أن غذاء حوض البحر المتوسط لـه علاقـة وطيـدة بالحـد من ارتفـاع الكولسـترول ومن الإصابة بأمراض القلب وأرجع الباحثون هذه المعلومة أو النتائج الإيجابية إلى ارتفـاع استهلاك زيت الزيتون في غذاء هذه البقعة من العالم.

الأكسدة وكذلك بعض المركبات مثل البولي فينول.. وكل هذه المركبات، والتي ترتفع نسبتها في تحد من الاصابة بارتفاع الكوليسترول، أي بمعنى آخر تحد من تصلب الشرايين، وبالتالي تحد من أمراض القلب، ولكن يجب أن يكون هذا الزيت مستخلصاً بطريقة معينة وبأسلوب يعطي زيتا يسمى(زيت الزيتون البكر) وهو ممتاز وناتج من العصرة الأولى.

قلت: فهمت هذا.. فلك علاقة بضغط الدم إذن.

قالت: أجل.. بحمد الله ومنته، وقد وجد أن مرض ارتفاع ضغط الدم من العوامل الأساسية لحدوث أمراض القلب والجلطات حيث أن ارتفاع الضغط سواء الانبساطي أو الانقباضي له تأثير سلبي على الإصابة بالأمراض المختلفة.

وقد لوحظ أن هناك علاقة مباشرة بين خفض ضغط الدم واستهلاك كميات مناسبة من زيت الزيتون، ودل على ذلك أحد البحوث التي أجريت على عدد من المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم، ويتبادلون أدوية لتخفيفه.

حيث قسم المرضى إلى قسمين: الأول منهما عمل لهم برنامج غذائي غني بزيت الزيتون (نخب ممتاز)أو ما يعرف بالبكر.

والنصف الآخر وضع على برنامج غذائي غني بزيت دوار الشمس، وبعد فترة زمنية زادت عن 4 أشهر أشارت النتائج إلى انخفاض في المجموعة التي استهلكت زيت الزيتون، وقد استطاع المرضى في هذه المجموعة خفض جرعات الأدوية الخاصة بضغط الدم.

قلت: ما شاء الله.. وتبارك الله.

قالت: ليس هذا فقط..بل وجدوا أن لي دورا وقائيا من السرطان.. فقد أشارت الدراسات إلى أن هناك انخفاضاً في معدل الوفيات الناتجة من الإصابة بالسرطان في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد لوحظ ان استهلاك (ملعقة زيت زيتون)يومياً يمكن ان تنقص من خطر سرطان الثدي بنسبة أكثر من 40 بالمائة.

وتوضح هذه الدراسات أن غذاء سكان هذه المناطق يشمل على نسبة جيدة من زيت الزيتون كمصدر للدهون في غذائهم بالإضافة إلى تأثير استهلاك الخضار والفواكه، وخصوصاً الإصابة بسرطان الثدي والمعدة.

قلت: فما العناصر التي جعلت لك هذه القدرة على الوقاية من السرطان؟

قالت: ألا تعلم أن زيت الزيتون يحتوى على نسبة جيدة من فيتامين (هـ) والذي يعرف بمضاد الاكسدة، وبالتالي يقوم بتغليف وربط المواد المؤكسدة وتخليص الجسم منها.

قلت: إن من قومي من يدهنون جلودهم بزيتك.. فهل هذا لغو من الفعل؟

قالت: لا.. بل هو عين العقل.. فقد قام أحد الباحثين بدراسة الادهان بزيت الزيتون على الجلد بعد السباحة، فوجد أن له تأثيرا مباشرا في المساعدة في الحد من الإصابة بسرطان الجلد.

قلت: صدق رسول الله ﷺ عندما نصحنا بالادهان به.

قالت: أجل.. فأنا غذاء ودهن.

قلت: لقد ذكرت أن لك علاقة بالذاكرة.. فكيف ذلك؟

قالت: يمكن لقطرات من زيت الزيتون تتناولها يوميا أن تقيك فقدان الذاكرة وتبقي على أداء دماغك لوظائفه بشكل فعال عند بلوغك سن الشيخوخة.

قلت: فما السر في ذلك؟

قالت: هو الحوامض الدهنية غير المتشبعة التي يمكن العثور عليها في الزيتون وحبة دوار الشمس وزيت السمسم.

فهذه المواد تحافظ على سلامة بينة الدماغ، لأن هناك حاجة متزايدة إلى الأحماض الدهنية غير المتشبعة أثناء عملية الشيخوخة.

وقد توصل فريق طبي إلى هذه النتائج بعد أبحاث شملت 300 شخص تراوحت أعمارهم بين 65 و84 عاما، حيث تبين أن الذين تناولوا كميات أكبر من هذه الأحماض ضمن مكونات وجباتهم الغذائية تمتعوا بقدرة أفضل على التذكر، وكانوا أكثر يقظة من غيرهم.

قلت: أرى لك ألوانا مختلفة.. فهل لها تأثير في بركاتك؟

قالت: تختلف بركاتي باختلاف أنواعي وألواني، فأنا كأنواع التمر وألوان العسل.. ألم يقل ﷺ:(تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)(1)

الخضر

كانت الزيتونة في غاية السرور، وهي تحدثني، لكنني أحسست بنوع من الإرهاق، فشعرت بحالي، فقالت: أرى وجهك قد تغير.. فما الذي حصل؟

---

1) البخاري ومسلم.

قلت: بعض الإرهاق أصابني.. لا عليك.. أكملي حديثك.

قالت: لا.. أرى الإرهاق باديا على وجهك، ولذلك سأرسل بك إلى أخت لنا من أخواتنا أنبتها الله لنبي من الأنبياء لتظلله بظلها، وتطعمه من لحمها، وتصرف عنه الهوام برائحتها.

قلت: لا شك أنها اليقطين.. فقد أنبتها الله على يونس ﷺ، كما قال تعالى: وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ(الصافات:146)

قالت: أتدري سر إنباتها له؟

قلت: أحب أن أدري.. ولكني لا أدري.

قالت: فهلم بنا إليها.. فهي في انتظارك.. ولا أحسب إلا أنها مشتاقة إليك.

قلت: ما شاء الله.. لقد أحرجتموني معشر الأغذية المباركة.. فإني لم ألق في حياتي من يقدرني كتقديركم.

قالت: لقد ملأنا الله بالرحمة.. فلذلك تجدنا نبذل أنفسنا في ذات الله.

اليقطين:

لم أسر معها إلا قليلا حتى وجدنا ورقة يقطينة ممتد على الأرض بلا ساق ولا قدم(1)، فقلت لها: هذا المكان أحسبه صالحا لراحتي.. فهذه هي اليقطينة.

قالت اليقطينة: مرحبا بالأخ الصالح.. أراك تمر على إخواني وأخواتي وتنسى أن تمر علي..لولا أني دعوت الله، فأصابك ببعض الإرهاق لتأتي، فتزورني.

قلت: بورك فيك أيتها اليقطينة.. فلا أحسب أن الله تعالى ذكرك في القرآن الكريم إلا ولك شأن.

قالت: وهل في ذلك شك.. فأنا الطعام المبارك الذي كان يحبه رسول الله ﷺ، فقد ثبت أن رسول اللّه ﷺ كان يحب الدباء، ويتبعه من حواشي الصحفة.

قلت: أجل.. فقد ورد الحديث بذلك(2).

قالت: وكان يقول عني:(كلوا اليقطين، فلو علم الله شجرة أخف منها لأنبتها على يونس، وإن اتخذ أحدكم مرقا فليكثر فيه من

---

1) قال المبرد والزجاج: كل شجر لا يقوم على ساق، وإنما يمتد على وجه الأرض فهو يقطين، نحو الدباء والحنظل والبطيخ، قال الزجاج: أحسب اشتقاقها من قطن بالمكان إذا أقام به وهذا الشجر ورقة كله على وجه الأرض فلذلك قيل له اليقطين، وروي الفراء أنه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع، فقال: ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين.

ويدخل في اليقطين كل شجر لا يقوم على ساق، كالبطيخ والقثاء والخيار.

2) البخاري ومسلم.

الـدباء، فإنـه يزيـد في الـدماغ وفي العقـل)[1].. وكـان يقـول: (إذا طبَخْتُم قِدْراً، فأكثِروا فيها من الدُّبَّاء، فإنَّهَا تَشُدُّ قَلْبَ الحَزِين)[2]

قلت: فما سر كل هذا الفضـل الـذي لـك.. لقـد ذكـر القـرآن الكريم، وأحبك رسول الله ﷺ؟

قالت: من الأسرار ما تفقهونها، ومنها ما لا تفقهون.

قلت: فخبريني عن الأسرار التي أفقهها.. فما لا أفقهـه ألغـاز لا طاقة لعقلي بحلها.

قالت: لقد ذكر سلفكم لي فوائد لا يجحدها إلا جاحد.

قلت: فما ذكروا؟

قالت: سرعة نباتي، وتظليـل ورقي لكـبره ونعومتـه، وجـودة غذائي، وأني أؤكل نيئـة ومطبوخـة بلـبي وقشـري، وفـوق ذلـك لا يقربني الذباب.

قلت: ما شاء الله.. إن بعض ما ذكرت يكفي لفضلك.

قالت: ليس ذلك فقـط، بـل إن مـا ركبـه اللـه في من أنـواع الأغذية يدلك على منافعي.

قلت: فما تركيبك؟

قالت: تبلغ نسبة الماء المبارك.7بالمائـة وأحتـوي على كميـة قليلة من السكر والألياف، ولذلك لا تعطي المائة غرام مني سـوى 65 حريرة فقط.

قلت: فأنت غذاء جيد لمن أراد إنقاص وزنه.

قالت: أجل.. وفوق ذلك أنا فقيرة جداً من الصوديوم.

قلت: فأنت تناسبين المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم.

قالت: أجل.. وفوق ذلـك فأنـا غنيـة بالبوتاسـيوم الـذي يلـزم الـذين يتنـاولون الحبـوب الـتي تـدر البـول، كمـا أني أحتـوي على الكالسيوم والمغنيزيوم والفوسـفور والحديـد والكـبريت والكلـور.. وفوق ذلك، فأنا غنية بالفيتامينات وفي طليعتها فيتامين أ.

قلت: هذه بركات تركيبك، فما بركات شفائك؟

قالت: لقد ذكر عني أسـلافكم أني أنفـع المحمـومين بمـائي، وأقطع عطش العطشى، وأني أذهب الصداع إذا شـربت أو غسـل بي الوجه، وأني ملينة للبطن كيفما استعمل.. فلذلك أنا من ألطف الأغذية وأسرعها انفعالاً.

قلت: فما قال المحدثون؟

قـالت: المحـدثون مغرمـون بـالبحث في السـرطان، ولـذلك

---

1) الديلمي عن الحسن بن علي.
2) الغيلانيات.

رأوني من الحصون الواقية منه، وقد نشرت مجلة الأبحاث البيوكيميائية عام 1985 دراسة أجريت في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، أشارت إلى أن لليقطين فعلاً واقياً من سرطان الرئة عند سكان نيوجرسي في الولايات المتحدة(1).

الثوم:

بينما كنت مع اليقطينة، إذ سمعت صوتا ينادي، فسألت اليقطينة عنه، فقالت: هو ابن خالي.

قلت: ومن ابن خالك؟.. فلا علم لي بأنسابكم.

قالت: الثوم..

قلت: بئس الطعام هو.. لا تقبليه إن تقدم لخطبتك.. فلا أعلمه إلا خبيث الرائحة.

قالت: هو خبيث الرائحة، لكنه طيب السريرة، فلا تحجبك رائحته عن طيبته

قلت: ولكني قرأت النصوص الكثيرة الواردة في النهي عنه، فالنبي ﷺ يقول:(من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، وليعتزل مساجدنا، وليقعد في بيته)(2)

قالت: هذا النص لا ينهى عن أكله، وإنما ينهى آكله عن الذهاب إلى المسجد إلا بعد تغيير رائحته.

قلت: أفليس الذي يمنعني من المسجد خبيثا؟

قالت: لا.. لو كان خبيثا لحرمه الله تعالى.. ألم يقل تعالى في رسول الله ﷺ: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(الأعراف:157)

قلت: ومع ذلك.. يظل بمنأى عن الأغذية المباركة التي نزل فضلها من السماء.

قالت: لا تقل هذا.. بل إن في عدم تحريمه مع كونه من الأغذية التي تمنع الدخول إلى المسجد دليل على فضله وبركته.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: ألم يقل كثير من الفقهاء بوجوب صلاة الجماعة في المسجد؟

---

1) كتاب الأربعين العلمية، عبد الحميد محمود طهماز.
2) البخاري ومسلم.

قلت: بلى...
قالت: وقد ذكروا أعذارا لمن يجوز له التخلف عن الجماعة.
قلت: ذلك صحيح.
قالت: فاعتبار أكل الثوم من الأعذار يدل على الأهمية التي يحملها في باطنه، والتي قد يصرف عنها ظاهره.
قلت: فهمت هذا.. ولكن كلامك مجرد استنتاجات عقلية.. والعقل لا حديث له مع الشرع.
قالت: لقد ورد في النصوص ما يدل على هذا، فلا تأخذ ببعض الكتاب، وترفض بعضه.
قلت: لقد ذكرت لك ما ورد.
قالت: لقد سمعت بعض النصوص، ولم تسمع غيرها.. والكامل هو الذي يسمع كل شيء، ليتسنى له الجمع بين المختلفات، والتوفيق بين المتناقضات.
قلت: فاذكري لي ما سمعت لأصحح به بعض ما سمعت.
قالت: لقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(كلوه.. ومن أكله منكم فلا يقرب هذا المسجد حتى يذهب ريحه منه، يعني الثوم)(1)، فقد أمر ﷺ بأكله.. والأمر في عرفنا يدل على الوجوب.. ثم أضاف إليه حكما آخر لا يناقض الحكم الأول، وهو النهي عن قرب المسجد لمن يأكله.
قلت: فهذا تناقض.
قالت: لا..نزه كلام المعصوم عن التناقض.
قلت: فما فيه من العلم؟
قالت: هذا إرشاد صحي لا يفقهه إلا المتوسمون.
قلت: فأخبريني.. أيتها المتوسمة المباركة.
قالت: كأن النبي ﷺ في هذا الحديث يدعونا إلى اختيار أوقات معينة، أو طريقة معينة لأكل الثوم، ليكون ذلك أكمل في بركته.
قلت: وضحي هذا.
قالت: ألستم تعالجون بعض الأدوية قبل أن تستعملوها.. ثم تختارون لها أوقاتا معينة لاستعمالها.
قلت: ذلك صحيح..
قالت: وهكذا الثوم.. فهو من الأغذية التي تستدعي طرق طبخ معينة، وأوقاتا معينة، ولهذا قال ﷺ عنه وعن البصل:(من أكلهما فليمتهما طبخاً)

1) أبو داود والبيهقي.

وأهـدي إليـه طعـام فيـه ثـوم، فأرسـل بـه إلى أبي أيـوب الأنصاري، وقال: يا رسول الله، تكرهه وترسل به إلي؟ فقال:(إني أناجي من لا تناجي)

قلت: فاخبريني عن الأوقات الفاضلة لأكله.

قالت: سيخبرك الثوم.

قلت: فلم تحدثت بدله؟

قالت: خشيت أن تذهب إليه، وفي نفسك مـا فيهـا من سـوء الأدب معه، فتؤذيه، فلذلك ذكرت فضـله لتأتيـه، وأنت تـدرك ذلـك الفضل.. فلا تنال البركات إلا لمن أحسن الأدب.

قلت: لكني لم أرك ذكرت شيئا من الفضـل إلا مـا اسـتنتجته بعقلك.

قالت: لم تدعني أكمل لك ما ورد في النصوص.. فقد قال ﷺ :(كلـوه، فـإني لسـت كأحـدكم، إني أخـاف أن أوذى صـاحبي)(1)، وقال ﷺ:(لولا أن الملك ينزل علي لأكلته، يعني الثوم)(2)

قلت: كل هذه النصوص أدلة إباحة، لا أدلة بركة.

قالت: فقد قال ﷺ:(كلوا الثوم وتـداووا بـه، فـإن فيـه شـفاء من سبعين داء، ولولا أن الملك يأتيني لأكلته)(3)

قلت: حسـبي مـا ذكـرت.. ولم أكن مجـادلا.. ولكـني كنت أستفزك لتذكري لي ما ورد فيه.

قالت: إذا قلت هذا.. فاذهب إلى ابن خالي، ولا تنس أن تبلغه سلامي.

قلت: ذلك لك.. ولم أر في حياتي أطيب منكم معشر الأغذية المباركة.. ليت البشر مثلكم في طيبتكم، وحسن أخلاقكم.

قالت: فكلونا طيبين يرزقكم الله طيبتنا.

سرت قليلا قاصدا شجرة ثوم قـد بـدت لي من بعيـد، مـا إن وصلت إليها، حتى قال الثوم: كيف تركت ابنة عمتي اليقطينة؟

قلت: تركتها بخير وعافية، وهي تسلم عليك.

قال: سلمها الله من كل مكروه.. فهل ذكرت لك شيئا؟

قلت: هي تكن لـك كـل المـودة.. وقـد ذكـرت لي الأحـاديث الكثيرة التي نزعت عن عيني غشاوة سوء التعامل معك.

قال: بورك فيها..

فعهدي بها كأخواتها الخضر كريمة طيبة.

قلت: فهل تقدرك جميع الخضر؟

---

1) أحمد والترمذي وابن حبان.
2) الخطيب.
3) الديلمي.

قال: تقدرني جميع الأغذية.. ونحن نلتقي في القـدر المباركـة لنكون الغذاء المبارك.

قلت: فحدثني عنك.

قال: لقد ذكرني الله تعالى في القرآن الكريم.

قلت: أين.. فلا أجد لك محلا فيه.

قال: ألم تسمع قوله تعالى: وَفُومِهَا (البقرة:61)؟

قلت: بلى.. ولكــني في زيــارتي لســنابل القمح والشــعير أخبروني بأن الفوم هو الحبوب.

قـال: ذلـك رأيهم.. وهـو لا يتنـاقض مـع رأيي.. أليس القـرآن الكريم حمال وجوه.. ولـو أراد اللـه وجهـا واحـدا سـماني باسـمي الذي لا يختلف علي فيه.. ولو أرادهم فقط لسماهم باسمهم الـذي لا يختلف فيه.

قلت: لقد ذكرن لي أدلة ما ذهبوا إليه، فبم تستدل أنت؟

قال: لقد قرأ عبـد اللـه هـذه الآيـة: وثومهـا، وقـد اختـاره الفراء، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله، وهـو قـول كثـير من الخضـر التي أعرفها كالبصل، والفجل، والكراث.

بالإضـافة إلى ذلـك، فـإن الفـاء تبـدل من الثـاء، كمـا تقـول العرب: الجدث، والجدف: للقبر، والأثافي والاثـاثي، للحجـارة الـتي توضع تحت القدر، ومغافير، ومغاثير: لضرب من الصمغ..

قلت: فحدثني عن بركاتك.

قالت: كثيرة.. ولكني سأكتفي بما يفيدك، ويفيد أكثر قومـك.. وهو دوري في معالجة نزلات البرد الشائعة، فقد تبين للبــاحثين أن الذين يتناولون يوميا الثوم في غذائهم أقل عرضة للإصـابة بـنزلات البرد الشائعة بنحو الضعف.

قلت: فما سر ذلك؟

قال: لأن في تركيبي مادة تعرف باسم آلاسـين، وهي المـادة البيولوجيـة الرئيسـية الـتي تنتجهـا نبتـة الثـوم، وهي المـادة ذات الرائحة النفاذة التي تفرز عنـد عصـر فص الثـوم، ومـا تحتويـه من العناصر الكبريتية، ولهـا القـدرة ــ بـإذن اللـه ــ على خفض معـدل الإصابة بالزكام الشائع بنسبة تزيد على النصف.

قلت: سمعت أن بعض قومي يريـدون تخليصـك من رائحتـك بإزالة هذا المادة(1).

---

1) جرت أبحاث عديدة في مصـر علي الثـوم انتهت بقيـام إحـدي الشـركات بإنتـاج أقـراص مـأخوذة من الثـوم، وهي مخففـة للكوليسـتيرول في الـدم ومنشـطة للـدورة الدموية، ولها أيضا تأثير علاجي مضاد للبكتريا في الجهاز البولي، هي بديل عصري لتناول الثوم دون التأفف من رائحته.

قال: لا.. لا ينبغي أن يبدلوا خلق الله.. فما خلقها الله في إلا لسر يعلمه.. وأحسن من ذلك ما فعله ﷺ.

قلت: وما فعل؟

قال: لقد أمر من أكلنا، وأكل البصل بأن يميتنا طبخاً، ويذهب رائحتنا بمضغ ورق السذاب عليه.

قلت: وعيت هذا.. فواصل حديثك عن فوائدك.

قال: لي دور فعال في علاج التهاب القصبات المزمن، والتهاب الغشاء القصبي النزلي، والزكام المتكرر، والأنفلونزا..

قلت: لم.. وما سر ذلك؟

قال: ذلك نتيجة لطرح نسبة كبيرة من زيت الغارليك عن طريق جهاز التنفس عند تناولي.. بالإضافة إلى هذا، فإني أحتوي على مواد مضادة للبكتريا، ولها تأثير قوي حتى في العدوى القوية مثل الدسنتاريا.

قلت: فما لك من أدوار غير هذا؟

قال: أنا أفيد في حالات السعال، والربو، والجمرة الخبيثة، وقرحة المعدة، والغازات، والتهاب المفاصل.

قلت: سمعت أن لك علاقة بضغط الدم.

قال: أجل.. فقد تمت علي دراسات كثيرة لإثبات هذا، منها دراسة تمت في عام 1980م، وقد أثبتت أنني أخفض ضغط الدم وكذلك دهون الدم.

بل قد ثبت أنني يمكن أن أمنع تكون الجلطات الدموية، وذلك بمحافظتي على إبقاء الدم في حالة جيدة من سيولته بالاضافة إلى تخفيضي الجيد لكولسترول الدم، كما أني أساهم في تخفيض سكر الدم.

وليس ذلك فقط، بل قد وجدوا أن لي دورا علاجيا ووقائيا من الأورام الخبيثة.

قلت: صحيح هذا!؟..

قال: أجل.. ففي دراستين منفصلتين في الصين بإحدى المحافظات التي تعاني من ارتفاع ملحوظ في نسبة الوفاة من سرطان المعدة وجد انخفاض معدل الإصابة بسرطان المعدة إلى عشرة أضعاف في الذين يتناولون الثوم بصورة اعتيادية عن الذين لا يتناولونه.

وفي دراسة أخرى بالولايات المتحدة الأمريكية وجد أن زيادة تناول الثوم تقلل من خطورة سرطان القولون.

وهذه الدراسات الإحصائية أدت إلى دراسات معملية على

حيوانـات التجـارب حيث أظهـرت أن تنـاول الجرعـات العاليـة من مركبـات الثـوم انخفاضـاً ملحوظـاً في حـدوث سـرطان الثـدي والقولـون والمـريء وسـرطانات أخـرى نتيجـة تعـرض حيوانـات التجارب لمواد كيميائية مسرطنة.

قلت: فما سر هذا التأثير؟

قال: لقد وجدوا أنه في حالة طحني أنتج مـادة تعـرف باسـم (دياليل)، وهي التي تؤدي إلى تقليـل حجم الأورام السـرطانية إلى النصف إذا ما حقن المرضى بها.. بالإضافة إلى مـواد أخـرى تـؤدي إلى توقف التصاق المواد المسببة للسرطان بخلايا الثدي.

قلت: وسمعت أن لك علاقة بتخفيض الكوليسترول.

قال: ذلك صـحيح.. فقـد أظهـرت بعض الدراسـات أن تنـاول الثـــوم يخفض من نســـبة الكوليســـترول منخفض الكثافـــة أو الكوليسترول السيء، والكوليسترول الكلي في الدم.

والمعروف أن معظم أمراض القلب والأوعية الدموية تشـمل تصلب الشريان، حيث يفقد الشريان مرونته الطبيعية نتيجـة تجمـع الكوليسترول والدهون على الجدار الداخلي للشريان.

وعندما تتزايد الكميات المتراكمة من هذه المواد على الجدار الداخلي للشريان، فإنها تؤدي إلى حرمـان جـزئي من تـدفق الـدم مما يؤدي إلى حرمان العضو أو الجزء الذي يغذيه هذا الشريان من الحصـــول على كفايتـــه من الـــدم اللازم لنقـــل المـــواد الغذائيـــة والأكسجين.

وقد أكـدت الدراسـات أن اسـتخدام الثـوم لمـدة 12أسـبوعا يؤدي لخفض نسبة الكولسترول في الدم إلى 12 بالمائة والدهون الثلاثية إلى 17 بالمائة.

قلت: فلك علاقة بجلطة الدم إذن؟

قال: لا شك في ذلك.. وقد تم اسـتخلاص مـادة مـني يطلـق عليها أجون لها تأثير مضاد لتجلط الصـفائح الدمويـة، ممـا قـد يقي من حدوث جلطات بالدم.

قلت:....؟

قـال: وأنـا من الأغذيـة المضـادة للأكسـدة.. وذلـك لغنـاي بالسلينيوم وهو معروف بتأثيره المضـاد للأكسـدة.. وبـذلك أسـاهم في بعض التفاعلات الحيوية التي تحمي الخلايا من بعض الأمراض، كما يساعد السلينيوم في نمو الخلايا.

قلت:....؟

قـال: وأنـا مضـاد للميكروبـات.. فخلاصـتي لهـا فعـل مضـاد

لنشاط البكتريـا والفطريـات.. وقـد عـرفت بهـذا منـذ زمن بعيـد.. ولهذا استعملت قديماً قبل اكتشـاف المضـادات الحيويـة في علاج التهابات الشعب والقصـبة الهوائيـة، وكـان يسـتعمل عصـير الثـوم المخفف في تطهير وتنظيف الجروح.. وهو يسـتعمل الآن كمطهـر للأمعاء، حيث أن تناوله يحد من نشاط البكتريا في حالات الإسـهال والانتفاخ.

قلت: فقد عرفت بركاتك قديما.

قال: من رحمة الله بخلقه أن دلهم على ما يصلح لهم.. ولهذا عرف الخلق بركاتي منذ وجودهم الأول على الأرض.

قلت: فهل هناك ما يثبت ذلك؟

قال: لقد وجد ذكر الخصائص الطبية للثـوم علي أوراق بـردي مصـرية عمرها3500 عـام.. وقـد اسـتخدمه اليونـانيون القـدماء، والمعالجون من الهنود كعلاج.. وقد استعمل سقراط أبخـرة الثـوم لعلاج بعض الأمراض السرطانية، ومنها سرطان عنق الـرحم، وقـد استعمل الثوم أثناء الحرب العالمية الثانية لمداواة إصابات الجنـود، حيث كان يوضع على الجروح لتطهيرها.

وفي عـام 1858م اكتشـف العـالم باسـتير أهميـة الثـوم في القضاء على ميكروب السل، كما وجـد أن الثـوم فعـال كالبنسـلين بل ان قوته الفعالة تضاهي قوة الكثير من المضادات الحيوية.

وقد وجد بعض العلماء أن الثوم علاج للكوليرا والتيفوس، بـل اكتشف أن أكثر أنواع البكتيريا التي يسـتطيع الثـوم القضـاء عليهـا هي عصيات الجمرة التي تؤدي إلى مرض الجمرة الخبيثة.

قلت: فأنت صيدلية أدوية إذن.

قال: أجـل.. ولكن لا تبـالغوا في اسـتعمالي.. فـإن الـدواء إذا اسـتعمل فـوق حـده انقلب إلى ضـده.. ألم تسـمع قولـه تعـالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(لأعراف:31)؟

قلت: بلى.. فما أضرار الإفراط في استعمالك؟

قال: الجرعـة الكبـيرة جـدا من عصـير الثـوم سـببت المـوت بالتسمم لبعض الحيوانات التي أجريت عليها التجارب، وقـد حصـل لها تلف بالكبد والمعدة والغدة الكظرية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الجرعة الكبيرة من الثوم قـد تسـبب آلامـا بالمعـدة أو غـازات أو إسـهالا أو بعض الأعـراض الأخـرى في الجهاز الهضمي.

قلت: فما الذي يقي من أخطارك؟

قال: مـا قالـه ﷺ.. ألم يقـل عـني وعن البصـل:(من أكلهمـا

فليمتهما طبخاً)

قلت: فما في هذا الحديث من العلم؟

قال: لقد وجد أن استهلاك الثوم طازجاً يؤدي إلى ايذاء الجهاز الهضمي، ولذلك يعتبر الثوم المطهي أو المحضر في زيوت الطعام من أفضل الطرق للحصول على فوائده.

البصل:

نادتني حبة بصل في الجوار: تعال إلي.. فلي من البركات ما لا يقل على بركات الثوم..

قلت: أنا أبحث عن البركات المنصوص عليها.

قالت: وأنا من المنصوص عليه.. وإن كان قد اختلف في الفوم.. فإنه لم يختلف في أنني أنا البصل الذي ورد في قوله تعالى: وَبَصَلِهَا (البقرة:61)

قلت: أجل..

قالت: ليس ذلك فقط.. بل روي في الحديث:(أن آخر طعام أكله رسول الله ﷺ كان فيه بصل)(1)

قلت: ولكنه قد ورد في الأحاديث نهي من أكلك عن الدخول إلى المسجد.

قالت: في جمعك بين النهي عن ذلك، وعدم التحريم دليل على ما فينا من البركات، ألم تسمع ما قالته اليقطينة؟

قلت: اعذريني، فقد نسيت.

قالت: لا حرج عليك.. ولن أطيل عليك.. فإني خفيفة الظل.. وسأعدد لك من فوائدي ما ينشرح له صدرك، وتعلم به أننا من الأغذية المباركة.

قلت: فما أسرار البركات في تركيبك؟

قالت: أنا مركبة من فيتامين ج المضاد للتعفن، والمؤثر في النشاط، ومن مادة الكلوكنين، وهي مثل الأنسولين تضبط السكر في الدم، ومن الفسفور والكالسيوم والحديد بكميات كثيرة، ومن كبريت، وحديد، وفيتامينات مقوية للأعصاب، ومن مواد مدرة للبول والصفراء، وهي منشطات للقلب، ومن خمائر وإنزيمات مفيدة للمعدة، ومن مواد منشطة منبهة للغدد والهرمونات.

قلت: ورائحتك؟

قالت: سببها هو سلفات الآليل، وهي مادة كبريتية طيارة.

قلت: إن ما ذكرت من مواد يدل على أهميتك..

قالت: أجل.. وهو بعض ما اكتشف.. ولكني أنبهك إلى الحذر

---

1) أبو داود.

من استعمالي بعد تخزيني مقطعاً، لأني أتأكسد، وتتكون مني مادة سامة، فلذا يجب استعمالي طازجاً.

قلت: فحدثيني عن بركات الشفاء بعد أن حدثتني عن بركات التكوين.

قالت: لقد ثبت علمياً أن عصيري يقتل الميكروبات السبحية، ومثلها ميكروبات السل، فهي تهلك فور تعرض المريض لبخار البصل.

قلت: زيديني مما زادك الله.

قالت: لقد ثبت أني مضاد حيوي أقوى من البنسلين والأورمايويسين، والسلفات.. ومن أجل ذلك فأنا أشفي بإذن الله من السل، والزهري، والسيلان، وأقتل كثيراً من الجراثيم الخطيرة.

قلت: إن هذه لبركات عظيمة، فقد أهلكت هذه المضادات الصناعية قومي.

قالت: ليس ذلك فقط.. بل لي تأثير علاجي عند الإصابة بنزلات البرد والرشح والسعال ووجع البطن، إلى جانب أني طاردة للديدان ومقوية ومنشطة للجسم.

قلت:....؟

قالت: أنا أعالج كثيرا من الأمراض، كالسعال الديكي، والربو، والتهاب الرئة، والبروستاتا، وتعسر التبول.

قلت:....؟

قالت: وأنا مفيدة للقوة التناسلية، والسرطان، والروماتيزم، ومقوية للأعصاب، وعلاج للاكزيما.. وأفيد في إزالة بقع ونمش الوجه عندما أسحق وينقع في الخل ثم يدعك بي الوجه.. وأفيد في سقوط الشعر إذا ما تم تدليك فروة الرأس بعصيري..وأنصح المصابين بالبول السكري بتناول بصلة متوسطة الحجم يوميا باعتباري أخفض كمية السكر في دم المصاب..

قلت: فوائدك كثيرة.. فبورك فيك.. فأخبريني عما يؤدي إليه الإسراف في تناولك.

قالت: الإكثار من تناولي قد يؤدي إلى الوخم والنوم العميق والإحساس بالعطش.

قلت: فما أكثر منافعك.. وأقل مضارك.

الكراث:

كان الكراث بجانب البصل.. فلذلك ما إن انتهت حبة البصل من حديثها حتى قال الكراث: وأنا.. لا تنسني.. فلي من الفوائد ما

لا أقل به عن إخواني من العائلة الزنبقية.

قلت: والنصوص التي وردت في رائحتكم.

قال: ذلك شيء خلقه الله فينا، و لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (الروم:30).. ورائحتنا ــ على الأقل ــ أفضل بكثير من روائح السموم التي تتناولونها.. بل أفضل من روائح المعاصي التي تفوح من أفواهكم المنجسة بأكل لحوم بعضكم.. وأفضل..

قلت: أراك تخلف الثأر.. فهل تحمل حقدا؟

قال: نحن لا نحقد على المؤمنين المباركين.. ولكنا تنشق قلوبنا إن سمعنا فاسقا أو رأينا كافرا.

قلت: عهدي بكم من عالم السلام.

قال: نحن من العالم الذي قال الله تعالى فيه: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (مريم: 90 ـ 92)

قلت: فأنت تبغض الفسقة في الله.

قال: كما أحب الطائعين في الله.

قلت: فما تنيلهم من بركاتك؟

قال: ألم أقل لك: إن بركاتي لا تقل عن بركات البصل والثوم؟

قلت: فحدثني عنها.

قال: أول بركاتي أن الله جعلني فوائد بجسمي كله حتى جذوري.. وأنا أحتوي على عدة فيتامينات من أهمها أ، ب، ج، كما أحتوي على بروتينات وسكاكر وكالسيوم وفوسفور وبوتاسيوم ومنجنيز وحديد وكبريت وكلورين وسيليكون(1)..

قلت: هذه بركات تكوينك.. فما بركات أكلك؟

قال: لقد عرف البشر بركاتي من قديم الزمان، فقد ورد ذكر الكراث في ورقة بردية قديمة يرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة.

وقد وجد الكراث في مقابر رومانية قديمة، وقد قيل ــ كما ذكر المؤرخ بلين ـ إن الأمبراطور الروماني نيرون كان يخصص يوما كل شهر لتناول الكراث، وذلك ليحسن صوته.. كما يروي أن الفرعون شوبس كافأ أحد السحرة بمائة حبة من الكراث.. كما أن الفيلسوف اليوناني أرسطو كان يرجع نفاذ صوت الحجل وقوته إلى تناوله الكراث.

ضحكت، وقلت: وأبو قراط.. ألم يسمع بك؟

---

1) بتحليل الكراث وجد أن المائة غرام منه يحتوي على:نسبة عالية من الأملاح المعدنية والفيتامينات ففيه 90% من وزنه ماء، وبه 1 غرام بروتين، وحوالي 5 غرامات سكر، وكثير من الأملاح المفيدة للجسم.

قال: بلى.. كيف لا يسمع بي أبو الطب اليوناني، لقـد عـرف أني أدر البول، وألين المعدة وأوقـف التجشـؤ، وأشـفي من السـل والعقم وأدر حليب المرضـعة وأشـفي من القـولنج وأقطـع نزيـف الأنف وأقضي على اختناق الرحم.

قلت: وداود الأنطاكي ماذا قال عنك؟

قال: لقد ذكر أني أنفـع من الربـو، وأوجـاع الصـدر والسـعال وخاصة إذا طبخت في الشعير شرباً وأزيل البواسير ضماداً بالصبر، وأجلو الكلف والنمش والثآليل طلاء بعسل النحل.

قلت: وابن سينا.. لا أظن أنه يجهلك.

قال: لو جهلني ما اعتبره الناس طبيبـا، لقـد وصـفني للثآليـل والبثرات، ولفساد اللثة والأسنان.. وللبواسير مسلوقاً أكلاً وضماداً.. وأني أوضع على الجراحات الدامية، فيقطع دمها.

بالإضافة إلى ما اتفقـوا عليـه جميعـا من صـلاحيتي لأصـحاب الألحان باستعمالي لتصفية أصواتهم.

قلت: إذن لم يجهلك إلا قومي.. فلا أراهم يصفونك للأصـحاء، ولا للمرضى.

قال: أكثر قومـك يجهلـوني.. ولكن منهم من فتح اللـه عليهم من علوم الكراث ما جعلهم ينتبهون لفوائدي.

قلت: فما ذكروا؟

قال: لقد اعتبروني في تأثيري الطـبي مقاربـاً لتـأثير البصـل.. فأنا مهضم ومقشـع.. أي طـارد للبلغم.. ومطـر.. أي ملين.. ومـدر للبول، وطارد للديدان.

وقد أثبتت الأبحاث أن لي تأثيرا مضادا للبكتريا، وبالأخص ضـد النوع ستافيللوكوكس أورس موجبة وسالبة الجرام.

قلت: أهذا ما ذكروا؟

قال: إن احتجت أن تعرف كل ما ذكروا، فاصبر ولا تستعجل.

قلت: فاذكر، فإني صابر.

قال: أنا أقوي دفاعكم الطبيعي المهدد بالاعتـداءات الفصـلية أو الجرثومية، وذلك بتزويدكم بالفيتامين(ب)، وهو عنصـر التـوازن، والفيتامين (ج)المقاوم للأنتان والتعب.

قلت: فزدني زادك الله بركة.

قال: إن أجل خدمـة أقـدمها لكم هي في جهـازكم الهضـمي، فأنا صديقه الصدوق.. فأنا سهل الهضم، فإذا ما صنعت مني حساء استطاعت أكثر المعد الحساسة تقبله وهضمه دون أن يسـبب لهـا أي تقبض، كالذي تبديه حيال غيري من الأطعمة.

بالإضـافة إلى هـذا، فأنـا أريح المعـدة وأنشـطها، واختمـاري يسهل عملية الهضم والامتصاص.. أما ما أحتوي عليـه من كـبريت، فإنه يقاوم التخمرات العفنة.

أما سكر الخشب الـذي يكـثر في والسـللوز، فإنهمـا يقومـان بتنظيف الأمعاء تنظيفا شاملا، فالعنصر الأول يجـرف أثنـاء مـروره في الأمعاء جميع ما يكون قد تخلف فيها من فضلات الطعام، بينما يعمل العنصر الثاني في طرها خارجـا، ومن هنـا ظفـرت بشـهرتي التي لا شك فيها، بصفتي مليناً لطيفا وطبيعيا.

قلت: أنت صديق صدوق للجهاز الهضمي.

قال: وصديق صدوق للدم.. فأنا أقاوم فقـر الـدم بمـا أحتـوي عليه من الحديد، وأنشط توالـد وعمـل الكريـات الحمـراء. وأقـوي العظام والجلد بفضل ما أضمه من الجير والكلس، كما أني أنشـط الجهاز العصبي بما أحمل من مغنيزيزم.

قلت:....!؟

قال: وصديق صدوق للرشاقة فأنـا أخفـف البدانـة.. وصـديق صدوق للجلد فعصيري مـع الحليب يسـتعمل غسـولاً للوجـه لإزالـة البقع الحمـراء والطفح الجلـدي.. وعصـيري مـع لب القمح وسـكر قليل يستعمل لبخات على الجراحات والـدمامل لانضـاجها وإخـراج مـا بهـا من صـديد.. كمـا أن مغلي أوراقي ينفـع مطهـراً ومعقمـاً للجـروح.. ولإزالـة آلام قـرص الحشـرات يفـرك مكـان القرصـة بالكراث.

قلت: عرفت أصدقاءك، فمن أعداؤك الذين تقهرهم؟

قـال: أنـا عـدو تصـلب الشـرايين والروماتيزمـا وداء الملـوك والتهابات الكلى والمثانة والسمنة.. لأن ما أحتوي عليه من خلاصـة الـ sulfo-azotee يضعني في مصاف أفضل مدرات البول التي وضعها الله في الطبيعة.

قلت: أنت غني جدا وقوي جدا.

قال: أجل ـ بحمد الله ومنتـه ــ فأنـا بالإضـافة إلى مـا ذكـرت غني بالأملاح القلويـة إلى درجـة جعلت بعض البـاحثين لا يـترددون في القول بأن المعالجة بالكراث لا تقـل نفعـا عن المعالجـة بميـاه (فيشي)المعدنية.

ولعـل أهم مـيزة في هي أني أقـدم لكم في فصـل الشـتاء عنصـرا لا غـنى عنـه على ندرتـه في الأشـهر البـاردة، ألا وهـو الكلوروفيل الذي يقـوم بـدور فعـال في تنشـيط التبـادل الغـذائي، وتسهيل عملية استخدام المواد المبتلعـة، وتنشـيط قـدرة العضـلة

القلبية.

قلت: فوائدك عظيمة، فبم تنصحني؟

قال: احتفظ دائما بـاوراقي الخضـراء، وإذا كنت من أصـحاب الحدائق، فتشبه بـالفلاحين الـذين يكتفـون، بـدافع من الاقتصـاد أو الحكمة، بقطع أوراقي لصنع الحساء، ولا يقتلعـون الكـراث كلـه إلا عندما يريدون طهو طبق منه، أو إذا مارأوه أوشك أن يبرز.

***

بعـدها دلـني الكـراث على بعض النباتـات الـتي وردت فيهـا النصـوص المقدسـة، وكـان من أهمهـا السـلق(1) الـذي أخـبرني بحديث أم منذر عندما قالت: دخل علي رسول الله ﷺ ومعه علي، ولنا دوال معلقـة، قـالت فجعـل رسـول اللـه ﷺ يأكـل وعلي معـه يأكل، فقال رسول الله ﷺ:(مه يا علي فإنك ناقه)، قالت: فجعلت لهم سلقاً وشعيراً، فقال النبي ﷺ:(يا علي فأصـب من هـذا، فإنـه أوفق لك)(2)

ثم مررنا على الرجلة فحدثتني بما روي أن النبي ﷺ مـر بهـا وفي رجله قرحة فداواها بها، فبرئت، فقال رسول الله ﷺ:(بـارك اللـه فيـك أنبـتي حيث شـئت فـأنت شـفاء من سـبعين داء أدنـاه الصداع)(3)

ثم مررنا على السفرجل(4)، فحدثني بحديث عن أبي ذر، قال أتيت النبي ﷺ وهو في جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلبهـا،

---

1) قال فيه الطب القـديم: السـلق حـار يـابس في الأولى، وقيـل رطب فيهـا، وقيـل مركب منهما، وفيه برودة ملطفة، وتحليل. وتفتيح، وفي الأسود منه قبض ونفع من داء الثعلب، والكلف، والحزاز، والثآليل إذا طلي بمائه، ويقتل القمل، ويطلى بـه القوبـاء مـع العسـل، ويفتح سدد الكبد والطحال، وأسوده يعقل البطن، ولا سيما مع العـدس، وهمـا رديئـان. والأبيض يلين مع العدس، ويحقن بمائه للإسهال، وينفع من القولنج مـع المـري والتوابـل، وهـو قليـل الغـذاء، رديء الكيموس، يحرق الدم، ويصلحه الخل والخردل، والإكثار منه يولد القبض والنفخ.

2) الترمذي وأبو داود، قال الترمذي حديث حسن غريب.

3) أبو نعيم وهو مرسل ضعيف.

4) قال عنه الطب القديم: والسفرجل بارد يابس، ويختلف في ذلك باختلاف طعمه، وكلـه بـارد قـابض، جيـد للمعـدة، والحلـو منـه أقـل بـرودة ويبسـاً، وأميـل إلى الإعتـدال، والحامض أشد قبضاً ويبساً وبـرودة، وكلـه يسـكن العطس والقئ، ويـدر البـول، ويعقـل الطبـع، وينفـع من قرحـة الأمعـاء، ونفث الـدم، والهيضـة، وينفـع من الغثيـان، ويمنـع من تصاعد الأبخرة إذا استعمل بعد الطعام، وحراقة أغصـانه وورقـه المغسـولة كالتوتيـاء في فعلها.

وهو قبل الطعام يقبض، وبعده يلين الطبع، ويسرع بانحدار الثفـل، والإكثـار منـه مضـر بالعصب، مولد للقولنج، ويطفئ المرة الصفراء المتولدة في المعدة.

وإن شوي كان أقل لخشونته، وأخف، وإذا قور وسطه، ونزع حبه، وجعل فيـه العسـل، وطين جرمه بالعجين، وأودع الرماد الحار، نفع نفعاً حسناً.

وأجود ما أكل مشوياً أو مطبوخاً بالعسل، وحبه ينفع من خشونة الحلق، وقصبة الرئـة، وكثير من الأمـراض، ودهنـه يمنـع العـرق، ويقـوي المعـدة، والمـربى منـه يقـوي المعـدة والكبد، ويشد القلب، ويطيب النفس.

فلما جلست إليه، دحا بها إلي ثم قال:(دونكها أبا ذر، فإنها تشد القلب، وتطيب النفس، وتذهب بطخاء الصدر)(1)

الفواكه

قالت السفرجلة لي، وقد رأت إعجابي بحديقة الخضر، وما فيها من أصناف البركات: أفلا أدلك على حديقة أكثر بهجة، فضلت علينا في القرآن الكريم بذكرها في نعيم الجنة، ولم نذكر.

قلت: إن هذا لحسن خلق منك، فما هي؟

قالت: حدائق الفاكهة، ألم تسمع الله يذكرها في القرآن الكريم ويثني عليها كل الثناء.. وهو ما يكفي للدلالة على البركات التي أودعت فيها.

قلت: بلى.. فقد ذكرها القرآن الكريم، ورغب فيها بأصناف من الترغيب:

فقد ذكر كثرتها، وهو ما لم يحظ به طعام آخر، فقال تعالى: لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (الزخرف:73)،ـ وقال تعالى: مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (صّ:51)

وأخبر عن تنوعها، فقال: يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (الدخان:55)، وقال تعالى: فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ(الرحمن: 52)

وأخبر عن تفاضلها، فقال: وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ(الواقعة:20)

وأخبر عن سهولة الحصول عليها، وعلى فوائدها، فقال: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ(الواقعة:32 ـ 33)،ـ وقال تعالى: قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(الحاقة:23)

قالت: وفي كل ما ذكرت آثار أنزلها الله في الدنيا لتعرفوا بها فضل الآخرة.

قلت: كيف ذلك، فالدنيا دنيا، والآخرة آخرة، وقد قال ﷺ: (يقول اللّه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرأوا إن شئتم: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(السجدة: 17)

قالت: بلى.. وقد سمعت معها الله تعالى وهو يقول: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ

1) النسائي.

مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(البقرة:25)، فقد أخبر تعالى أنهم إذا رأوها تذكروا برؤيتها ما رأوه من قبل.

قلت: ولكنه تشابه شكل لا تشابه طعم.. وقد ورد في وصف سدرة المنتهى أن ورقها كآذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر(1).

قال: صحيح ما ذكرت.. فلا يمكن للدنيا أن تشبه الآخرة في تفاصيلها، ولكني أقصد قوله ﷺ:(لو قُلت إنَّ فاكهة نزلت من الجَنَّة قلت التين، لأنَّ فاكهة الجنَّة بلا عجمٍ ـ كلوا منه فإنه يقطع البواسير، وينفع النقرس)(2)، فقد ذكر ﷺ أن الله جعل في الدنيا ما يذكر بنعيم الآخرة.

قلت: صدقت في هذا..ونحن لم نختلف.. فاذكري لي: أين الحديقة؟.. وما تحوي؟

قالت: هي حديقة غناء تحوي من ألوان الفواكه التي ورد فضلها في النصوص المقدسة، فبوركت بذكرها لها.

قلت: فما هي ألوان الفواكه التي تحتويها؟

قالت: تقسم الفاكهة إلى حلوة كالموز والتين والعنب والتمر.. وحامضة كالأترج والرمان.. وإلى نصف حامض، وهو ما تبقى من الفاكهة.. وقد زرت التمر من قبل.. فلذلك ستزور في هذه الحديقة ما بقي من الفواكه.

التين:

قلت: وبمن أبدأ؟

قالت: بالتينة التي ذكرناها.

قلت: فأين هي؟

قالت: هي عن يمينك تنتظر دورها في الحديث، فقد آتاها الله من الأدب بحيث لا تقطع حديثا، ولا تنغص جليسا..

قلت: قد عرفت ذلك منها.. فهي الفاكهة اللذيذة إلى نفسي أسرطها سرطا.. فلا عجم أرميه، ولا قشر أطرحه.

قالت التينة: بورك فيك، وفي السفرجلة التي أتت بك.. وستجد ـ إن شاء الله ـ عندي من حلو الحديث ما يجعلك تحبني كما أحبني أهل الله.

قلت: فهل أحبك أهل الله؟

قالت: وكيف لا يحبوني.. وقد أقسم الله بي، فقال تعالى: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ(التين:1)، وقد قال في ﷺ ما قال.

قلت: عرفت هذا.. فحدثيني عن أسرار بركاتك.

---

1) البخاري ومسلم.
2) ابن السني وابو نعيم والديلمي.

قالت: أنا ـ بحمد الله ـ عالية القيمة الغذائية، وذلـك لاحتـوائي على السكريات الأحادية، والعناصر المعدنية، والفيتامينات.

قلت: هذه بركات التكوين.. فما بركات الشفاء؟

قــالت: لقــد شــاع اســتخدامي في علاج الإمســاك، ومغلي أوراقي يستخدم عند العـرب أو البـدو في علاج اضـطراب الحيض، كما أن المحفوظ مني يعمل على إدرار اللبن.

قلت: لقد وصفك رسول الله ﷺ للنقرس والبواسـير، فقـال: (كلـوا الـتين فلـو قلت إن فاكهـة نـزلت من الجنـة قلت هـذه لأن فاكهة الجنة لا عجم فيهـا، فكلـوه فإنـه يقطـع البواسـير وينفـع من النقرس)(1)

قالت: أجـل.. صـدق حبيـبي ﷺ، أمـا كـوني أقطـع البواسـير، فـيرجع ذلـك إلى كـوني مسـهلة وقابضـة.. وأمـا مـا يخص علاج النقرس، وهو ترسُّـب أملاح حمض اليـورك في المفاصـل، والـذي يؤدي إلى خلل في تمثيل الأحماض النووية، فقد ثبت أن لي علاقـة بالإنزيم الخاص بتحويل الزانسين إلى اليوريك أسيد، فالإنزيم ـ بدل أن يسمح له يسـير في اتجـاه واحـد ــ يسـير في اتجـاهين فيكـون الاتزان، ولذلك فالأدوية التي تعطى من الخارج تثبـط الإنـزيم، لكن تثبطه جزئياً، لكن التين ينظم عمل الأنزيم.. ذلـك أن النقـرس هـو عبارة عن خطأ في التمثيل الغذائي.

قلت: فماذا تعالجين أيضا؟

قالت: أنـا أوصـف لعلاج الامسـاك، فلهـذا يمكن تنـاول الـتين المجفــف أو الطــازج، من دون أي تحضــير معين، للتخفيــف من الامساك، ويمكن طهو ثلاث أو أربـع ثمـرات تين طازجـة مقطعـة، وعشر حبات زبيب في مقدار كوب كبـير من الحليب، ويتم تناولهـا صباحاً على الريق، كما يمكن نقع ست ثمرات تين في الماء الفاتر طوال الليل، ثم يتم تناولها صباحاً على الريق أيضاً.

قلت:....؟

قـالت: من أدواري أنـني أخفـف من الاضـطرابات الهضـمية، فيمكن تناول التين الطازج بعد الوجبات الخفيفة، أو قبـل الوجبـات الثقيلة للتخفيف من اضطرابات الجهاز الهضمي.. وذلـك مفيـد في مكافحة القرحة والطفيليات والجراثيم.

قلت:....؟

قالت: وأنـا أخفـف من اضـطرابات التنفس، وذلـك لاحتـوائي على عناصر شافية تخفف من تهيجات الأغشية المخاطية، وخاصـة

1) ابن السني وأبو نعيم والديلمي - عن أبي ذر.

في الجهـاز التنفسـي، لـذلك فـإن تنـاول الـتين الطـازج يمكن أن يساعد على التخفيف من الاضـطرابات التنفسـية، فأنـا ألعب دوراً مشابها لدور مضادات الالتهابات.

وأنا أفيد أيضاً لعلاج التهابات الحلق، ويكفي لذلك أن يتم غلي أربع أو خمس ثمرات تين طازجة في حوالي 50 ملليلتر من الماء، ثم يصفى الماء ويترك حتى يبرد، ثم يشرب لعلاج أوجاع الحلق.

قلت: سمعت أن لك استعمالات خارجية.

قالت: أجل، فقد جعلني الله بركة في الداخل والخارج.

قلت: فاذكري لي بعض بركاتك.

قالت: أنا أستعمل لإزالة مسامير القـدمين.. وذلـك لاحتـوائي على إنزيمات تساعد على التخلص من النتـوءات الجلديـة الزائـدة، لهذا يمكن استخدامي لإزالة المسامير التي تظهر على القدمين.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: يوضع لُب ثمرتي على المسامير ويغطى برباط طـوال الليل.

قلت: بورك فيك.. فهل تعالجين غيرها؟

قالت: أعالج الحبوب والتقرحات.

قلت: فاذكري لي وصفة لذلك.

قالت: يتم تسخين التين في الماء أو الحليب، وتقطع كل حبة مني إلى نصفين، بحيث يوضع لب الثمر على البثور مباشرة، وهذه الطريقة فعالة جدا في العلاج، وخصوصاً في علاج تقرحات الفم.

قلت: فهل لك وصفات أخرى؟

قالت: أنا أتمتع بخصائص وقائيـة وملطفـة ومرطبـة.. ولـذلك أقوم بتغذية الجلد والشعر وأقيهمـا من تغـيرات الطقس القاسـية، ومن التلوث..ولـذلك يـدخلني تجـار قومـك في تـركيب العديـد من مستحضرات العناية بالبشرة والشعر.

العنب:

التفت فـرأيت عنقـود عنب يفيض بحبـات أجمـل من اللآلئ، فقلت له: أأنت عنقـود الجنـة الـذي رآه ﷺ، كمـا في حـديث جـابر الـذي قـال: بينـا نحن في صـلاة الظهـر إذ تقـدم رسـول اللّـه ﷺ، فتقدمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تـأخر، فلمـا قضـى الصـلاة، قال له أبي بن كعب: يا رسول اللّه صنعت اليوم في الصـلاة شـيئاً ما كنت تصنعه، قال:(إنه عرضت علي الجنة وما فيهـا من الزهـرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه،

ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه)[1]

قال: لا.. ولكني لا أقل عنه شرفا.. فقد شرفني الله تعالى بذكره في كتابه في مواضع كثيرة، فقال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد:4)، وقال: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:11)

وقد قرنني بالنخلة المباركة في مواضع، فقال: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(النحل:67)،ـ وقال تعالى: ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(المؤمنون:19)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾(يّس:34)

قلت: قد سمعت كل هذا.. ولأجله جئت أبحث عن أسرار هذه البركات.

قال: ألا يكفيك كلام ربك؟

قلت: نحن قوم غشي على عيوننا.. فلا نرى إلا ما تقوله الدراسات.

قال: فأنت عبد لها إذن.

قلت: يمكنك أن تقول ذلك.. فنحن لا نصدق بالحقائق حتى تأتينا من الألسن التي ترطن بالعجمة.

قالت: لا بأس عليك.. أما أنا فلم يجهل أسراري عرب ولا عجم.. فقد عرفت منذ القدم، عرفني الصينيون والهنود وغيرهم، ورغبوا في القيمة الغذائية العالية التي حباني الله بها.

قلت: ذكرت القيمة الغذائية العالية!؟

قالت حبة من العنب، وقد اشتد غضبها: أجل.. أفي شك أنت من ذلك.. فنحن نحتوي على نسبة جيدة من المواد السكرية سريعة الامتصاص وسهلة الهضم حيث يتركز سكر الجلوكوز وسكر الفركتوز بشكل كبير في مكوناتنا.

ونتميز بغنانا بالفيتامينات مثل فيتامين ج، وفيتامين ب.. كما نحتوي على نسبة جيدة من العناصر المعدنية مثل البوتاسيوم والكالسيوم والصوديوم.

كما نحتوي على مواد ذات مفعول علاجي.. حيث نحتوي على

---

1) مسلم.

مركب يعرف بريزفيراتول، وتتميز هذه المادة بتأثيرها الايجابي في الحد من تصلب الشرايين حيث أن لها تأثيرا مباشرا وملحوظـا في تقليل نسبة الكولسترول في الدم وخصوصا الكولسترول السـيء، مما يقلل الإصابة بأمراض القلب.

كما نحتوي ـ بحمد الله ــ على بعض الأحمـاض الـتي لهـا دور في الوقاية من تـراكم الجـذور الحـرة، ولـذلك نعتـبر مضـاداً جيـداً للسرطان.

قلت: فبركاتك عظيمة؟

قالت: لا تزال لم تسمع شيئا.. فقد أشـارت الأبحـاث العلميـة أن لي دورا في الوقاية من مرض هشاشـة العظـام، أو مـا يعـرف بوهن العظام.

قلت: هو من الأمراض التي تنتشر بشكل كبير بين السيدات، وله علاقة بالكالسيوم.. فكيف تكون لك علاقة به؟

قالت: أنا أحتوي على معدن البودون، وهو يسـاهم في زيـادة هرمون الاستروجين لدى الاناث عند بلوغهن سـن اليـأس.. وبـذلك يعمل هذا الهرمون على الاقلال من التعرض لهذا المرض في هـذه المرحلة من السن.

قلت: وما علاقة هذا الهرمون بالهشاشة؟

قالت: يعمـل هـذا الهرمـون الهـام للسـيدات على امتصـاص الكالسيوم، والذي يكون في الغـذاء عـادة، ولكن نسـبة امتصاصـه تنخفض مع تقـدم العمـر عنـد الرجـال وعنـد النسـاء عمومـا إلا أن تأثيره عند السيدات يكون أكثر.

والعمـل الـذي يقـوم بـه هرمـون الاسـتروجين مهم جـدا في عملية امتصاص بل زيادة امتصاص الكالسيوم، ومثله زيـادة عمليـة ترسب وإضافة الكالسيوم الى العظام.

قلت: فاذكري لي بركاتك على الدم.

قـالت: لقـد جعـل اللـه فينـا دورا مهمـا في خفض الضـغط المرتفع، حيث أننا من مدرات البول لاحتوائنا على نسبة عاليــة من البوتاسيوم.

قلت:....؟

قالت: ولنا دور في علاج الإمساك.. حيث أننـا نسـهل البطن.. ولذلك نستخدم كمسهل يتناول عصيرنا للكبار وللصغار، وهو نـاجح بشكل جيـد للأطفـال حيث يقـوم بعمليـة تنظيـف البطن وتسـهيل حركة الامعاء.

قلت:....؟

قالت: ونحن نخفض الحموضة، وخصوصا الحموضة التي تنتج من عسر الهضم حيث نحتوي على العديد من الأحماض الطبيعية ذات التأثير القاعدي.

قلت:....؟

قالت: ونحن نساهم ــ بفضل الله ــ في الحد من الإصابة بالسرطان، حيث تشير الأبحاث أن البلاد التي يكثر فيها إنتاج العنب تكون فيها أمراض السرطان منخفضة، بل معدومة، لأننا نحتوي على العديد من العناصر الغذائية التي تساهم في اخراج المواد المسرطنة، وهي الجذور الحرة، وتطرحها خارج الجسم، حيث نحتوي على العديد من الفيتامينات والمعادن مضادات للأكسدة مثل فيتامينات (أ،ج)وبعض العناصر المعدنية، بالإضافة إلى الألياف الذائبة وغير الذائبة.

قلت:....؟

قالت: ولنا ــ فوق ذلك ــ قيمة علاجية عالية، وخصوصاً للأشخاص الذين يعانون من اضطرابات أو ضعف في الكلى، حيث نحتوي على نسبة جيدة من الماء والأملاح بكميات مناسبة.. ولهذا نساهم بشكل جيد في عملية تصفية الدم وتنقيته من السموم.

الرمان:

رأيت رمانة جميلة تحدق إلي بعيون تمتلئ خجلا.. وقد تورد خداها، فقلت: ما بالك أيتها الرمانة.. لكأني بك تريدين أن تسري إلي أمرا تستحين من ذكره.

قالت: لا.. فنحن لا نعرف الأسرار.. وإنما أنا ممتلئة سرورا بما ورد في النصوص من فضلي.. فقد ذكرني الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:99)، وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام:141)

وذكر أني من فاكهة الجنة، فقال: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الرحمن:68)

قلت: وقد ذكر رسول الله ﷺ فضلك وعلاقتك بالجنة، فقال:(ما من رمانة إلا ولقحت من رمان الجنة، وما رمانة إلا فيها حبة من رمان الجنة)(1)

1) ابن عدي وابن عساكر ، وقال ابن عدي: هذا حديث باطل.

قـالت: دعـك من هـذا الحـديث، فهـو لا يصـح.. ولا ينبغي أن نفخر بما لا يصح.. ويكفي ما ورد فينا من فضل في القرآن الكريم.

قلت: فحدثيني عن بركاتك.

قالت: سأحدثك عن بركة نقلها علي فقد كان فقيهـا في كلام الله.

قلت: لقد وصف وصفات طبية صالحة.. فهـل لـه وصـفة لهـا علاقة بك؟

قالت: أجل.. فقد روي أنه روى:(كلوا الرمـان بشـحمه فإنـه دباغ للمعدة)(1)

قلت: فما في هذه الوصفة من الطب؟

قالت: القلف الأبيض الذي هي الطبقة البيضاء بين الفصـوص يحتوي على مادة قابضة ومضادة للحموضة، وثبت أنها تقوم بشفاء قرحـة المعـدة وقرحـة الإثـنى عشـر، والأطبـاء في أوربـا يأخـذوا المستخلص المائي أو المعلـق منهـا، ويـدخلوه بالمنـاظير ويحقنـوا قرحة المعدة وقرحة الإثنى عشر فتبرأ في الحال(2).

قلت: فحدثيني عن بركات تكوينك.

قالت: أنا غذاء تمد كل 100 جـرام مـني قرابـة 160 سـعراً حرارياً.

قلت: دعك من الحريرات.. فلي من الأغذية ما أجـدها فيهـا.. لقد سمعت أنك لا تحوين الكثير من الفيتامينات.

قالت: في غيري من الفيتامينات ما يكفيك.

قلت: فما فيك مما يرغب فيه؟

قـالت: أنـا أحـوي الكثـير من المعـادن.. وأنـا مصـدر جيـد للسكريات، وتصل نسبة فيتامين ج في عصير الرمـان البلـدي إلى حوالي 10 مليجرامات كل 100 جرام من العصير. ويوجد في كـل 100 جرام من حبوبي المواد الغذائية التالية:كالسيوم 8 مليجـرام، بروتين 1.3جـرام، فسـفور 20 مليجـرام، دهن 0.8 جـرام، حديـد 0.8 مليجرام، كربوهيدرات 41.7 جرام، بوتاسيوم 658 مليجرام.

قلت: نعم ما ذكـرت.. ولكـني أرى في قشـورك الداخليـة مـا يشوهك..فهلا سألت الله أن ينزعها عنك؟

قالت: لجميع قشوري الداخلية والخارجيـة فوائـد شـتى، فهي تحتوي على مواد قلويـة ومـواد قابضـة، وهي دواء لطـرد الديــدان من الأمعـاء خاصـة الـدودة الشـريطية، ويسـتخدم القشـر كمـادة

1) أبو الحسن علي بن الفرج الصقلي في فوائده، وفي سنده مجاهيل.

2) محاضرة للدكتور عبد الباسط محمـد السـيد على قنـاة الجزيـرة في برنـامج بلا حدود 4/12/2002م.

قابضة للبطن حيث تجفف القشور وتطحن وتستخدم عند الحاجة.

قلت: نعم ما ذكرت.. ولكني أراك تهتمين بالإشادة بقشورك.. فهل تراك من ذوات القشور، لا من أولي الألباب؟

قالت: لا.. بل أنا من أولي القشور والألباب.. وقد أكدت دراسة علمية حديثة أن ثمار الرمان تعالج 11 مرضاً وتوفر احتياجات الجسم الأساسية من العناصر الغذائية.. وذكرت الدراسة أن بذور الرمان ذات الغلاف العصيري البلوري والتي تستخدم في سلطة الفواكه تقضي على البكتريا المسببة للإسهال، كما تقوي القلب والمعدة وتدر البول وتطهر الدم وتذيب حصوات الكلى وتلطف الحرارة المرتفعة بالجسم وتشفي عسر الهضم وتقلل آلام النقرس، كما أن مسحوق أزهارها يستخدم شراباً أيضاً ضد الإسهال.

وبينت أنه يمكن استخدام الرمان لمعالجة الزحار (الديزنتاريا)ومعالجة الوهن العصبي وبعض أنواع الأورام التي تصيب الأغشية المخاطية، خاصة إذا استخدم مع العسل.

وذكرت أن تناول الرمان مع الأغذية الدسمة يساعد على هضمها بشكل جيد.

ومن الأخبار الهامة التي طالعتكم بها الصحف ما ذكرت من غناي بمركبات منع الأكسدة..

قلت: أجل.. سمعت بهذا.. فما في ذلك من أسرار البركات؟

قالت: في ذلك كل البركات.. ألا تعلم أنها فعالة بصورة جيدة لمنع أكسدة دهون البلازما التي يعتقد أنها من أسباب تصلب الشرايين.. وقد جرت دراسة على أشخاص أصحاء وعلى حيوانات التجارب، حيث تم إعطاء الأصحاء عصير الرمان لمدة أسبوعين والحيوانات 14 أسبوعاً. وذلك بهدف معرفة تأثير عصير الرمان على أكسدة البروتينات الشحمية وتكدسها، وتصلب الشرايين عند الأصحاء أو حيوانات مصابة بتصلب الشرايين.

قلت: فماذا وجدوا؟

قالت: لقد وجدوا أن عصير الرمان يعمل على التقليل من تكدس البروتينات الشحمية الضارة بالجسم وأكسدتها عند المتبرعين الأصحاء.. كما أنه يؤدي إلى تقليل حجم مشكلة تصلب الشرايين في فئران التجارب، وخلصت الدراسة بنتيجة مفادها أن لعصير الرمان مفعولاً قوياً كمضاد لتصلب الشرايين عند الأشخاص الأصحاء، وكذا عند الحيوانات المصابة بتصلب الشرايين.. وهذا المفعول يرجع بصورة أساسية لوجود مضادات الأكسدة في

الرمان.

قلت: نعم ما ذكرت.. ولكنك مع ذلك لا تدومين إلا قيلا.

قالت: نعم.. ولكن مع ذلك فقد جعل اللـه في من الوفـاء مـا يجعلني سهلة الحفظ لعدة أشهر، إذ يمكن حفظي لمدة 6 أشــهر، وذلك بتجفيف القشرة الخارجية شمسياً وحفظي بعـد جفـافي في الجو العادي.

ويمكن حفظي أيضاً لمدة تصل إلى ثلاثة أشـهر دون تجفيـف القشرة، وذلك في الثلاجة، ويتم ذلك بلف كل ثمرة بأوراق شفافة على حدة ووضع الثمار الملفوفة في كرتون في الثلاجة.

وتمتـاز ثمـاري المخزنـة بارتفـاع محتواهـا من السـكر وقلـة حموضتها ولين بذورها(1).

الموز

جاءت الموزة تختال في مشيتها، وقالت من غـير أن أسـألها: ألا تعلم أني من فاكهة الجنة؟

قلت: لا أى لك ذكرا في القرآن الكريم.. فهل علمت وجودك في الجنــة بالقيــاس أم بالاستحســان؟.. ألا تعلمين أنــه لا يجــوز استعمالهما في الأخبار؟

قالت: ولا في الإنشاء..

قلت: فكيف عرفت بوجودك في الجنة؟

قالت: بالقرآن الكريم.. فأنا من فاكهة القرآن الكريم..

قلت: أفصحي.. فلا أرى في القرآن الكريم موزا..

قالت: أنـا الطلح المـذكور في قولـه تعـالى: وَطَلْحٍ مَنْضُـودٍ (الواقعة:29)(2)

قلت: والموز؟

قالت: هي كلمة مستعربة من اللغة الهنديـة (مـوزى) وتعـني (فاكهة الحكمـاء)كمـا سـميت في الهنـد حيث أن الفلاسـفة كـانوا يستظلون تحت شجرتي.

قلت: فلم ترينا نؤثر لغة الهنود؟

---

1) نشر في مجلة (عالم الغذاء)عـدد (3)بتـاريخ (سـبتمبر 1998م -جمـادى الأولى 1419هـ)

2) وقد روي هذا عن ابن عباس، انظر: تفسـير الطـبري (27/104)، وقـد روي في الحديث خلاف هذا القول فعن عُتْبة بن عبد السلمي ال: كنت جالسًا مع رسـول اللـه ﷺ، فجاءٍ أعرابي فقال: يا رسول الله، أسمعك تـذكر في الجنـة شـجرة لا أعلم شـجرة أكـثر شوكًا منها؟ يعني: الطلح، فقال رسول الله ﷺ:« إن اللـه يجعـل مكـان كـل شـوكة منهـا ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعام، لا يشبه لون آخر » انظـر: البعث لابن أبي داود برقم (69)ورواه الطبراني في مسـند الشـاميين بـرقم (492)وعنـه أبو نعيم في الحلية (6/103)عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن يحيى بن حمزة بـه، وقـال الهيثمي في المجمع (10/414): رجاله رجال الصحيح.

قـالت: ذلـك لأني أرتبـط بالهنـد تاريخيـا.. ثم انتقلت منـه إلى أنحاء العالم.. وأذكر أن العالم الجديـد عرفـني عـام 1516م حيث غرست أول نبتة لي في الكاريبي آنذاك.. وعرضـت لأول مـرة في ولاية فيلاديلفيا في معرض سينتينيال عام 1876م.

قلت: دعيني من تاريخك.. وعـودي بنـا إلى بركاتـك.. فلا أرى القرآن الكريم ذكرك إلا لما فيك من خير وفضل وبركة.

قـالت: بلى.. وقـد ذكـر أسـلافكم عـني أني أنفـع من حرقـة الصدر والرئة والسعال وقـروح الكليـتين والمثانـة، وأني أدر البـول وألين البطن وأسمن كثيرا.. ولكن الإكثار مني يضر المعـدة ويثقـل ويزيــد في الصــفراء والبلغم ويــدفع ضــرري بالســكر والعســل والزنجبيل.

وقـد ذكـروا أني إذا طبخت في دهن اللـوز أصـلحت الصـدر سريعا.. وأن طبخي مع بـذر البطيخ ودهن الوجـه بـه يجلـو الكلـف وينعّم البشرة ويحسن اللون وان وضـعت ورقـة مـني على الأورام حللها.

قلت: فما قال المحدثون من بني قومي؟

قالت: لقد ذكروا أني من أفضـل مصـادر الطاقـة الطبيعيـة.. فأنا خالية من الصوديوم.. ولذلك أقلـل من مخـاطر ارتفـاع ضـغط الدم، وخالية من الدهن والكوليسـتول وأحتـوي على كاربوهيـدرات سهلة الهضم مقارنة بالفواكه الأخرى.

وقــد ســاعدت الأبحــاث في الطب الحــديث على التوعيــة والتعريف بأني قد أحد من الوفاة الناتجة عن أمراض القلب لبعض الحالات.

قلت: فما ذكروا من بركات تكوينك؟

قالت: لقد أكد أخصائيو التغذية أني غنية بالألياف والفيتامينات A،B،C بالإضافة إلى الأملاح المعدنية كالحديد والزنـك والفوسـفور والمنغنيز والصوديوم، كما أحتوي على المـاء والنشـا وسـكر العنب وسكر القصب مما يجعلـني مصـدراً حيويـاً للعناصـر الـتي يحتاجهـا الجسم البشري.

قلت: فما بركات الاستشفاء بك؟

قالت: لقد أظهرت دراسة سويدية حديثة أن الموز الناضـج أو المطهـو يحتـوي على مـواد تزيـد من مقاومـة الخلايـا الـتي تبطن المعدة للقرحة وقد تمنـع حـدوثها وتسـاعد على الشـفاء منهـا في حالة الإصابة بها.

وفي الدراسة التي نشرتها مجلة (الأفكار الصـحية)الأمريكيـة،

أكد أخصائيو التغذية أن الموز الغني بعنصر البوتاسيوم يساعد في الحفاظ على سلامة العضلات والعظام ويؤدي إلى تقليل ضغط الدم الشرياني، وبالتالي يخفض إلى حد كبير من احتمالات الإصابة بالنوبات القلبية.

وكانت دراسات أخرى قد أشارت إلى أن للموز أثراً إيجابيا على عملية الهضم في الأمعاء خلافاً للاعتقاد الشائع بأن الموز يسبب الإصابة بالإمساك أو الانتفاخات، وأن أثر الموز على عملية الهضم يزداد كلما كان الموز ناضجاً.

الأترج:

تركت الموزة تذكر ما ورد في الدراسات من فضلها.. ثم التفت إلى أترجة ملأت نفسي بمنظرها نشاطا.. فقلت لها: طوبى لك أيته الأترجة.. لقد ذكرك رسول الله ﷺ فقال:(مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمر لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرا القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر)(1)

قالت: أجل.. فقد شبهني رسول الله ﷺ بالمؤمن الذي يقرأ القرآن الكريم.. وحسبي بذلك شرفا.. بل حسبي أنه فضلني على التمر في هذا.. فلا تسمع لتيه التمر علي.

قلت: لقد رأيته من أكثر الناس تواضعا.. فلا تتيهي عليه أنت.

قالت: أنا لا أتيه عليه، ولا على غيره.. ولكني أتيه على عقولكم الضعيفة التي استبدلتني بأنواع السموم.

قلت: فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قالت: لقد أثني علي القدماء أعظم الثناء.. وقد روي أن بعض الملوك الاكاسرة سجن بعض الاطباء، وأمر ألا يقدم لهم من الأكل إلا الخبز وإدام واحد، فاختاروا الأترج وسئلوا عن ذلك فقالوا: (لأنه في العاجل ريحان ومنظره مفرح، وقشره طيب الرائحة ولحمه فاكهة وحماضه إدام وحبه ترياق وفيه دهن)

لقد عرف العرب الأترج منذ القدم وتغنى به شعراؤهم في مختلف العصور منهم ابن الرومي الذي قال فيه في معرض الحديث عن أحد ممدوحيه.

كل الخلال التي تشابهت منكم
فيكم

1) البخاري ومسلم.

كأنكم شجر الأترج حملا ونوراً وطاب
طالوا وعلا العود والعرة
قلت: دعينا من أقوال الشعراء.. فقد يذمون الممدوح.. ويحمدون المذموم..
قالت: تريد الخبراء العلماء.. فقد قال عني ابن سينا:(لحمه (لبه)ملطف لحرارة المعدة نافع لاصحاب المرة الصفراء قامع للبخارات الحارة)
وقال الأطباء العرب فيه الكثير حيث قسموني الى أربعة أصناف: قشر ولب وحمض وبذر ولكل منها منافع وخواص وقالوا: إن من منافع قشره أنه إذا جفف وسحق ثم جعل بين الملابس أو الفراش منع السوس ورائحته تطيب رائحة الهواء والوباء، ويطيب النكهة إذا أمسكها في الفم، ويحلل الرياح، وإذا أضيف إلى الطعام أعان على الهضم. وعصارة القشرة الطازجة تنفع من نهش الأفاعي شرباً، كما ينفع القشر ضماداً على الجروح وإذا أحرق قشره بعد جفافه فإن رماده طلاء جيدا للبهاق.
أما لبه فملطف للمعدة، وحماضه قابض وكاسر للصفراء، ومسكن للخفقان الحار، يفيد اليرقان شرباً، يقطع القيء، ومشه للأكل، يحبس البطن ينفع الإسهال والصفراوي، ينفع طلاوه من الكلف، مقو معدي ويسكن العطش.
أما بذره فينفع من السموم القاتلة إذا شرب منه وزن مثقالين مقشراً بماء فاتر، ملين للطبيعة مطيب للنكهة.
وقالت عني طائفة من الحكماء:(جمع الأترج أنواعاً من المحاسن والإحسان، فقشره مشموم، وشحمه فاكهة، وحماضه إدام، وبذره دهان)
وقال عني ابن البيطار:(قوة الأترج تلطف وتقطع وتبرد وتطفئ حرارة الكبد وتقوي المعدة وتزيد في شهوة الطعام وتقمع حدة المرة الصفراء وتزيل الغم العارض منها، ويسكن العطش ويقطع الاسهال وحماضه نافع من الخفقان وحب الأترج ينفع من لدغ العقارب)
قلت: فما قال المحدثون؟
قالت: هم يستخدمونني في الطب الحديث كفاتح للشهية وطارد للأرياح ومهضم ومنبه للجهاز الهضمي ومطهر ومضاد للفيروسات وقاتل للبكتريا ومخفض للحمى، وأستخدم كمضاد للبرد والانفلونزا والحمى ولعدوى الصدر والحنجرة بالميكروبات وأقوي جهاز المناعة.. كما أساعد في موازنة ضغط الدم.

البقول

انصرفت من حديقة الفواكه.. وقد امتلأت نشاطا وحيوية.. وقد أزمعت في نفسي العودة إلى مـدائن السـلام.. التقيت في طريقي بحبة عـدس.. فسـألتها عن الطريـق إلى المستشـفى.. فقالت: كيف تريد أن تعود إليه.. وأنت لما تعرفني وتعـرف بـني جنسي.

قلت: أنا أعرفك.. فمن بنو جنسك؟

قالت: نحن البقول..

قلت: أعرفك.. ولكن لا شأن لي بك.. فأنا أبحث عن أغذية البركة.. وقد وجدتها جميعا.

قـالت: مـا دمت لم تلقـني ولم تتعـرف علي وعلى بـني جنسي.. فـأنت لم تعـرف أغذيـة البركـة.. ألم تسـمع أني أمثـل البقول.. وأني من الأغذية المنصوص عليها في القـرآن الكـريم، فقد قال تعالى: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَـامٍ وَاحِـدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْـتَبْدِلُونَ الَّذِي هُـوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُـوَ خَيْـرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ (البقرة:61)

قلت: ولكن الله تعالى ذكرك في هذه الاية في موضع ذم؟

قـالت: لا.. من قـال ذلـك.. ولـو كـان كـذلك لـورد النص بكراهتي أو بتحريمي، ولم يرد شيء من ذلك.

قلت: فمـا تقـولين في اعتبـار القـرآن الكـريم لـك طعامـا دانيا؟

قال: الدنو والرفعة نسـبيان، فلـذلك ذكـر اللـه تعـالى دنـو العدس مقارنة بغيره من الأطعمة الـتي كـانت ميسـرة لهم من غير عنـاء، ففي المن - وهـو العسـل أو مـادة سـكرية مقويـة - وفي لحوم السـلوى مـا يفـوق جميـع مـا ذكـروه من الأطعمـة، إضــافة إلى أن المن والســلوى أســهل هضــما من الحبــوب المذكورة.. ولسـهولة الهضـم والامتصـاص أهميتهـا الكـبرى في باب التغذية.

قلت: أراك تتواضعين بذكر فضل غيرك عليك.

قـالت: وذلـك لا يلغي فضـلي.. فأنـا أحتـوي على عناصـر كثيرة يفتقر إليها الجسم افتقارا شديدا.

قلت: لا يعرف عامة قومي من عناصرك إلا الحديد.

قالت: وهل تستهين بالحديد؟

قلت: لا أستهين به.. ولكني مع ذلك لا أرى أهميتـه مقارنـة

بالبروتينات وغيرها.

قالت: فلا تقل هذا.. فالحديد من الأملاح المهمة للجسم، فهو يدخل في تركيب هيموجلوبين الدم ويكسبه المقدرة على نقل الأكسيجين من الرئتين إلى أنسجة الجسم المختلفة حيث يؤكسد ما بها من طعام فيولد طاقة حرارية ضرورية لوظائف الجسم.

فوظائف الحديد في الجسم كثيرة فهو يدخل في تركيب الدم، وهو ضروري لإنتاج الطاقة والحرارة من المواد الغذائية، وهو يعادل الحموضة والزائد من الحديد يختزن في الكبد والطحال وبعض البروتينات المعقدة لكي تستخدم عند الضرورة في حالة نقص موارد الجسم منه.

اللحوم

سرت قليلا بعيدا عن العدس.. فرأيت كبشا في منتهى الجمال يحدق إلي بعيون تمتلئ رحمة ورقة.. فقلت: أيها الكبش المبارك.. أأنت الذي فدى الله بك إسماعيل عليه السلام من الذبح.. فإني أرى لك جمالا لا أراه فيما أراه بين قومي من كباش.

قال: ذاك ابن عمي.. وكلنا ذلك الكبش.. أما ما تراه في من جمال، فهو جمال روحي المتنورة بنور الإيثار.

قلت: فكيف ميزت بين قومك من الكباش بهذه الحلة؟

قال: أنا لم أميز.. كل الكباش وكل البقر.. وكل ما تذبحونه من أنعام لا يختلفون عني، ولا أختلف عنهم.. نحن جميعا خلق من خلق الله ملأنا الله بالرحمة، فقدمنا أنفسنا غذاء طيبا لكم لتؤدوا الوظائف التي خلقتم من أجلها.

قلت: أتفعلون ذلك بدافع الإيثار والمحبة؟

قال: أجل.. ونحن لا نختلف عن الشهداء في ذلك.

قلت: ولكن الشهداء مظلومون.

قال: ونحن كذلك قد تظلمونا.. فينزع الله البركة من لحومنا.

قلت: أفي لحومكم بركة؟

قال: في لحومنا بركة وشفاء إذا تحققتم بما يتطلبه التوصل إلينا من أسرار البركات.

قلت: فما هي؟

قال: أربعة.

قلت: أعلم أنها أربعة.. فما هي؟

قال: التسمية، والذبح، والأدب، والاعتدال.

التسمية:

قلت: فحدثني عن التسمية.

قال: كل من ذبحنا، ولم يذكر الله في ذبحنا إنما يقـوم بقتلنـا، فنخرج من الدنيا بأعظم ألم.

قلت: وما الألم الذي تخرجون به؟

قال: ألم عدم سـماع ذكـر اللـه في آخـر لحظـات حياتنـا.. ألا تلقنون موتاكم؟

قلت: بلى.. نلقنهم.

قال: فذكركم لله عند ذبحكم هو تلقينكم لنا، ألم تسـمع اللـه تعالى يأمركم بالتسمية عند ذبحنا؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى: فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (الأنعام:118)

قال: وهو يعاتب على عدم الأكل من حيوانات معينـة لم ينص على تحريمها، ما دام قد ذكر اسم الله عليهـا، فقـال تعـالى: وَمَـا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَـا حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (الأنعام:119)

قلت: وهل تشعرون حينها بالسعادة؟

قال: نشعر حينها بسعادة لا تشعرون بها وأنتم تأكلون لحومنا.

قلت: كيف ذلك وأنتم مهيئون للذبح؟

قال: ألا تعلم السعادة التي كان يشعر بها الغلام ـ الذي ذكـره رسول الله ﷺ في قصة أصحاب الأخدود ــ وهـو يتقـدم للـذبح في سبيل الله؟

قلت: فحدثني بها لأعلم وجه العلاقة بينكما.

قال: لقد قال ﷺ في حديث طويـل:(ثم جيء بـالغلام فقيـل له: ارجـع عن دينـك، فـأبى، فدفعـه إلى نفـر من أصـحابه، فقـال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبـل، فـإذا بلغتم ذروتـه، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فصـعدوا بـه إلى الجبـل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجـاء يمشي إلى الملك فقال له: ما فعل أصـحابك؟ قـال كفـانيهم اللـه، فدفعه إلى نفـر من أصـحابه فقـال: اذهبـوا فـاحملوه في قرقـور، فتوسطوا به البحر، فـإذا رجـع عن دينـه وإلا فاقـذفوه فـذهبوا بـه، فقال: اللهم اكفـنيهم بمـا شـئت، فانكفـأت بهم السـفينة فغرقـوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك، ما فعـل أصـحابك؟ قـال: كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حـتى تفعـل مـا آمـرك

به، قال: وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحـد وتصـلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السـهم في كبـد القـوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت قتلتني، فجمـع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال بسـم اللـه رب الغلام، ثم رماه، فوقع السـهم في صـدغه فوضـع يـده في صـغه في موضـع السهم فمات، فقال الناس آمنّا برب الغلام، آمنّا بـرب الغلام، آمنّـا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحـذر، قـد واللـه نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخـدود في أفـواه السـكك، فخدت وأضرمت النيران، وقـال: من لم يرجـع عن دينـه فـأقحموه فيها، أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى أتوا على امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لهـا الغلام يـا أمّـه اصـبري إنـك على الحق)(1)

قلت: لقد رويت الحديث بألفاظه، فبـارك اللـه فيـك.. ولكـني لم أفهم سر المقارنة بينكما.

قال: لقد استعمل الملـك كـل الوسـائل لاسـتحلال دم الغلام، فلم يطق إلا بعد أن ذكر الله، وحينذاك بارك اللـه في جسـد الغلام الذي فارق روحه، فصار سببا لإيمان قومه، بل صار رمزا لنا معشر الكباش، نحن لأن يحدث لنا ما حدث له.

قلت: أتحنون لأن يحصل لكم ما حصل له؟

قال: لا تجد فردا من أفرادنا إلا ويعلم هذه القصــة، ويحن لأن يضحى به باسم الله، فيبارك الله في جسده، فيصـير مقـبرة خلايـا ذاكر لله.. أو يصير كجسد ذلك الولي الذي قال:

وذلك في ذات الله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

قلت: أفتعرفونه؟

قال: نعرفه، ونمتلئ محبـة لـه.. فهـو قـد تعلم التضـحية منـا، وعلمنا من فنون التضحية ما نحن له كل الحنين.

قلت: أنت تحدثني عن ذكر الله كما يحدثني أهل الله.. ولكني لا أرى إخوانك إلا منهمكين في رعيهم لا يبالون بشيء، بل هم أكثر الخلق غفلـة، حـتى أننـا نعتـبر البهيميـة هي الإسـراف في المتـاع، والبعد عن ذكر الله.

قــال: أخطــأتم الحقــائق.. نحن نأكــل ونســرف في الأكــل لأجلكم.. فتلك وظيفتنـا.. وظيفتنـا أن نسـمن لتأكلونـا لحمـا طريـا

1) مسلم.

لذيذا، ونحن نستلذ بالتذاذكم لنا إن ذكرتم الله.

قلت: فأنتم تنحجبون إذن بعملكم عن ذكر اللـه، كمـا ينحجب الغافلون عندنا بزيادة الإنتاج.

قال: لا.. كيف تشبه من يسمن نفسه للـه بالغـافلين؟.. وهـل تتصور أن رعينا وأكلنا وشربنا يبعدنا عن ربنا؟.. إننـا نـذكر اللـه في أنفاسنا كما يذكره أهل الجنة.. ألم تسمع نهيه ﷺ عن اتخاذ البهائم كراسي معللا ذلك بكثرة ذكرنـا اللـه، فقـد مـر ﷺ على قـوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم:(اركبوها سالمة ودوعها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فـرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه)(1) ؟

وقد عرف أسرارنا ذلك الرجل الصـالح الـذي قـال:(مـا أحـد سب شيئا من الدنيا دابة ولا غيرها ويقول: أخزاك الله أو لعنك الله إلا قالت: بل أخزى الله تعالى أعصانا لله تعالى)

قلت: فهمت هذا ووعيته.. ولكـني أراك تتحـدث عن التسـمية وكأنها هي الركن الأساسي في علاقتكم بنا.

قال: فإلام تنظرون إذا لم تنظروا للتسمية؟

قلت: نحن ننظر إلى لحومكم وشحومكم..

قال: لا يجوز لكم أن تسـتحلوها من غـير إذن اللـه.. وإلا كنتم كابن آدم الذي قتل أخاه.

قلت: أتتصور أن كل هذه الأمم التي تسفك دماءكم كـل يـوم كابن آدم الأول.

قال: كل من لم يذكر الله عند ذبحنا، ويستشـعر الرحمـة في قلبه، وهو ينظر إلينا، ونحن نضحي بأنفسنا في سبيل إطعامه، إنما يقتلنا ويسفك دماءنا.. وهـو لا يختلـف عن ابن آدم الأول في ذلـك، ألم تسمع ذلـك الرجـل المبـارك الـذي قـال لرسـول اللـه ﷺ:(يـا رسول الله إني لأرحم الشاة أن أذبحها)، فقال:(إن رحمتها رحمك الله)(2)

قلت: وكيف تكون رحمتك؟

قال: بذكر الله عند ذبحي.

قلت: ولكن نفرا عظيما من فقهاء قومي يتساهلون في ذلك.

قال: لا ينبغي أن يتساهلوا.. ألم يسمعوا القرآن الكريم، وهـو يشتد في ذلك.

قلت: بلى.. ولكنهم يستدلون لذلك بحديث لرسول الله ﷺ.

---

1) أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والحاكم.
2) الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

قـال: الحـديث لا يعـارض القـرآن الكـريم.. فكلاهمـا وحي.. فاذكر لي ما رووا.

قلت: لقد حدثوا أن أناسا قـالوا لرسـول اللـه ﷺ: يـا رسـول الله، إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري اذكـروا اسـم اللـه عليـه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ:(سموا الله عليه، وكلوا)(1)

قال: هذا الحديث لا يفهم منه ما ذكروا.

قلت: فما تفهمون أنتم معشر الأنعام؟

قال: هؤلاء قوم امتلأوا ورعا، فتصوروا أنهم لا يأكلون لحما إلا بعـد أن يسـمعوا الـذابح، وهـو يـذكر اللـه.. فخشـي ﷺ عليهم الوسوسة، وأخبرهم أن الأمر ليس كذلك.

قلت: ولكن الذابحين قد يكونون قصروا في التسمية وغفلـوا عنها.

قال: وقد أرشدهم ﷺ بما يسد ذلك التقصـير، فـأمرهم بـذكر اللـه بـدلهم، ألم تعـرف هديـه ﷺ فيمن نسـي التسـمية في بدايـة الطعام والشراب.

قلت: بلى.. فقد قال ﷺ:(.. فإذا أكل أحـدكم طعامـا، فليقـل: بسم الله، فإن نسي أن يقول: بسم اللـه؛ في أولـه فليقـل: بسـم الله في أوله وآخره)(2)

قال: فقد ذكر ﷺ الحل لتدارك التقصير في التسمية.

قلت: لقد زعمت بأن ذبحكم بغير ذكر اسم الله يمحق البركة عن لحمكم.. فكيف تزعم الآن بأن ذلك قد يستدرك؟

قـال: هـذا مـا نص عليـه رسـول اللـه ﷺ في الحـديث الـذي قرأته، ثم: ألم يخبر ﷺ عن تـأثير التسـمية في وسـط الطعـام في الشيطان الذي يحضر الأكل ليمحق بركته؟

قلت: بلى.. فقـد ورد في الحـديث قولـه ﷺ:(واللـه مـا زال الشيطان يأكل معه حتى سمى، فلم يبق في بطنه شيء إلا قـاءه)(3).

قال: وفي مثله ورد قوله ﷺ:(كل طعـام لا يـذكر اسـم اللـه تعالى عليه، فإنمـا هـو داء، ولا بركـة فيـه، وكفـارة ذلـك إن كـانت المائدة موضوعة أن تسمى وتعيـد يـدك، وإن كـانت قـد رفعت أن تسمى الله وتلعق أصابعك)(4)

فجأة قدم رجلان من بني قومي، قلت للكبش: احذر، فهـذان

---

1) الدارقطني ومالك.
2) أحمد وابن ماجة وابن حبان والبيهقي.
3) أحمد وأبو داو والنسائي والحاكم.
4) ابن عساكر.

يريدان اقتيادك إلى حتفك.

قال، وقد ظهرت على وجهه علائم السرور: بشرتني بشرك الله بكل خير.

نظر إليهما، فقال: لا.. هؤلاء لم يريدا ذبحي.

قلت: فما الذي قدم بهما إلى هنا؟

قال: هذان خبيران من خبراء قومك، فتح الله علهيما، فأدركا من أسرار البركة في التسمية ما يمكن أن يكون سبيلا لإقناع الجاحدين.

قال أحدهما: أنا دكتور في العلوم الصيدلية، وأخصائي في الكيمياء التحليلية الصيدلية، وفي تحاليل السمومية والغذائية والصناعية(1).

قلت: فحدثني عن سر اكتشافك.

قال: موضوع بحثي كان حول فرضية وضعتها، ثم أردت إثباتها، وهي حول تأثير التسمية في الحيوان.

وبداية ذلك كانت رغبة ثلَّةٌ من المؤمنين في القيام بكلِّ ما تمكِّننا به وسائلنا المخبرية في توضيح الفرق بين اللحم المذبوح المصحوب بذكر اسم الله، واللحم المذبوح بغير ذلك، أي دون تكبيرٍ ودون ذكر اسم الله عليه.

ولإثبات ذلك عمدنا إلى الزرع الجرثومي لنموذجي اللحم المأخوذين آنفاً علَّنا نعثر على ما يمكن أن يكوِّن حجَّةً راسخة وصحيحة لا لبس فيها، تؤكد فائدة ذكر اسم الله الرحمن الرحيم على الذبائح.

قلت: فما هي نتائج هذه الدراسة المخبرية؟

قال: كانت نتائج هذه الدراسة باهرةً بصورة قاطعة، حيث كان كلُّ ذبحٍ مع ذكر اسم الله عليه عقيماً من الناحية الجرثومية والفطرية بدرجةٍ كبيرة على عكس لحوم الذبح التي لم يُذكر اسم الله عليها، فقد بدا فيها النمو الجرثومي كثيراً وغزيراً وواضحاً مما لا يدع أي مجال للشكِّ في تأثير التسمية.

قلت: فكيف فسرتم ذلك؟

قال: نحن مؤمنون، ولذلك فسرنا ذلك على ضوء قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:28)، فقد كانت الطمأنينة والهدوء بادية الآثار في اللحم الذي صحبته التسمية.

---

1) هو الدكتور محمد نبيل الشريف، وهو أستاذ في جامعة دمشق، انظر: الطب الإسلامي للدكتور عبد الرحمن العوضي، والذبح الإسلامي علم وتعاليم أم شعائر وطقوس؟ د. مصطفى حلمي.

قلت: كيف ذلك، وما تأثير ذلك في البركة؟

قال: إن الطمأنينة التي حصلت لها أثناء الذبح جعلت من أخلاطها ودورتها الدموية وأحشائها في حالةٍ لا يحدث معها أي اختلاطٍ، أو تلوثٍ ما بين داخل أحشاء الحيوان ولحمه وعضلاته وأجهزته المختلفة، وبذلك حققت حالةً من العقامة والنظافة الصحية تجعل من هذا اللحم شهي المنظر وسائغ الطعم، غير مؤذٍ بقدرته تعالى.

قال الثاني(1)من غير أن أسأله: لقد ثبت لي ما ثبت لزميلي وما ثبت لغيرنا.. فما إن أحضرت قطعاً من اللحم المكبَّر عليه وقطعاً من اللحم غير المكبَّر عليه كعينات، وتمت معالجتها حتى أصابني الذهول وأخذتني الدهشة، فاتصلت بالجزار، وقلت له بأني أريد أن أذهب معه شخصياً إلى المسلخ، وكان ذلك في شهر أيلول من عام (2000)، وشاهدت الخرفان المكبَّر عليها والخرفان التي لم يكبَّر عليها بأم عيني، وأحضرنا منها قطع اللحم.. واتَّسعت دهشتي لأن النتيجة كانت ذاتها.

قلت: فاذكر لي خلاصة ما رأيت.

قال: عند عمل المقاطع التشريحية ووضْعها على البلاكات بدا لون لحم الخرفان المكبَّر عليها زهريا فاتحا، أما لون اللحم غير المكبَّر عليها فكان أحمر قاتما يميل إلى الزرقة..

ثم قمت بالدراسات الجرثومية لكلا العينتين، فرأيت الجراثيم الممرضة بأعداد كبيرة في أوساط الاستنبات التي زُرعت عليها اللحوم غير المكبَّر عليها، بينما خلت اللحوم المكبَّر عليها من الجراثيم الممرضة تماماً.

ومثل ذلك رأيته بعد الفحص النسيجي، فقد رأيت وجود عدد أكبر من الكريات الحمر والبيض في الأوعية الدموية للحوم غير المكبَّر عليها.

قلت: فما علاقة هذا بالبركة؟

قال: لقد أثبت العلم الحديث أن الدم بيئة خصبة لنمو الميكروبات والجراثيم، ووجود الدم في جسم الحيوان المذبوح يساعد على نمو الميكروبات في الجسم وسرعة فساد اللحم، ووجود الدم بكثرة في أمعاء الإنسان يساعد على تكوين مركبات نشادرية تؤثر على المخ، وتحدث تغيرات مرضية قد تصل إلى حد الغيبوبة وفقدان الوعي، وهذا ما يحدث فعلاً نتيجة ابتلاع الإنسان

---

1) الدكتور فايز الحكيم، مجاز من هيئة البورد الأميركية بالباثولوجيا التشريحية والسريرية.

لكميـات كبـيرة من الـدم بسـبب نزيـف من المـري أو المعـدة أو الأمعاء.

ومن هنا كانت الحكمة البالغة في وجـوب ذكـاة الحيـوان بعـد ذبحــه، والتخلّص من الــدم الــذي يجــري في عروقــه قبــل أكلــه، والتسمية عليه قبل ذبحه حتى يصير أكله حلالاً.

قالا ذلك، ثم انصرفا كما جاءا.

الذبح:

التفت للكبش، وقلت: عــرفت ســر البركــة في التســمية، فعلمني سرا آخر من بركاتكم معشر الأنعام.

قال: أن تستحلوا دماءنا بالطريقة الـتي علمكم الشـرع، فهـو أعلم بمصالحنا منكم.

قلت: وما علاقة ذلك ببركتكم؟

قال: ألم تسمع قصة الغلام التي ذكرتها؟

قلت: تقصد قوله:(تجمـع النـاس في صـعيد واحـد وتصـلبني على جــذع، ثم خــذ ســهماً من كنــانتي، ثم ضــع الســهم في كبــد القوس)

قال: أجل.. فقد دله على الطريقة التي يمكن أن يذبح بها.

قلت: أما التسمية، فقد عـرفت سـر البركـة فيهـا.. ولكـني لا أفقه سر الذبح.. حتى إن من قومي من يشنعون عليـه، ويعتبرونـه من القسوة.

قال: يخطئون في ذلـك.. ألم يسـمعوا مـا قـال ابن الجـوزي، فقد أدرك من أسرار الألم واللذة ما لم يدركوه.

قلت: فما قال؟.. فعهدي به فطنا.

قال: لقد قال:(وأما ألم الذبح فانـه يسـتر، وقـد قيـل: أنـه لا يوجد أصـلا لأن الحسـاس للألم أغشـية الـدماغ، لأن فيـه الأعضـاء الحساسـة، ولـذلك إذا أصـابها آفـة من صـرع أو سـكتة لم يحس الإنسان بألم، فإذا قطعت الأوداج سريعا لم يصـل ألم الجسـم إلى محـل الحس، ولهـذا قـال عليـه الصـلاة والسـلام:(إذا ذبح أحـدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته)(1)

قلت: إن قــومي لا يعرفــون ابن الجــوزي.. ولا يؤمنــون بمــا يقول.. وهو في أذهانهم أقل من أن يقول.. فاذكر لي غيره.

قـال: فسـأذكر لـك مـا يقـول علمهم الـذي يعبدونـه من دون الله.. فقد توصولوا إلى أن الذبح من العنق هو أنجح وسيلة للإجهاز السريع على الحيوان بغير تعذيب ولا تمثيل، إذ أنه من الثابت علميا

---

1) تلبيس إبليس.

أن الرقبة حلقة الوصل بين الرأس وسائر الجسد، فإذا قطع الجهاز العصبي شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ، وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس.. وفي جميع هذه الحالات تنتهي الحياة سريعا.

قلت: ألا تشعرون بالألم عند ذلك؟

قال: ألم تمر في [ابتسامة الأنين] على قسم الغيبة؟

قلت: بلى.. فهل تعرفه؟

قال: كل من ذبح منا على الطريقة التي أمر الشرع بها.. وذكر اسم الله عند ذبحه يصيبه من الوجد والإيمان ما يجعله يقدم نفسه لله راضيا مسرورا سعيدا.

قلت: فهل لذلك علاقة بالصحة.. فنحن في قسم البركة؟

قال: أجل.. ألا ترى الحركات العنيفة التي نقوم بها بعد ذبحنا؟

قلت: أتألم لذلك كثيرا.

قال: لا تتألم.. وانظر إلينا بنظر الإيمان.. إن تلك الحركات نهدف بها إلى طرد كمية كبيرة من الدم خارج أجسامنا.

قلت: لم؟

قال: لأن الدم هو المجرى الذي تلقى فيه مواد الأيض أو التمثيل الغذائي كلها، ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ.. والكائنات المتطفلة في الجسم تفرز سمومها في الدم ناهيك عن وجودها في الدورة الدموية في بعض مراحل تطورها.. ولهذا حرم الشرع الدم.

قلت: أعلم ذلك.. وقد علمت سر ذلك في حصون العافية.. ولكني أريد أن أسألك عن أمر يفعله بعض قومي.

قال: وما يفعلون؟

قلت: يصعقونكم بتيار كهربائي قبل الذبح.

قال: رأيت ذلك.. وهم يعذبوننا بذلك عذابا عظيما.. لم يتفننون في تعذيبنا؟

قلت: هم يزعمون أنهم يرحمونكم.

قال: هم يعذبوننا، فنخرج من الدنيا من غير أن نسمع ذكر الله.. ثم يعذبون أنفسهم بتعذيبنا حيث تبقى دماؤنا الملوثة في أجسامنا ليأكلوها بعد ذلك ممحوقة البركة.

قلت: فاذكر لي من فوائد ذبحكم ما أقنع به قومي.

قال: فوائد ذبحنا كثيرة.. فقطع الودجين أثناء عملية الذبح يؤدي إلى نزف أكبر كمية ممكنة من الدماء في أقل وقت ممكن؛

حيث تنزف الذبيحة ما يقرب من ثلثي كمية الدم الموجودة في جسم الحيوان. ويعتبر التخلص من الدم أمرا بالغ الأهمية حيث إنه يعتبر أفضل وسط لتكاثر الميكروبات والكائنات الدقيقة، علاوة على ما يسببه من تبقع باللحم وإفساد للمظهر.

وفي قطع السباتي، وهو متصل مباشرة بالودجين من الناحية الداخلية، وقطعه يتسبب في عدم وصول الدم إلى المخ وإلى الأطراف الأمامية، ومن ثم إلى سرعة الوفاة وإعاقة مراكز الإحساس بالألم المركزية في المخ بسبب عدم وصول الدم إليها.

ويؤدي قطع القصبة الهوائية بالذبح إلى عدم وصول الهواء إلى الرئة؛ لأن ضغط الهواء داخل الرئة يكون مساويا للضغط الجوي الخارجي، في هذه الأثناء يحاول الحيوان التنفس من الأنف، ولكن الأكسجين أيضا لا يصل إلى الجسم فيساعد ذلك في سرعة الوفاة. ويساعد وضع رقبة الحيوان إلى الخلف في إتمام عملية قطع القصبة الهوائية بإتقان، ويشتمل منع سحب الدماء بواسطة السبابتين فتحدث الوفاة سريعًا وتفقد الذبيحة الوعي خلال ثوان معدودة.

ويؤدي قطع المريء إلى نزول إفرازات المعدة إلى الخارج بدلاً من ارتجاعها إلى القصبة الهوائية عبر المريء كرد فعل طبيعي أثناء الموت في حالة عدم الذبح؛ حيث أن دخولها إلى القصبة الهوائية يؤدي لدخول فضلات الطعام إلى الرئة والتي لا يزال بها بقايا من هواء؛ وهو ما يؤدي إلى نمو البكتيريا في هذا العضو الحساس بعد الوفاة مباشرة.

أما العضلات فتستمر في العمل لعدة ثوان بعد الذبح، وربما دقائق؛ وهو ما يؤدي إلى استمرار دفع الدم من العضلات إلى خارجها عن طريق الانقباضات، ودفعه أيضا خارج الأوعية الدموية الفرعية إلى الأوعية الأساسية ومن ثم إلى الودجين المقطوعين.. وهي تؤدي إلى نقص كمية الدماء الموجودة في العضلات بكميات كبيرة وتقليل الدم؛ الوسط المساعد للنمو البكتيري في الذبيحة.

الأدب:

قلت: فحدثني عن الأدب.

قال: أول أدب تحتاجون إلى تعلمه هو أن تتعاملوا معنا باعتبارنا من مخلوقات الله، فتحترمونا، وتقدرونا حق قدرنا، ولا تتلاعبوا بأرواحنا التي جعل الله بين أيديكم.

قلت: أجل.. إني أقف موقف الحياء منك.. وأنا أرى قومي يتعاملون معكم بتلك العنصرية التي تمتلئ كبرا وظلما.

قال: إنهم لم يسمعوا لأصوات الهدى التي تحـذر من عـواقب ظلمنا.. لم يسمعوا إلى الرحمة المهداة ﷺ، وهو يدعو إلى الرحمة بالكائنات، ومحبتها في الله، وأخذ ما يؤخذ منها باسم الله.

قلت: أجل.. فقد كان ﷺ شديدا في هذا الباب.. فقد نهى عن التمثيل بالبهائم، فقال:(لعن الله من يمثل بالبهائم)(1)

ونهى أن صـيد الحيـوان أو قتلـه لغـير غـرض، فقـال ﷺ:(لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا)(2)

قال: بل إنه ﷺ علمكم الكيفية المثلى للاستفادة من الحيوان مع عدم إيذائه ما أمكن، فقد رأى رسول الله ﷺ رجلا أضـجع شـاة وهـو يحـد شـفرته، فقـال النـبي ﷺ:(أتريـد أن تميتهـا موتـات، هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها)(3)

ومر رسول الله ﷺ برجل وهو يجر شاة بأذنها، فقـال رسـول الله ﷺ:(دع أذنها وخذ بسالفتها)والسالفة مقدم العنق.

ونهى ﷺ عن شريطة الشيطان، وهي التي تذبح وتقطع الجلد ولا تفري الأوداج.

وقـد اعتـبر ﷺ ذلـك من الإحسـان، فقـال ﷺ:(إن اللـه كتب الإحسـان على كـل شـيء فـإذا قتلتم فأحسـنوا القتلـة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(4)

وقـد كـان أهـل الجاهليـة يجبـون أسـنمة الإبـل، وهي حيـة، ويقطعـون أليـات الغنم، وكـان في ذلـك تعـذيب لهـذه الحيوانـات، فحال النبي ﷺ بينهم وبين مقصودهم، فحرم الانتفاع بهذه الأجـزاء، فقال:(ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة)

قلت: هذا أدب ذبحكم.. فهل هناك آداب أخرى؟

قال: كثيرة.. قل لقومك يدعونا لمـراعي اللـه.. ولا يطعموننـا السموم التي يطعموننا بها، فإنها ستنقلب عليهم.. فمن حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

قلت: وهل يطعمونكم سموما؟

قـال: من كـل ألـوان السـموم يطعموننـا.. وقـد نجـاني اللـه فهمت على نفسي في أرض اللـه، حـتى وقعت بين يـدي ولي من أولياء الله، فر بدينه، فكان يرعاني ويطعمني طعام السلام.

قلت: فحدثني عن أطعمة الصراع.

قال: عندما تذهب إلى:(أدوية الأرض) سيأتي من يحدثك عن

---

1) أحمد والطبراني في الكبير.
2) أحمد والترمذي والنسائي.
3) الطبراني والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.
4) مسلم.

أطعمة الصراع.

الاعتدال:

قلت: فحدثني عن الاعتدال.

قال: لقد سمعت بعض إخوانكم من تلاميذ الماكروبيوتيك ينفرون منا، ويزعمون أننا من أغذية اليانج المتطرفة.

قلت: سمعت بهذا.. ولو أني لم أفهم ما يقصدون.

قال: ستلقاهم في أدوية الأرض ليشرحوا لك مقصودهم.

قلت: فهل هم مصيبون أم مخطئون؟

قال: هم مصيبون ومخطئون.

قلت: كيف ذلك؟

قال: إن أرادوا ما يفعله قومك من التعامل معنا، فهم مصيبون كل الإصابة، وإن أرادوا ما يفعله الصالحون، فهم مخطئون كل الخطأ.

قلت: أفعل واحد يتعاقب عليه الصواب والخطأ؟

قال: إذا أكلونا باسم الله، وباعتدال لا إسراف فيه ولا غلو، فنحن من الطعام المبارك.. ألم يجعلنا الله من أطعمة أهل الجنة اللذيذة، فقال تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الطور:22)، وقال تعالى: ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾(الواقعة:21)

وأخبر ﷺ بأننا سادة الطعام، فقال:(سيد طعام أهل الدنيا، وأهل الجنة اللحم)(1)، وقال:(خير الإدام في الدنيا والآخرة اللحم)(2)

وقد عرف الأولياء فضلنا، فقال علي بن أبي طالب:(كلوا اللحم فإنة يصفي اللون ويخمص البطن، ويحسن الخلق)، وكان يقول:(من تركه أربعين ليلة ساء خلقه)

قلت: وهل يخطئ قومي في التعامل معكم؟

قال: أجل.. لقد أطعمنا الله قضبا(3) وأبا، فأطعمنا سموما.. فذهب ذلك بعقولنا، ويوشك أن يذهب بعقولكم.

قلت: ما الأب؟

قال: الأب هو فاكهتنا.. ألم تسمع قول ترجمان القرآن: الفاكهة كل ما أكل رطباً، والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم.

قلت: فهل لك دليل من النص غير ما ذكرت من النقل؟

---

1) ابن ماجه.

2) ابن ماجه.

3) القضب الوارد في قوله تعالى:﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً﴾(عبس: 27 ـ 28)هو ـ كما قال ذلك ابن عباس ـ الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها القت أيضاً.

قال: أجل، فقد قال تعالى بعدها: مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (عبس:32).. وإليك دليلا آخر، ألم تسمع قوله ﷺ:(دواء عرق النسا(4) ألية شاة أعرابية تذاب، ثم تجزأ ثلاثة أجزاء، ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزء).. ألا تلاحظ أن رسول الله ﷺ عين شاة أعرابية؟

قلت: بلى.. وأنا متعجب من سر هذا التخصيص.

قال: لقد ذكر بعضهم علة ذلك، فقال:(وفى تعيينِ الشاةِ الأعرابيةِ لقِلة فضولِها، وصِغر مقدارِها، ولُطف جوهرها، وخاصيَّة مرعاها لأنها ترعى أعشابَ البَرِّ الحارةَ، كالشِّيح، والقَيْصُوم، ونحوهما، وهذه النباتاتُ إذا تغذَّى بها الحيوانُ، صار فى لحمه من طبعِها بعد أن يُلَطِّفَها تغذيةً بها، ويُكسبَها مزاجاً ألطَفَ منها، ولا سيما الألية)

قلت: فهمت هذ.. ولكن هل يخالف قومي هذا؟

قال: ستذهب إلى تلاميذ الماكروبيتويك ليخبروك ما يطعمنا قومك.

قلت: فهم صادقون في هذا إذن.

قال: كل الصدق.. ولا جناح عليكم أن تتبعوهم في هذا.

قلت: أنحرم ما أحل الله؟

قال: إذا صارت لحومنا سموما لم يبق خلاف في حرمتها.. ألا تعرف الجلالة؟

قلت: بلى.. وقد علمت تحريمها.

قال: وفي ذلك دليل على أن الحرمة لها علاقة كبيرة بنوع غذائنا.

قلت: ولكن فقهاء قومي يكتفون بذبحكم على الطريقة الإسلامية.

قال: لا ينبغي أن يكتفوا بذلك.. بل ينبغي أن يذهبوا إلى المراعي.. ليرونا هل نأكل على الطريقة الإسلامية.

قلت: وهل في الأكل طريقة إسلامية؟

قال: أجل.. فقد خلقنا الله نأكل حشيشا لا سموما.

قلت: قد سمعت بعض السلف ينهى عنك..

قال: بلى.. ولكنه لا يحرم ما أحل الله.. وإنما ينهى عن المبالغة فيه.

قلت: هذا صحيح، فمع أن للحم فوائده الصحية، باعتباره

---

4) عِرْقُ النَّسَاء: وجعٌ يبتدىءُ مِن مَفْصِلِ الوَرِك، وينزل مِن خلفٍ على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدتُه، زاد نزولُه، وتُهزَلُ معه الرجلُ والفَخِذُ.

مصدرا مهما من مصادر البروتين إلا أنه ينقلب نتيجة الإسـراف في تناوله إلى عواقب مضرة بالصحة.. وأعرف من قـومي من اعترتـه الأدواء وفتكت به من أجل قرمـه الشـديد اللحم.. فهـو يأكلـه كمـا تأكله الأسود والنمور.

قال: أولئك هم القساة.. فاحذر منهم.. واحـذر منهم.. واحـذر منهم..

وبقي يرددها إلى أن غاب في الأفق البعيد.

رابعا ـ مشافي البركة

لسـت أدري، هـل اسـتفقت من حلم جميـل، أم أنـني رحلت حقيقة إلى تلك العوالم الجميلة.. ولكني عدت لأرى متوسم الغـذاء بجانبي، وقد رفع يده عن صدري، وهـو يقـول: كيـف اسـتقبلتك؟.. وهل علمتك؟

قلت: نعم الاستقبال.. وخير التعليم.. فبورك فيها.. فما أعظم أدبها.. وما أكثر علومها.

قال: كل أكوان اللـه تنعم بمـا رأيت من أدب، لأنهـا لا تعـرف الصراع.. ولأن قلوبها لا تزال على الفطرة.

قلت: فحدثني عن سر رحلتي.. أهي حلم جميل حلمتـه؟.. أم هي..

قال: دعك من هذه الأسئلة.. فلا ينبغي أن تسأل عما لا تطيق فهمه.

قلت: صدقت.. فقد عرفت نفسي.. ومن عرف نفسه تواضع وتذلل.

قال: لا بأس عليك.. فستكمل رحلتـك في مدرسـة السـلام.. لتفقه هذا وغيره.. فلا تعجل.

قلت: والآن.. لم يبق لي من هذا القسـم إلا مشـافي البركـة، فكيف أزورها؟

دخل معلم البركة، وهو يقول: هيا.. فمشافي البركة تنتظرك.

قلت: هل سنذهب إلى المشافي.. فإني متلهف لزيارتها؟

قال: أجل..

خرجنـا من مخـزن الغـذاء.. وكـانت عيـني تتلفت إلى أنـواع الأغذية المباركة، فتراها تبتسم وتودعني، وكنت أبادلهـا كـل ذلـك.. وقـد حمـدت اللـه على أني لم أكن في أرض الصـراع، فلـو قمت بمثل ذلك فيها لرمي عقلي، ولرماني الأطفال بالحارة.

فجـأة رأيت مبـنى جميـل قـد كتب عليـه قولـه ﷺ:(إن اللـه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له الشفاء إلا الهرم)(1)

دخلنا المشفى المختص بالأدوية المباركة، فرأيت أنواعا كثيرة من الأدوية المحفوظة كما هي من غير أي تبديل أو تغيير فيها.

قلت لمعلم البركة: ألا تستخلصون من أدوية البركة ما ترونـه من أنواع العلاج؟

---

1) الحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبي.

قال: لا.. ألم تعلم بأنا نتعامل مع الدواء كما نتعامل مع الكائن الحي.. ولذلك نرى أن كل تغيير له قد يؤدي إلى قتله ونزع البركة منه.

قلت: فما فائدة وجود الخبراء إذن.. وما الفرق بينهم وبين العامة؟

قال: فائدة الخبراء هو البحث عن أسرار الشفاء في الألوان والأصناف.

قلت: لم أفهم قصدك.

قال: سأضرب لك مثالا بما يخرج من بطون النحل.

قلت: تقصد العسل.. لقد أخبر الله تعالى أنه شفاء، فقال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(النحل:69)

قال: لقد ذكر الله تعالى في هاتين الآيتين اعتبار ما يخرج من بطون النحل شفاء مطلقا.. وهو يدل على أنه شفاء من كل داء.. ولكنه حدد مواصفات لذلك يكمن في البحث عنها دور الخبراء.

قلت: مثل ماذا؟

قال: فقد ذكر المواطن التي ينبغي أن تعيش فيها النحل.. والمآكل التي ينبغي أن تأكلها.

قلت: ألهذا علاقة بالشفاء؟

قال: أجل.. ألم يقل الله تعالى لها: ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

قلت: إن من قومي من يطعمونها السكر..

قال: أيريدون أن يجنو من الشوك العنب.. إن النحل لا يعطي إلا ما يأخذ.. فهل تعطيه مزيفا، وتريد أن يعطيك خالصا؟

قلت: فكيف يتعامل العلماء هنا مع هذا الشرط؟

قال: لقد جعلوا في مخابر التجريب ثمرات مختلفة جلبوها من أنحاء العالم، ثم جربوا تأثير تغذية النحل بها في نوع العسل، ثم جربوه على المرضى بالأمراض المختلفة.

قلت: وهل رأوا تأثير ذلك؟

قال: أجل.. وقد حددوا لكل مرض من الأمراض نوعا خاصا.. ومدة استعمال خاصة.

قلت: وأصحاب الصيدليات عندكم ماذا يفعلون؟

قال: هم يربون الأنواع المختلفة ليعالجوا بها الأدواء المختلفة.

قلت: فالصيادلة عندكم مربو نحل؟
قال: لا.. ليسوا مربـو نحـل فقـط.. بـل هنـاك أدويـة أخـرى.. ستراها.. وما ذكرته لك مجرد مثال.
قلت:..
قال: والله تعالى ذكر في الآية أنه يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ، فلم يسم ما يخرج من بطونهـا عسـلا.. وفي ذلـك دلالة على أن العلاج يشمل كل مـا يخـرج من بطونهـا سـواء كـان عسلا أو غيره.
قلت:..
قال: ثم ذكر الألوان المختلفة، وهـو دليـل على أن لهـا تـأثيرا في الشفاء.. وفي انواع الشفاء.
قلت: فهمت هــذا ووعيتــه.. فكيــف نتعــرف على مشــافي البركة؟
قال: سترحل إليها كما رحلت في مخزن البركة.
قلت: وأين متوسم البركة ليضع يده على صدري.
ضحك، وقـال: لا.. لن تحتـاج إلى ذلـك.. تلـك كـانت البدايـة.. وكنت تحتـاج إلى مـدد من البركـات.. أمـا لآن.. فقـد صـارت لـك القدرة بحمد الله على سماع أصوات الكائنات.
قلت: فماذا أفعل حتى أسمع أصواتها.
قــال: تعــال.. اجلس.. واســترخ تحت ظــل هــذه الشــجرة المباركة.. وستأتيك أنواع الأدوية المباركة لتخبرك عن بركاتها.
قلت: وأنت..
قال: ستجدني بجانبك.. كلما احتجت إلي..

العسل

كان المكان جميلا، تفوح فيه الـروائح العطـرة، وتغـرد بجانبـه أصوات العنادل، وكـان البسـاط الـذي اتكـأت عليـه لا يختلـف عن بساط الريح الذي سمعت حديثه في الأساطير، فقـد كـان يرفـرف بي، وكأني أسبح في النسيم العليل.
فجأة طنت بجانب أذني نحلة، فاهتززت لطنينها، وحملت يدي أريد أن أبطش بها، فصاحت: ما الذي تفعله يا رجل؟
قلت: من الذي أرسلك إلي لتكدير صفوي؟
قـالت: أنـا لم يرسـلني اللـه لأكـدر صـفو أحـد، بـل أرسـلني لمــداواة الآلام وغســل الجــراح.. أرســلني لأبعث الابتســامة في الحناجر المملوءة أنينا.

قلت: ولكن اللــه أمــرك أن تتخــذي من الجبــال بيوتــا ومن الشجر، ولم يرسلك إلى جلدي وأذني.
قالت: لا.. أنا كلي علاج حتى قرصـتي الـتي تخـاف منهـا دواء وشفاء.
قلت: قرصك يؤلمني.. وقبل ذلك يخيفني.
قالت: ولكنه يشفيك ويعافيـك.. قـل لي: أيهمـا أعظم بركـة: تلك الحقنة الـتي تملؤونهـا سـموما، ثم تحقنـون بهـا أجسـادكم، أو قرصتي المباركة التي تفوح بأنوار الشفاء، وبركات العافية.
قلت: لا أستطيع أن أجيبك الآن.. فأنا لم أجلس هـذا المجلس لأتحدث.
قالت: فلم جلست إذن؟
قلت: جلست كما يجلس المتوسمون لأسمع بركات الشفاء.
قالت: ومن يعلمك بركات الشفاء؟
قلت: اسـكتي.. ألم تعلمي بـأن اللـه رزقـني سـماع أصـوات الكائنات؟.. وقد سمعت في مخـزن الأغذيـة المباركـة مـا ينقضـي دونه العجب.
قالت: وماذا تريد أن تسمع هنا؟
قلت: أريـد أن أسـمع أصـوات الأدويـة المباركـة، وقـد كـدت أسمعها لولا أن جئت لتكدري صفوي.
قالت: أنا لم آت لأكدر صفوك.. بـل أنـا رسـول معلم البركـة إليك لأعرفك على مصانع الشفاء التي كلفني الله بإدراتها.
قلت: أنت لم تأتي إلي صدفة إذن.
قالت: لا وجود للصدفة في الكون ألم تقرأ (أسرار الأقدار)؟
قلت: لم أرحل إليها بعد، فتلك في المرحلة الجامعيـة، وأنـا لا أزال تلميذا في المدرسة الابتدائية.
قالت: إذن سأحاول أن أبسط في حديثي معك بقدر الإمكان.
قلت: هل تحتقرين كفاءتي لهذه الدرجة؟
قـالت: أنـا لا أحتقـرك، ولكـني نهيت أن أحـدث النـاس على خلاف ما تستطيعه عقولهم.
قلت: فحدثيني عن أسرار بركاتك.
قالت: سأبدأ بالشراب المبارك، والذي تسمونه العسل.
قلت: وهل هناك غيره؟
قالت: أجل.. وسنرجئ الحديث عنه إلى آخر الجلسة.
قلت: فحدثيني عن العسل.

بركات التكوين:

قالت: يتركب العسل من مواد مختلفة كلها بركات.. أولها مـا تسـمونه الغلوكـوز، أو سـكر العنب، وهـو يوجـد في بنسـبة 75 بالمائة.. وأساس اختيـاري لهـذا النـوع من السـكر هـو أنـه السـكر الأساسـي الـذي تسـمح جـدران الأمعـاء بمـروره إلى الـدم.. على عكس بقية الأنواع من السكاكر، وخاصة السـكر الأبيض المعـروف بسكر القصب، والذي يتطلب من جهازكم الهضمي إجراء عمليـات متعددة من التفاعلات الكيماوية، والاستقلابات الأساسية، حـتى تتم عملية تحويله إلى سكاكر بسيطة أحادية كالغلوكوز.

قلت: فأنت تستعملين هذا كمسوغ إذن..

قالت: لا.. لا أستعمله مسوغا فقط.. ألا تعلم أن عسلي غـذاء وشفاء.. فسكري الذي حدثتك عنـه ليس سـهل الامتصـاص فقـط، بل هو بالإضافة إلى ذلك سهل الادخار.. فهو يتجـه بعـد الامتصـاص مباشرة إلى الكبد، ليتحول إلى غلوكـوجين، يتم ادخـاره فيـه لحين الحاجة.. فإن دعت الضرورة لاستخدامه يعاد إلى أصله ليسـير مـع الدم، فيغذي الجسم بما يحتاج من طاقة.

قلت: مهما يكن، فإن ما لدينا من السكر يغني عن سكرك.

قالت: لا تقل هذا.. فلا يمكن لك أن تقارن سكري بما لـديكم من السكر.. فتمثل سـكري في الجسـم سـهل وسـريع.. ولا يضـر سكري الكلى، ولا يسـبب تلـف أنسـجتها.. ويـزود سـكري بـأعظم وحدات النشاط بأقـل صـدمة للجهـاز الهضـمي(1).. ولا يسـبب أي اضطرابات في الأغشية الرقيقة للقناة الهضمية.

وفوق ذلك، فإن تناول كميات كبـيرة من عسـلي بـدلاً من أي مادة حلوة ثانية لا يحدث أي ضرر للجسم، بـل تجـد أن النفـع منـه أكيد.

قلت: عرفت هذا المكون من مكونات العسل.. فحدثيني عن سائر المكونات.

قالت: عسلي يتكون من مواد كثيرة، منها ما عرف، ومنها مـا لا يزال في طي النسـيان، فممـا عـرف: بعض الأحمـاض العضـوية وكميـة قليلـة من البروتينيـات، وكميـة لا بـأس بهـا من الخمـائر الضرورية لتنشيط تفاعلات الاستقلال في الجسم، وتمثيل الغذاء.

قلت: وما هذه الخمائر؟.. وما فائدتها؟

قالت: منها خميرة الأميلاز، وهي الخميرة التي تحـول النشـاء الذي في الخبز ومختلف المـواد النشـوية، إلى سـكر عنب.. ومنهـا

---

1) من الملاحظ أن القيمة الحرارية للعسل مرتفعة جداً، لاحتوائه على الغلوكوز.. و قد ثبت أن كيلوغراماً واحداً من العسل يعطي 3150حريرة.

خميرة الأنفزتاز: وهي التي تحول سكر القصب إلى سكاكر أحادية يمكن امتصاصـــها في الجســـم.. ومنهـــا خميرتـــا الكاتـــالاز والبيروكسيداز: وهمـا ضـروريتان في عمليـات الأكسـدة والإرجـاع التي في الجسم.. ومنها خميرة الليباز: وهي الخاصة بهضم الدسم والمواد الشحمية..

قلت: بورك في خمائرك.. فحدثيني عن أملاحكم، فـإني أعلم ما لها من تأثير على الصحة.

قـالت: أملاح عسـلي المعدنيـة قليلـة، فهي تشـكل نسـبة 0.018 بالمائة من مكوناته، وعلى الـرغم من ضـآلة نسـبتها، فـإن لها أهمية كبرى، بحيث تجعل العسل غذاء ذا تفاعل قلوي.. مقاوماً للحموضة.. وله أهمية كبرى في معالجة أمـراض الجهـاز الهضـمي المترافقة بزيادة كبيرة في الحموضة والقرحة.

ومن أهم العناصـر المعدنيـة الـتي في العسـل: البوتاسـيوم والكبريت والكالسيوم والصوديوم والفوسفور والمنغزيوم والحديـد والمنغنيز.. وكلها عناصر معدنية ضرورية لعملية بناء أنسجة الجسم الإنساني وتركيبها.

قلت: والفيتامنيات تلك المركبات المملوءة بأسرار الحياة؟

قـالت: في عسـلي كميـات قليلـة من الفيتامينـات الـتي لهـا وظائف حيوية مهمـة: فمنهـا فيتـامين ب1، ولـه دور أساسـي في عمليات التمثيل الغذائي داخل الجسـم، ولا سـيما بالنسـبة للجملـة العصـبية.. ومنهـا فيتـامين ب 2، وهـو يـدخل في تـركيب الخمـائر المختلفة التي تفرزها الغدد في الجسم.. ومنها فيتـامين ب3 وهـو فيتامين مضاد لالتهابات الجد.. ومنها فيتـامين ب5، ومنهـا فيتـامين بث: المضـاد الـنزيف.. ومنهـا فيتـامين ج: بنسـبة 50 ملـغ لكـل كيلوغرام وله دوره في مناعة الجسم ومقاومته للأمراض.. ومنها..

قلت: وممم يتكون عسلك أيضا؟

قالت: من حبيبات غروية وزيوت طيارة، تعطيه رائحة وطعماً خاصاً.. ومنها مواد ملونة تعطيه لونه الجميل.

قلت: أهذا ما تتركبين منه.. إن كل ما ذكرت يوجـد في سـائر الأغذية.. وقد يوجد بكميات أوفر.

قـالت: لا.. توجـد مكونـات أخـرى لم تعرفوهـا.. ولعلـك لم تستوعب ما قال لك معلم البركة.

قلت: وما قال؟

قالت: ألم يقل لك: إن الشأن ليس في المكونات، بل الشأن في البركة.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: ألا تجد في المعارك الجندي القصير النحيف يصول ويجول، بينما يرتد على عقبه الرجل العملاق الضخم.

قلت: صحيح هذا.. وقد قال الشاعر فيه:

ترى الرجلَ النحيفَ وفي أثوابِه أسد مزيرُ

ويعجبُكَ الطريرُ فيخلفُ ظنكَ الرجلُ

فما عُظْمُ الرجالِ لهم ولكن فَخْرُهُمْ كَرَمٌ

لقد عَظمَ البعيرُ بغيرِ فلم يستغنِ بالعظمِ

يصرِّفهُ الصبيُّ بكلِّ ويحبسُهُ على الخَسْفِ

بركات الشفاء:

قالت: أما إن قلت هذا.. فقد جعلني الله جنديا من جندي الشفاء.. وشرفني بما لم يشرف به أحدا من مصانع الشفاء التي تفخرون بها.

قلت: وبم شرفك؟

قالت: ألم تسمع ما ورد في من القرآن الكريم؟

قلت: بلى.. فقد قال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(النحل:69)

قالت: إن أول ما شرفني به هو الوحي الذي تمتلئ به جوارحي وكياني، فتراني أرقص جذلة، وأنا أستمع إليه.

قلت: إن قومي يفسرون الوحي الوارد في الآية بالإلهام والهداية والإرشاد.

قالت: أي إلهام يقصدون؟

قلت: الإلهام الغريزي..

قالت: أتعني أني لا أسمع شيئا.. ولا أشعر بشيء إلا أني أتحرك حركات آلية كحركات مصانعكم.

قلت: هذا ما يقصدون.

قالت: بئس ما يقولون..فليسلبوني من حياتي خير لي من أن يقولوا عني هذا.

قلت: فهل تسمعين الوحي حقيقة؟

قالت: أسمعه وأعيشه وأطرب له.. ولا أحسب أن عسلي إلا

ثمـرة مباركـة من ثمـاره.. إن عسـلي ملقح بنـور الـوحي.. مطعم بجمال الإرشاد الرباني.

قلت: ما بالك غضبت هكذا؟

قالت: كيف لا أغضـب.. وأنتم تسـلبونني أخص خصوصـياتي.. أرأيت لــو أن أحــدهم رمى حركــاتكم بالآليــة، ورمي جهــودكم بالجبرية.. أترضون بذلك؟

قلت: لا نرضى.. بل تأخذنا الحمية.

قالت: فكيف تريدون مني أن لا أغضب؟

قالت: أنت مجرد نحلة.

قـالت: أفيـك رائحـة من روائح إبليس الـذي تـاه بنـاره على طينكم.

قلت: معاذ الله.

قــالت: فلم تقــول هــذا إذن، وقــد قــال تعــالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَـا فَوْقَهَا(البقـرة:26)، وقـال تعـالى: وَمَـا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَـائِرٍ يَطِـيرُ بِجَنَاحَيْـهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ (الأنعام:38)

قلت: سلمت لكلام ربي.. فحدثيني عن أسرار الشفاء فيك.

قالت: إن بركات الوحي التي تملأ كياني تتغلغـل في جزيئـات العسل، فتملؤها بإكسير الشفاء.. فلـذلك لا يعجـز إكسـير شـفائي عن أي داء.

قلت: لـدينا أدواء كثـيرة تملأ مستشـفياتنا.. ولا نـرى لهـا من علاج.

قالت: فلم لم تجربوا العسل.. بل لم لم تداووا بالعسل.. فقد جعله الله شفاء لكل داء.

قلت: لعلهم داووا به.. فلم يفلح.

قالت: معاذ الله.. كلام الله لا يتخلف.. ألم تسـمع مـا ورد في الحديث أن رجلاً جاء إلى رسول اللّـه ﷺ فقـال: إن أخي اسـتطلق بطنه، فقال ﷺ:(اسقه عسلاً)، فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يـا رسـول اللّـه، سـقيته عسـلاً، فمـا زاده اسـتطلاقاً، قـال:(اذهب فاسقه عسلاً)، فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يـا رسـول اللّـه ما زاده إلا استطلاقاً، فقال رسول اللّه ﷺ:(صدق اللّه وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلاً)، فذهب فسقاه عسلاً فبرئ(1).

قلت: سمعت هذا الحديث كثيرا، وسمعه قومي.

قالت: سمعتموه، أم قرأتموه.

---

1) البخاري ومسلم.

قلت: سمعناه وقرأناه.. وتكلمنا به.

قالت: فماذا وجدتم؟

قلت: أما القدماء، فقالوا: كان لهذا الرجل فضلات، فلما سقاه عسلاً، وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع، فزاده إسهالاً، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع، ثم سقاه فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته ﷺ.

أما المحدثون..

قالت: فقالو:..

قلت: أهذا ما تقصدين؟

قالت: لا.. أنتم لم تسمعوا الحديث بعد، بل اكتفيتم بقراءته.

قلت: كيف هذا؟

قالت: سماعه ـ الذي هو التحقق به ــ يدلكم على المنهج الذي تستعملون به العسل شفاء لكل داء.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: أرأيت لو أن طبيبا غبيا من أطبائكم أجرى هذه التجربة على من استطلق بطنه، فسقاه عسلا.. فرأى بطنه يزيد استطلاقا ماذا سيفعل؟

قلت: سيقدم دراسة تحذر المرضى من استعمال العسل.. أو قد يوضع في أواني العسل: لا يصلح استعماله لمن يستطلق بطنه.

قال: ولكن النبي ﷺ الذي أدرك ما في قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾(النحل:69) أدرك أن الشفاء لا بد أن يتحقق، لأن كلام الله لا يتخلف.. ولذلك كان ﷺ يقول:(عليكم بالشفاءين العسل والقرآن)(1)

قلت: ولكن الخبراء عندنا يجربون(2).

---

1) ابن ماجه.

2) البحوث الحديثة لا تزال تجد كل يوم جديدا في العسل... وكمثال على التطورات المتعلقة باستعمال العسل كمضاد حيوي أنه في سنه 1937 أظهر دولد في بحثه مفعول العسل كمضاد حيوي على سبعة عشر نوعا من مختلف الميكروبات... وفي سنه 1944 ناقش بلاكي محتويات العسل التي قد يكون لها مفعول المضاد الحيوي... وفي سنه 1956 استخلص فوجل مكونات العسل، بواسطة عدة مذيبات وتوصل إلى إن المواد القاتلة للميكروبات فيه موجودة في المواد القابلة للذوبان في الأثير... وفي سنه 1958 وجدت الدراسات أن المضاد الحيوي في العسل ليس في الخمائر الموجودة فيه، وفي سنة 1958 أيضا وجد ورنك أن العسل المخفف له نفس المفعول كمضاد حيوي وانه قد يكون ذلك بسبب خميرة الانفرتيز بالعسل.... وفي سنه 1960 قال ستومغاري أن تلك المادة في العسل غير معروفة وناقش كل من ستنسون سنة 1960 وجوناشن سنة

قـالت: هم يجربـون بعض التجـارب.. لا كـل التجـارب.. هم يجربـون على الفـئران، والفـئران ليسـت بشـرا(3).. وهم يجربـون بلـون من ألـوان العسـل، والعسـل ألـوان متعـددة.. وهم يجربـون بعسل مستنتج من غذاء معين، والأغذية كثيرة، ووفق ذلك يجربون ذلك بكميات معينة ومدد محددة..

أجبني: ألا يتطلب وصول تأثير بعض الأدوية عندكم شهورا؟

قلت: من الأدوية ما يحتاج استعماله سنوات.

قالت: فكيف تطلبون من ملعقة عسل واحدة أن تقضي على جميع عللكم.. وبين عشية وضحاها.

قلت: كل ما ذكرته صحيح.. ولكنه ليس سوى اسـتنتاجات.. لا حقائق.. ونحن لا نسلم إلا للحقائق التي دلت عليها التجارب.

قالت: أما إن قلت هذا.. فسأدلك على رجـل من أهـل اللـه.. استطاع أن يعالج بعسلي بعض الأدواء التي تملأ قلوبكم بالمخافة.

قلت: من؟

قالت: ها هو ذا أمامك.

التفت، فرأيت صاحب لحية طويلة، يظهر من هندامه أنه بعيد كل البعد عن الحضارة وما تتزين به، قال لي مفاجئـا: لا تنظـر إلى لحيتي وثيابي..فالإنسان ليس لحية ولا ثيابا.

قلت: زعمت هـذه النحلـة أنـك قـد توصـلت إلى علاج الأدواء الخطيرة بالعسل.

قال: أجل.. أنا أعيش في أدغال إفريقيـة.. وقـد أصـاب بعض إخواني هذا الداء الخطير الذي تسمونه فقدان المناعة المكتسـبة.. وقد كان عفيفـا طـاهرا.. ولكن بعض المجـرمين من ذوي البشـرة البيضاء حقنوه به، وهم يزعمون أنهم يعالجونه لألم أصاب ضرسه.

قلت: فما فعلت؟

1963 المادة القاتلة للميكروبات بالعسل، وافترضوا أن تكون في حامض الجليكونيـك أو في فوق اكسيد الهيدروجين... وفي سنه1970- وجـد كافانـاج في دراسـة على مريضـة عملت لها عمليات استئصال الرحم أن استعمال العسل موضعيا على الجرح يجعله خاليـا من الميكروبات بين 3 إلي 6 أيام فقط، وان الالتئام يحدث بعد أسبوعين في المتوسط.

3) في الطب المتـداول تتم تجربـة الـدواء على الحيوانـات بحقنهـا بمـواد تصـيبها بـالمرض، ثم تحقن بالـدواء لمعرفـة مـدى فعاليتـه بعـد ذلـك يطـرح الـدواء الجديـد في السوق. وهذه طريقة ناقصة إن لم تكن خطـا تمامـاً. فالحيوانـات تختلـف فزيولوجيـاً عن الإنسان، كما أنها لا تستطيع الكلام لتخبرنا عما تحس بـه عنـد أخـذ الـدواء. وقـد وجـد أن الفئران، وهي من أهم الحيوانات وأكثرها استعمالاً في هـذا المجـال، تتـأثر بـالمواد الـتي تحقن بهـا بدرجـة تختلـف كثـيراً جـداً عن تـأثر الإنسـان بهـا. وهـذا يعـني أن مـا يحسـبه المصنعون فتحا جديـداً في علاج المـرض الفلاني لا يعـدو كونـه وهمـا، لأنّ أثـره العلاجي على الإنسان سيكون مختلفاً. هذا ناهيـك عن الآثـار الجانبيـة الـتي سـتكون مختلفـة هي الأخرى. انظر: الطب البديل.

قال: لقد سمعت ما أوحى الله تعالى به إلى النحـل.. فـرحت إلى بعض الأدغال، وأخـذت أجـرب الأنـواع المختلفـة من العسـل.. وبالمقادير المختلفة إلى أن وصلت إلى التركيبة التي لا يقـوم لهـذا المرض معها قائمة.

قلت: فلم لم تكتـف بشـراء العسـل بـدل إرهـاق نفسـك بالذهاب إلى الأدغال؟

قال: فعلت ذلك لسببين.. أما أحدهما، فلعدم ثقتي فيمـا يبـاع من عسـل.. فهم يطعمونـه سـمومهم، وأمـا الثـاني، فليقيـني أن العسل ابن ما يأكله كما أن الدواء ابن العناصر التي يتكون منها.

قلت: أتقصد أن النحل مصنع من مصانع الدواء؟

قال: أجل.. هو مصنع يقوم بتحليل ما يأكله ليصنع منه إكسـير العلاج.. فلذلك تختلف أنواع العسل باختلاف تغذية النحل.

قلت: فنلرجع إلى أخيك.. فهل شفي؟

قـال: شـفي شـفاء تامـا بحمـد اللـه.. وقـد أجـرى لـه بعض المتوسمين تحاليـل خاصـة، فوجـده قـد عـوفي عافيـة تامـة.. بـل اكتسب فوق ذلك من الصحة ما كان غائبا عنه.

قلت: فهل عدت وجربيته على غيره؟

قال: جربته على كثيرين.. وكلهم بحمد الله شفوا.

قلت: فهل تصف لي نوع التركيبة العسلية الـتي اسـتخدمتها.. أم أنك تحتفظ بها سرا.

قال: انا لا أحتفظ بها.. ومعاذا الله أن أكتم مـا علمـني اللـه.. ولكنه لم يؤذن لي في نشرها في الوقت الحالي.

قلت: لم؟

قال: لقد جعل الله هـذا الـداء من الأدواء الـتي نـزلت عقوبـة على عباده بسبب إفـراطهم في الانحـراف.. ولم يـأذن اللـه لهـذه العقوبة أن ترفع بعد.

قلت: فهل نسكت عن البحث عن علاجها؟

قـال: لا.. ابحثـوا كمـا تشـاءون.. وسـتجدون قريبـا دواءهـا.. وسـتجدون للعسـل من ذلـك لحـظ الأوفى.. ولكن اعلمـوا أنكم ستبتلون بغـير هـذا الـداء.. ولعلـه أخطـر منـه إن ظللتم على هـذا الانحراف.. فهذه سنة الله.. وسنته لا تتخلف.

قلت: فهل وجدت علاجا لأدواء أخرى؟

قال: أنا الآن بصـدد البحث عن علاج يشـفي من جميـع أنـواع السرطان.

قلت: هذا مهم جدا.. فهل توصلت إليه.

قال: توصلت إلى تركيبة عسلية تجعل من الأورام الخبيثة أوراما طيبة لا تؤذي صاحبها.. ولكني لم أكتف بذلك.. بل أريد أن يفتح الله علي باستئصالها تماما.

قلت: ذلك يستدعي عمليات جراحية.

قال: أنا من جهة لا تؤمن بهذه العمليات.. فلذلك نرمم ما يحتاج إلى الترميم من غير عمليات.

قلت: فدلني على ذلك..

قال: لم يأذن لي معلم البركات ولا معلم السلام في تعليمك هذه العلوم.

قلت: لم؟..

قال: لكل شيء أهله.. ولست من أهل هذا الباب.

قلت: فلم أخبرتموني؟

قال: إدراك الحقائق يستدعي هذه المعارف.. أما التفاصيل.. فتعرف عند أهلها.

قلت: ألا تأذنون لي في العلاج بالعسل؟

قال: لا نأذن لك ولا لغيرك ممن لم يؤته الله الفهم في هذا الباب.

أردت أن أحدثه فإذا به يهم بالانصراف، قلت: إلى أين.. فالحديث معك متعة لا تدانيها متعة.

قال: النحل في انتظاري.. وقد قدمت لهم اليوم طعاما خاصا لأنظر نوع العسل الذي يقدومه لي.. ثم نوع الشفاء الذي يجعله الله فيه.

وقد سمعت اليوم من بعض الصالحين حديثا، أريد أن أطبقة في العلاج.

قلت: وما سمعت؟

قال: سمعته ﷺ وهو يقول:(من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء)(1)

انصرف.. فعادت النحلة، تقول: هذا مثال واحد.. وأعرف من أمثاله الكثير ممن آتاهم الله الفهم عنه.

قلت: إن ما ذكره الشيخ دلني على مناهج جديدة يمكن استعمالها في الطب.. فنحن مقصرون جدا في استعمال العسل وفي البحث عن أسراره.

قالت: لأن شركات الأدوية هي التي تتحكم في صحتكم.. وهي لا يهمها من صحتكم إلا ما يملأ جيوبها.

---

1) ابن ماجة.

قلت: ولكن العسل غال..

قالت: هو أرخص بكثير من الأدوية التي تملؤكم سموما.. ثم إن مصدر غلائه هو تقصيركم فيه.. ولو أحسنتم تربيته ووفرتم الجو الملائم له لاستغنيتكم عن السكر المملوء بالسموم واستعملتم العسل.. ليكون لكم دواء وغذاء.

قلت: وعيت هذا.. فعودي بي إلى أرض قومي ومعاملهم، وأخبريني عما اكتشفوا في عسلك من أسرار الشفاء.

قالت: لقد اكتشفوا الكثير مما لا يمكن حصره، وسأكتفي بذكر ما تمس الحاجة إليه.

قلت: فاذكريه بورك فيك.

قالت: أولا.. من أهم خواص عسلي أنه وسط غير صالح لنمو البكتيريات الجرثومية والفطريات.. ولذلك فهو قاتل للجراثيم، مبيد لها أينما وجدت..

قلت: ولكني سمعت شائعة في الولايات المتحدة منذ ثلاثين سنة تنص على أن العسل ينقل الجراثيم، كما ينقلها الحليب بالتلوث.

قالت: تلك شائعة أشاعها المجرمون عنا.. وقد ألهم الله طبيب الجراثيم ساكيت، فقام باختبار أثر العسل على الجراثيم بالتجربة العلمية.. فزرع جراثيم مختلف الأمراض في العسل الصافي.. وأخذ يترقب النتائج..

قلت: فماذا وجد؟

قالت: لشد ما كانت دهشته عظيمة عندما رأى أن أنواعاً من هذه الجراثيم قد ماتت خلال بضع ساعات في حين أن أشدها قوة لم تستطع البقاء حية خلال بضعة أيام.

قلت: ماتت الجراثيم إذن؟

قالت: ماتت طفيليات الزحار (الديزيتريا)بعد عشر ساعات من زرعها في العسل.. وماتت جراثيم حمى الأمعاء (التيفوئيد)بعد أربع وعشرين ساعة.. أما جراثيم الالتهاب الرئوي.. فقد ماتت في اليوم الرابع.. وهكذا لم تجد الجراثيم في العسل إلا قاتلاً ومبيداً لها.

قلت: فيمكن استعمال العسل مادة علاجية بهذه الخاصية.

قالت: أجل.. فقد وجد أن الحفريات التي أجريت في منطقة الجيزة بمصر دلت على وجود إناء، فيه عسل، داخل الهرم، مضى عليه ما ينوف على ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام.. وعلى الرغم من مرور هذه المدة الطويلة جداً، فقد ظل العسل سليما لم يتطرق

اليـه الفسـاد.. بـل إنـه ظـل محتفظـاً بخواصـه، لم يتطـرق إليـه الفساد.. بل إنه ظل محتفظاً حتى بالرائحة المميزة للعسل!!

قلت: هذه بركات عظيمة.. فزيديني من بركاتك؟

قالت: العسل الـذي يتـألف بصـورة رئيسـة من سـكر العنب يمكن استعماله في كل الاستطبابات المبنية على الخواص العلاجية لهـذا السـكر كـأمراض الـدورة الدمويـة، وزيـادة التـوتر والـنزيف المعـوي، وقـروح المعـدة، وبعض أمـراض المعي في الأطفـال، وأمراض معدية مختلفة مثل التيفوس والحمى القرمزيـة والحصـبة وغيرها.. بالإضافة إلى أنه علاج ناجح للتسمم بأنواعه.

بالإضافة إلى أن السكر المدخر في الكبد (الغلوكوجين)ليس ذخيرة للطاقة فحسب.. بـل إن وجـوده المسـتمر في خلايـا الكبـد وبنسبة ثابتة يشير إلى دوره في تحسـين وبنـاء الأنسـجة والتمثيـل الغذائي.. زيادة على أن هذا اسـتعمل حـديثاً، وعلى نطـاق واسـع، ليزيد من معاونة الكبد لمضادة التسمم.

قلت: فزيديني من أخبار بركاتك.

قالت: يحتوي العسل على عامـل فعـال جـداً، لـه تـأثير كبـير على الخضاب الدموي (الهيموغلوبين)، وقد جـرت دراسـات حـول هذا الأمر في بعض المصـحات السويسـرية أكـدت التـأثير الفعـال على خضـاب الـدم حيث ازداد قـوام الخضـاب في الـدم من 57 بالمائة إلى 80 بالمائة في الأسبوع الأول، أي بعد أسبوع واحـد من المعالجة بالعسـل.. كمـا لـوحظت زيـادة في وزن الأطفـال الـذين يتناولون العسل مقارنة بالأطفال الذين لا يعطون عسلاً.

قلت: رأيت بعض قــومي يســتعملون عســلك في شــفاء الجروح.

قالت: أحسنوا صـنعا.. وقـد أثبتت معـاملكم هـذا.. وقـد دلت الإحصائيات التي أجريت في عـام 1946 على نجاعـة العسـل في شفاء الجروح ذلك أن الدكتور (س. سـميرنوف)، وهـو أسـتاذ في معهد تومسك الطبي استعمل العسل في علاج الجـروح المتسـببة عن الإصابة بالرصاص في 75 حالة، فتوصل إلى أن العسل ينشط نمو الأنسجة لدى الجرحى الذين لا تلتئم جروحهم إلا ببطء.

وفي ألمانيـا يعـالج الـدكتور (كرونيـتز)وغـيره آلاف الجـروح بالعسـل وبنجـاح، مـع عـدم الاهتمـام بتطهـير مسـبق، والجـروح المعالجة بهذه الطريقة تمتاز بغزارة افرازاتها إذ ينطرح منهـا القيح والجراثيم.

ولهـذا ينصـح الـدكتور (بولمـان)باسـتعمال العسـل كمضـاد

جراحي للجـروح المفتوحـة.. ويعـرب عن رضـاه التـام عن النتـائج الطيبة التي توصل إليها في هذا الصدد لأنه لم تحدث التصـاقات أو تمزيق أنسجة أو أي تأثير عام ضار..

قلت: فلعسلك تأثير في الجلد إذن؟

قالت: أجـل.. لا شـك في ذلـك.. وفي بعض الـدول الأوروبيـة يقوم الريفيون بربط أماكن الحروق والجروح والتسلخات بأشرطة من القماش المدهون بالعسل.

وأثبتت حادثة واقعية لطفل انسـكب عليـه كـوب من الشـاي المغلي أدى إلى التهـاب جلـد الصـدر والبطن، ومـع دهانـه سـريعًا بالعسل المتجمِّد؛ في الصباح بعد الكشف عن أماكن الحـرق تـبين أن السطح البطني للجسم أبيض عاديّ، كـأن لم يصـبه شـيء مـع ظهور فقاعة بحجم حبة العنب في أعلى الصدر ممتلئة سـائلاً يبـدو أنها كانت قليلة الالتهاب؛ فلم تُرَ، ولم تُدهَن بالعسل، ومع المقارنـة بين السطحين تبين المفعول الأكيد للعسل.

وفي الطب الروسي الشـعبي كـانت تُسـتعمَل لبخـة العسـل المخلـوط بالـدقيق لعلاج الخـراريج السـميكة الـتي تصـيب الأكـف والأقدام وكذلك سل الجلد.

وقد نشر الباحثون العاملون في عيادة الأمراض الجلدية، سنة 1945، في المعهد الطبي الثـاني، في موسـكو مقالـة عن النجـاح في علاج سـبعة وعشـرين مريضـاً، من المصـابين بالـدمامل والخراجـات، ثم شـفاؤهم بواسـطة اسـتعمال أدهـان العسـل كمراهم.. ولا يخفى ما للادهان بالعسـل من أثـر في تغذيـة الجلـد، وإكسابه نضارة ونعومة.

قلت: فلعسلك علاقة لهذا بالجمال؟

قالت: لا شك في ذلك.. فالعسل من مصـادر الجمـال؛ ولهـذا يُستخدَم كمحلول للوجه مع اللبن؛ حيث يغذي العسل الجلد ويزيده بياضًا ونعومةً، ويقيه من الميكروبات، كما يعمل العسـل على شـدِّ الجلـد المـرتخي والمتشـقق، والشـفتين ولهـذا ينصـح بخلـط (30)جرامًا من العسل بمثلها من عصير الليمون بنصف مثلهـا من مـاء الكولونيا لهذا.

بل يعتبر العسل وعصير الليمون أحسـن المـواد لعلاج ضـربة الشمس وتهيج وتبقع الجلد.

قلت: والجهاز التنفسي.. فـإن أكـثر المرضـى يـترددون على أطباء الجهاز التنفسي.

قالت: فانصحهم بالتردد على عسلي.

قلت: كيف؟
قالت: لقد استعمل العسل لمعالجة أمراض الجزء العلوي من جهاز التنفس، ولا سيما التهاب الغشاء المخاطي وتقشره، وكذلك تقشر الحبال الصوتية.
وتتم المعالجة باستنشاق محلول العسل بالماء الدافئ بنسبة 10 بالمائة خلال 5 دقائق.. وقد بين الدكتور (كيزلستين)أنه من بين 20 حالة عولجت باستنشاق محلول العسل.. فشلت حالتان فقط.. في حين أن الطرق العلاجية الأخرى فشلت فيها جميعاً.. وهي نسبة عالية في النجاح.
ولهذا كله يستعمل العسل ممزوجاً بأغذية وعقاقير أخرى كعلاج للزكام.. وقد وجد أن التحسن السريع يحدث باستعمال العسل ممزوجاً بعصير الليمون بنسبة نصف ليمونه في 100غ من العسل.
قلت: بالمناسبة.. لقد رأيت فيلما عن ابن سينا.. وقد لاحظت أنه عالج السل في أطواره الأولى بالعسل.. فهل هذا صحيح.. أو هو مجرد مبالغة فنية؟
قالت: لا.. هذا صحيح.. ولو أنه لا ينبغي أن تأخذ علمك من الأفلام.. فبعض أهلها لا يتقون الله فيما يوزعونه من معلومات.
قلت: فهل ما فعله ابن سينا صحيح من وجهة النظر الحديثة؟
قالت: أجل.. وقد كان الدكتور (ن. يورش)، وهو أستاذ الطب في معهد كييف، يرى أن العسل يساعد العضوية في كفاحها ضد الإنتانات الرئوية كالسل وخراجات الرئة والتهابات القصبات وغيرها..
قلت: عرفنا أثر عسلك في الصدر.. فما أثره في تلك العضلة التي تضخ الدماء في الجسم؟
قالت: عضلة القلب التي لا تقصر في حفظ دوران الدم، وبالتالي تعمل على سلامة الحياة.. لا بد لها من غذاء يقوم بأودها.. وقد عرفت أن العسل لوفرة ما فيه من سكر العنب يقوم بهذا الدور.. ومن هنا وجب إدخال العسل في الطعام اليومي لمرضى القلب.
قلت: فلننزل إلى الجهاز الهضمي.
قالت: إن المنطق الأساسي لاستعمال العسل كعلاج لكافة أمراض المعدة والأمعاء المترافقة بزيادة في الحموضة، هو كون العسل غذاء ذا تفاعل قلوي.. يعمل على تعديل الحموضة الزائدة.. ففي معالجة قروح المعدة والأمعاء ينصح بأخذ العسل قبل الطعام

بساعتين أو بعده بثلاث ساعات.

وقد تبين أن العسل يقضي على آلام القروح الشديدة، وعلى حموضة الجوف والقيء.. ويزيد من نسبة هيموغلوبين الدم عند المصابين بقرح المعدة والاثنى عشري.

وقد أثبتت التجربة اختفاء الحموضة بعد العلاج بشراب العسل، كما أظهر الكشف بالتصوير الشعاعي اختفاء التجويف القرحي في جدار المعدة لدى عشرة مصابين بالقرحة من أصل أربعة عشر مريضاً، وذلك بعد معالجتهم بشراب العسل، لمدة أربعة أسابيع، وهي نسبة عالية معتبرة.

قلت: فنلسر قليلا نحو اليمين حيث يتربع الكبد على عرشه.

قالت: إن كافة الحوادث الاستقلالية تقع في الكبد تقريباً، وهو يدل على مدى الأهمية التي يكتسبها هذا العضو من أعضاء الجسم.

قلت: أعلم ذلك.. ولكني أبحث عن بركات الشفاء بالعسل.

قالت: لقد ثبت بالتجربة أن سكر العنب الذي هو المادة الرئيسية المكونة للعسل، يقوم بعمليتين اثنتين.. أما الأولى، فإنه ينشط عملية التمثيل الغذائي في الكبد.. وأما الثانية فإنه ينشط الكبد لتكوين الترياق المضاد للبكتريا لزيادة مقاومة الجسم للعدوى.

كما تبين أن للعسل أهمية كبيرة في معالجة التهاب الكبد والآلام الناتجة عن حصوات الطرق الصفراوية.

قلت: فلننزل إلى جهاز الإطراح الذي يخلص الجسم من الفضلات.

قالت: يرى الدكتور (ريمي شوفان)أن سكر الفواكه الذي يحتوي العسل على نسبة عالية منه يسهل الإفراز البولي أكثر من سكر العنب، وأن العسل أفضل من الاثنين معاً، لما فيه من أحماض عضوية وزيوت طيارة وصباغات نباتية تحمل خواص فيتامينية.

ولئن كثر الجدل حول العامل الفعال الموجود في العسل الذي يؤدي إلى توسيع الأوعية الكلوية وزيادة الإفرازات الكلوي أو ما يسمى بالإدرار، إلا أن تأثيره الملحوظ لم ينكره أحد منهم، حتى إن الدكتور (ساك)بين أن إعطاء مئة غرام ثم خمسين غراماً من العسل يومياً أدى إلى تحسين ملموس، وزوال كل من التعكر البولي والجراثيم العضوية.

قلت: فلنصعد إلى الجهاز العصبي.. فما بركاتك عليه؟

قـالت: لقـد أثبتت المشـاهدات السـريرية الخـواص الدوائيـة للعسل قي معالجة أمراض الجهاز العصبي، فقد بين البروفيسور (ك. بوغوليبوف)و(ف. كيسيليفا) نجاح المعالجة بالعسل لمريضـين مصابين بداء الرقص ـ وهـو عبـارة عن تقلصـات عضـلية لا إراديـة تؤدي إلى حركات عفوية في الأطـراف ــ ففي فـترة امتـدت ثلاث أسـابيع أوقفت خلالهـا كافـة المعالجـات الأخـرى حصـل كـل من المريضين على نتائج باهرة.. لقد اسـتعادا نومهمـا الطـبيعي، وزال الصداع ونقص التهيج والضعف العام.

قلت: والعين.. هل لها ترياق من لعابك؟

قالت: أجل.. ألم تعلم أني شـفاء من كـل داء، فكيـف تقصـر العيون دون شفائي.. لقـد اسـتعمل الأطبـاء في الماضـي العسـل كدواء ممتاز لمعالجة التهاب العيون.

قلت: ذلك قديما.. أمـا الآن، فقـد اكتشـفت أنـواع كثـيرة من العقاقير والمضادات الحيوية.

قالت: لا تعد لذكرها أمامي.. فكيف تقارن السيف بالعصا؟

قلت: أنا لم أقرنك.. ولكني..

قالت: لا بأس.. مع ما ذكرت لم يفقـد العسـل أهميتـه.. فقـد دلت الإحصـائيات على دور العسـل في شـفاء التهـاب الجفـون والملتحمة وتقرح القرنية، وأمراض عينية أخرى.

ومن أكثر المتحمسين الاستطباب بمـراهم العسـل الأسـاتذة الجامعيون في منطقة (أوديسا)في الاتحـاد السـوفيتي، وخصوصـاً الأستاذ الجامعي (فيشر)والدكتور (ميخائيلوف).. حتى إن تطـبيب أمراض العين بمراهم العسل انتشر في منطقة (أوديسا)كلها.

وقد كتب الـدكتور(ع. ك. أوسـاولكو)مقـالاً ضـمنه مشـاهدته وتجاربه في استعمال العسل لأمراض العين، فـإن شـئت أن أذكـر لك ما خرج به من نتائج فعلت؟

قلت: اذكري.. فمن يشبع من العلم؟

قالت: من النتائج التي وصل إليها أن العسل يبدي بدون شـك تـأثيراً ممتـازاً على سـير مختلـف آفـات القرنيـة الالتهابيـة، فكـل الحالات المعاندة على العلاج العادية والـتي طبـق فيهـا المـرهم ذا السواغ العسلي تحسنت بسرعة غريبة، كما أن عـدداً من حادثـات التهاب القرنية على اختلاف منشئه، أدى تطبيق العسل صرفاً فيهـا إلى نتائج طبية.

وقد ختم بحثه بنصيحة يقول فيها:(من المؤكد أن مـا توصـلنا إليه من نتائج يدعوا المؤسسات الصحية كافة، والتي تتعاطى طب

العيون، أن تفتح الباب على مصراعيه لتطبيق العسـل على نطـاق واسع في معالجة أمراض العيون)

قلت: فهل سمعت نصيحته؟

قالت: لقد اطلعت أخـيرا على بعض بـني جلـدتك قـام ببحث في هذا(1)، وقد دفع إيمانه بما في القرآن الكريم من ذكر العسـل إلى تجربته علاجا.

قلت: فهل نجح العلاج؟

قالت: يستحيل أن لا ينجح.

قلت: فحدثيني عن مرض السرطان.. فلا أحسب أن هناك ما هو أكثر فتكا منه.

قالت: لقد ثبت لدى العلماء المتخصصين أن مرض السرطان معدوم بين مربي النحل المداومين على العمل بين النحل، ولكنهم حاروا في تفسير هذه الظاهرة..

فمـال بعضـهم إلى الاعتقـاد بـأن هـذه المناعـة ضـد مـرض السرطان لدى مربي النحـل مردهـا إلى سـم النحـل الـذي يـدخل مجرى الدم باستمرار نتيجة لما يصـابون بـه من لسـع النحـل أثنـاء عملهم.

ومال آخرون إلى الاعتقـاد بـأن هـذه المناعـة هي نتيجـة لمـا يتناوله مربو النحل من العسل المحتوي على كمية قليلة من الغذاء الملكي ذي الفعلية العجيبة، وكمية أخرى من حبوب اللقاح.

ومال كثير من العلماء إلى الرأي الثـاني خصوصًـا بعـد مـا تم اكتشافه من أن نحل العسل، يفـرز بعض العناصـر الكيماويـة على حبـوب اللقـاح تمنح انقسـام خلاياهـا، وذلـك تمهيـداً لاختزانهـا في العيون السداسية، فهـذه المـواد الكيماويـة الغريبـة الـتي تحـد من انقسام حبوب اللقاح، والتي يتناولها الإنسان بكميات قليلة جداً مـع العسل لربما كان لها أثـر كبـير في الحـد من النمـو غـير الطـبيعي لخلايا جسم الإنسان، وبالتالي منع الإصابة بمرض السرطان.

---

1) في عـام (1981) أشـار د. محمـد عمـارة - رئيس قسـم طب العيـون بجامعـة المنصورة - إلى نجـاح العسـل في علاج التهـاب القرنيـة، وعتمـات القرنيـة المترتبـة عن الإصابة بفيروس الهـربس، والتهـاب وجفـاف الملتحمـة، وينصـح بوضـع العسـل في جيب الملتحمة الأسفل (2 – 3)مرات يوميًّا مثل وضع المراهم تمامًا، وإن كان ذلك ربما يؤدي إلى حدوث حرقان وقتي بالعين وانهمار الدموع؛ فإنه سرعان ما يتلاشى وتتحسن الحالـة بنسبة (85 بالمائة).

انظر: دراسة إكلينيكية عن استخدام عسـل النحـل موضـوعياً في علاج بعض أمـراض العين السطحية، الأستاذ الدكتور/ محمد عمـارة، جمهوريـة مصـر العربيـة، موقـع: إسـلام ست، وقد نشر بحثا في هذا عن طريقة جديدة لعلاج هريس القرنية منشور في صـحائف المؤتمر الرمد الدولي الثالث والعشرين الذي عقـد في كيوتـو باليابـان، 1978، صـفحة (175 ـ 1753).

ومع ذلك.. فلا زالت مخابركم أعجز إلى أن تصل إلى النتائج الحقيقية في هذا.

قلت: لم؟

قالت: لعدم الجدية والصدق.. فهم يتعاملون معي باحتقار.. ولا يستفيد مني إلا من يكرمني.. ويكرم شرابي المبارك.

بركات الألوان:

قلت: لقد حدثتني عن بركات تكوينك، وبركات شفائك..

قاطعتني وقالت: لم أحدثك عن بركات شفائي..

قلت: وعم كنت تتحدثين؟.. اشربي عسلا لتتخلصي من هذا النسيان.

قالت: أنا لم أحدثك إلا عن بعض بركات شفائي.. أما كل شفائي.. فذلك شأن آخر.. وله أسرار أخرى.. لا تفهمها أنت ولا قومك.

قلت: فحدثيني عن بركات ألوانك وأنواعك.. فقد ذكر تعالى أنه يخرج من بطنك شراب مختلف ألوانه.

قالت: الله تعالى في تلك الآية ينبهكم إلى النظر في ألوان عسلي لاستعمالها في العلاجات المختلفة، ألم تسمع بعلم الألوان؟

قلت: بلى.. سمعت به، ولكني لم أفهمه.

قالت: لا يهم أن تفهمه أو لا تفهمه.. المهم أن تستفيد منه.. فإنكم تستفيدون من كل شيء من غير أن تفهموه.. وأقل شيء أنكم تستفيدون من رزق الله، ثم لا تبحثون عن الله.

قلت: فحدثيني عن ألوانك.

قالت: قومك يذكرون لي أربعة ألوان: الأبيض، والكهرماني الفاتح، والكهرماني، والكهرماني الداكن.

قلت: فما سر هذا الاختلاف في الألوان؟

قالت: لقد ربط الله تعالى بين اختلاف الأراضي التي نسلكها وبين الألوان، فقال تعالى: فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه(النحل:69).. وهذا يشير إلى حقيقتين علميتين عن سبب اختلاف ألوان العسل، أقرتها المتابعة العلمية الحديثة.

أما أولاهما، فهي أن اختلاف مرعى النحل يؤثر تأثيراً كبيراً في لون العسل.. وذلك لأن نوعية الرحيق وقف على نوعية الأزهار التي يرعاها النحل.

وأما الثانية، فهي أن اختلاف تركيب التربة الكيماوي بين بقاع الأرض المختلفة.. يؤدي إلى اختلاف لون العسل.. ذلك أن رحيق

الأزهار يعتمد اعتماداً كبيراً على ما يمتصه النبات من المعادن التي في التربة.. وحيث كانت كمية المعادن تختلف باختلاف بقاع الأرض.. فإن من الطبيعي لذلك أن يختلف لون العسل.

قلت: ولكني سمعت من المربين أن اختلاف لون العسل يعتمد أيضاً على الأقراص الشمعية المستعملة في الخلية، فإذا كانت هذه الأقراص جديدة أعطت عسلاً فاتح اللون، وإذا كانت قديمة أعطت عسلاً داكناً.

قالت: ولكن التمحيص في هذه الحقيقة العلمية المؤثرة في لون العسل يدلنا على عظمة القرآن الكريم، كما يشير إلى بلاغته التي اقتضت أن يعطي من الحقائق العلمية ما يتطلبه الموقف وبصورة بالغة اللطف حتى يتمكن الإنسان من تفهمها وهضمها تماماً.

ذلك أن هذه الحقيقة العلمية التي ذكرتها والمؤثرة في لون العسل هي ذات تأثير عارض وليس بطبيعي.. إذ أن اختلاف الأقراص الشمعية بين القدم والجدة إنما مرده إلى ما يحدثه الإنسان، اليوم، الذي يضع الأقراص القديمة في خلية النحل.. أما عسل النحل.. كما يصنعه النحل.. دون أن تتدخل فيه يد الإنسان.. فإنه لا يتأثر مطلقاً بهذه الحقيقة التي ذكرتا، لأنه لا أثر لها، ولا وجود لها، في الأحوال الطبيعية.

ومن أجل ذلك لم تشر الآية الكريمة إلى هذا الأمر مطلقاً، لأنها تعالج العسل، كما ينتجه النحل، وفقاً للوحي الإلهي.

قلت: فما بركات ألوانك؟

قالت: لقد ذكرت لك أن ألوان عسلي تختلف باختلاف ألوان عذائي.. ألم تعلم بأني مصنع أدوية؟ .. قدموا لي ما تشاءون من أصناف الأغذية لأحولها لكم أصناف أدوية.

قلت: كيف ذلك.. وهل لكم علم بالكيمياء؟

قالت: كيمياؤنا تختلف عن كيميائكم.. كيميائكم بدأت بالإكسير الذي يحول الحجارة ذهبا.. وانتهت بالمصانع التي تحول السموم أدوية.. والفضلات أطعمة.. لتملأ الجيوب بالذهب الذي تأسست لأجله الكيمياء.

قلت: فما كيمياؤكم؟

قالت: نحن نتعامل مع الأشياء، لا مع عناصرها.

قلت: كيف ذلك؟..

قالت: نحن لا نعرف ما تسمونه من سكريات ودهون وبروتينات..

قلت: فما تعرفون؟

قالت: نحن نسلم على كل زهرة نشم رحيقها، ونسألها عن أنواع البركات المودعة فيها.. لنأخذ منها قدر ما نحتاجه لنصنع منه الإكسير المبارك.

قلت: أيعرف بعضكم بعضا؟

قالت: نحن لا نغتصب رحيق الأزهار إلا بعد إذنها لنا.. أتريدنا أن نطعم أولادنا أو أولادكم الحرام؟

قلت: أتعرفون الحرام؟

قالت: أنتم الذين لا تعرفونه.. لولا أن الله أذن لنا من الأكل من كل الثمرات ما امتدت أفواهنا إلى شيء منها.

قلت: وهل تسمون الله عند أكلكم؟

قالت: نحن لا نحتاج إلى ذلك.

قلت: أرفع عنكم القلم؟

قالت: نحن لا نغفل عنه، فنحتاج لأن نذكره.. إننا نذكره في كل لحظة بكل كياننا.. ونرقص جذلا.. ونحن نذكره.

بركات الأنواع:

قلت: فحدثيني عن بركات ما يخرج منك(1) من أنواع بعد ما حدثتني عن بركات الألوان.

قالت: لقد شاع في أوساط الناس أن عسلي وحده فيه شفاء للناس، بينما الآية تدل على ما هو أعم من ذلك.

قلت: فما الذي هو أعم من ذلك؟

قالت: هي تدل على كل ما يخرج من أجسامنا من عسل، وشمع، وسم، وغذاء ملكي، فقد ثبت لكل منها فوائد علاجية من أمراض مختلفة.

قلت: فحدثيني عن الشمع.

قالت: يُعَدُّ شمع النحل من أغلى وأهم أنواع الشموع، وكانت له أهمية كبيرة في العصور الماضية، ولكن أهميته قلت في عصركم نظرًا لاكتشاف المواد الشمعية الأخرى والشبيهة بالشمع، ولكن لا يزال شمع النحل هو الوحيد الذي يدخل في صناعة الأدوية ومواد التجميل.

قلت: طلبت منك الحديث عن بركات الشفاء لا عن بركات الصناعة.

قالت: لقد ثبت من خلال التجارب أن شمع العسل يساعد في حماية الجيوب الأنفية من الانسداد؛ فقد كتب دكتور جارفيس

1) شراب النحل…اختلاف في الألوان واتفاق في الشفاء، رضوة حسن، 9/1/2001

أن طفلاً عمره (8)سنوات كان يشكو من بـرد في الـرأس وزكـام شديد، ولم ينفـع أي علاج معـه؛ حيث يوجـد بأنفـه إفـرازات مائيـة كثـيرة، وتتطلب عـدة نفخـات، ويعـاني الطفـل من تـورم أنسـجة الأنف.

وبعـد الفحص العـام، وفحص الأنـف أعطي الولـد قطعـة من شمع العسل لمضغها لمعرفة تأثيره، وبعد خمس دقـائق من مضـغ الشمع فـوجئ الطـبيب أن أنفـه قـد فتح، وصـار بإمكانـه التنفس، وبذلك كانت المضغة الواحدة من شمع العسل لها تأثير في ظرف خمس دقائق، وتستمر لمدة أسبوعين.

قلت: سمعت أن لك شرابا يسمى الغذاء الملكي.

قالت: أجل.. وهو سائل أبيض اللون يُسمَّى لبن النحـل، وهـو يشبه اللبن الكثيف أو القشدة، تفرزه الشغالات لتطعم بـه الملكـة واليرقات.

والغذاء الملكي هو الذي يحدد مستقبل اليرقات المؤنثة؛ فـإذا غذيت عليه طيلـة الطـور الـيرقي خمسـة أيـام؛ فستصـبح الملكـة طويلة ورشيقة ومبايضها كاملة خصبة، وإن غذيت عليه لمدة ثلاثـة أيـام فقـط، واسـتكمل غـذاؤها بحبـوب اللقـاح المعجـون بالعسـل أصبحت شغالة عقيمة، مبايضها ضامرة.

قلت: حدثينا عن بركاتك علينا.. لا عن بركاتك على ملكاتكم.

قالت: هذا الغذاء ذو تـركيب خـاص يجعلـه يتمثـل بأكملـه في الجسم، ويمر في الدم بدون حاجة إلى عمليات الهضـم، بالإضـافة إلى احتوائـه على كثـير من المـواد السـكرية والبروتينيـة والدهنيـة والعناصر المعدنية والفيتامينات، ومواد أخرى لم يُقَّدر بعضـها حـتى الآن.

وقد ثبت أن هذا الغـذاء يعمـل على تنشـيط أعضـاء الجسـم، ويزيد سرعة التحول الغـذائي، ويشـفي حـالات الإرهـاق والهبـوط، وينشط الغدد، ويؤدي إلى زيادة النشـاط ومقاومـة الضـعف سـواء كان بسبب السن أو بمسببات أخرى.

قلت: فما بقي مما يخرج من بطنك؟

قالت: حبوب اللقاح.. وصموغ النحل.. والسم.

قلت: فحدثيني عن حبوب اللقاح؟

قـالت: حبـوب لقـاح الأزهـار هي المصـدر الرئيسـي لأهم المكونات الغذائية والعلاجية فيما يخرج من بطوننا، وقد ثبت حـديثًا أن حبوب اللقاح نفسها تحتفظ ببعض الخواص الغذائية والعلاجية.

حيث تُستخدَم حبوب اللقاح التي يجمعها النحل كغـذاء مركـز

للإنسان لتعويض النقص في الفيتامينات والأحماض الأمينية والعناصر المعدنية، وكذلك تحتوي حبوب اللقاح على كل الفيتامينات المعروفة فيما عدا (ب12)، وتساعد حبوب اللقاح في القضاء على الأنيميا لدى الأطفال؛ حيث تؤدي إلى زيادة عدد كرات الدم الحمراء، ونسبة الهيموجلوبين بعد شهرين من العلاج بحبوب اللقاح، وكذلك مستحضرات التجميل.

قلت: حدثيني عن صموغ النحل.

قالت: هي مواد صمغية يجمعها النحل من قلف الأشجار، وبراعم بعض النباتات؛ لكي يستعملها في تضييق مداخل الخلايا في فصل الشتاء، وفي تثبيت الأقراص الشمعية في سقوف الجحور التي يسكنها، وهذا الصمغ له لون بني مخضر، وله رائحة مريحة جدًّا.

قلت: حدثيني عن بركات الشفاء فيه.

قالت: لقد استعمل في الطب الشعبي منذ القرن التاسع عشر، ويُعتقَد أنه علاج ناجح للأورام الخبيثة والجروح، ويُستعمَل في علاج الكالو، وذلك بتسخين الصمغ حتى يكون طريًّا، ثم يشكل على هيئة قرص صغير يوضع على الكالو، ويربط عليه فيسقط الكالو بجذوره بعد أيام قليلة.

قلت: فحدثيني عما به بدأنا.

قالت: تقصد سمي..

قلت: أجل.. ولو أني أخافه.

قالت: هو عافية وشفاء.. فسمي سائل شفاف يجف بسرعة حتى في درجه حرارة الغرفة، ورائحته عطرية لاذعة، وطعمه مُرٌّ، وبه أحماض عديدة منها: الفورميك، والأيدروكلوريك، والأرثوفوسفوريك، وغيرها؛ بالإضافة إلى كمية كبيرة من البروتينيات والزيوت الطيارة.

قلت: حدثيني عن بركات الشفاء(1).

قالت: الواقع أن استعمال سمي في العلاجات الطبية يعود إلى العصور القديمة، فقد ذكر في كتب صينية تعود إلى ما يزيد عن ألفي عام، وكتب عنه أبقراط وجالينوس والأطباء الإغريق.. ويقال: إن قدامى المصريين يعالجون الأمراض بمرهم مصنوع من منتجات النحل.

وفي عام 1888، نشر معالج نمساوي يدعى فليب تيرك تقريرا حول أولى الدراسات السريرية المتعلقة بلسعات النحل

1) انظر:مجلة الدليل إلى الطب البديل.

تحت عنـوان:(تقريـر حـول ترابـط غـريب بين لسـعات النحـل والروماتيزوم)، ومنـذ ذلـك الحين شـاع اسـتعمال النحـل لأغـراض علاجية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا، حيث شكل نوعا من العلاجات الشعبية المتداولة.

ولكن بـاقتراب القـرن الواحـد والعشـرين بـدأت المختـبرات الطبية تبحث في هذا العلاج، وتدرس طـرق اسـتعمالاته الصـيدلية، وعلى الرغم من أن الأبحاث السريرية بـدأت قرابـة العـام 2000، فإن معظم المرضى يطبقونه إما بأنفسهم وإمـا بمسـاعدة نحّـالين عاديين، أما الأطباء، فقد باشروا باستعمال العلاج بسم النحـل لكن بطريقة أكثر تخصصية وعلى هيئة حقن.

قلت: فالاستفادة من هذا العلاج لا تزال قاصرة إذن؟

قـالت: أجـل.. ومـع ذلـك.. فقـد أثبتت جـدواها في كثـير من العلل.. كأمراض الجهاز المناعي، مثل التهاب المفاصـل والتصـلب المتعدد.. وأمراض القلب والأوعية الدموية القلبية، كارتفـاع ضـغط الدم، وعدم انتظـام النبض القلـبي، والتصـلب العصـيدي، والأوردة الدواليـة.. اضـطرابات الغـدد الصـماء كمتلازمـة مـا قبـل الـدورة الشـهرية والتشـنجات المرافقـة للـدورة الشـهرية وعـدم انتظـام الدورات الشهرية وانخفاض معدل سكر الـدم.. والالتهابـات كـالكلأ والثؤلول والتهاب الثدي والتهاب الحنجرة.. والاضطرابات النفسـية كالكآبـة وتقلبـات المـزاج.. والاضـطرابات الروماتيزميـة كالتهـاب المفاصـل الرومـاتيزمي والالتهـاب العظمي المفصـلي والتهـاب الكيس الزلالي وآلام وتر المرفـق.. والمشـاكل الجلديـة كالأكزيمـا وداء الصـدفية ومسـامير اللحم والثؤلـول والقرحـات الموضـعية.. وأمراض الدم كفقر الدم والتهاب اللثة النزفي وفـرط دهن الـدم.. أمراض الجهاز الهضمي كالالتهاب الكبدي المزمن والتهاب القولون والقرحـة الهضـمية.. وأمـراض الجهـاز العصـبي كـالوهن والخثـار الدماغي والأرق والألم العصـبي القطـني.. وأمـراض العين كإعتـام عدسة العين والتهاب القزحية والجسـم الهـدبي.. وأمـراض الأنـف والأذن والحنجرة.. والأمـراض المرتبطـة بالتغذيـة وعمليـة التحـول الغــذائي كــداء الســكري وعــدم انتظــام معــدل الكوليســترول والتريغليسريد وفقدان الشهية للطعام وسوء التغذيـة.. والأمـراض السرطانية، كسرطان الخليـة القاعديـة والـورم اللمفـاوي والـورم القتامي الخبيث.

قلت: فما سر هذه البركـات الشـفائية الـتي وضـعها للـه في سمك؟.. أليس سما؟

قالت: أنتم تسمونه سما كما تسـمون سـمومكم أدويـة.. ألم تعلم أن لكم خبرة بتبديل الحقائق؟

قلت: صدقت.. فلنا الخبرة في ذلك.. وقد قال الشاعر:

إن الفقيرَ، وإن ... ةُ

لا يستعانُ به، ولا ... يُعبا بما هو قاءلُ

لو كانَ سبحانَ ... غةِ

أو كان قساً في ... حةِ

قالت: صدق شـاعركم.. فلـو أن الأغنيـاء وأصـحاب شـركات الأدوية اهتموا بسمي لصارت النحلة منا بآلاف الدولارات.

قلت: حدثيني عن أسرار العلاج في هذا الذي يسمونه سما.

قالت: يحتوي هذا الترياق الذي تسـمونه سـما على أكـثر من 40 مادة فاعلة، يتمتع العديد منها بتأثيرات فيزيولوجية.

أمـا المـركب الأكـثر غـزارة في السـم فهـو العنصـر المضـاد للالتهاب ميليتين، وهو مادة تحفز في إنتاج الكورتيزول الذي يشكل عاملا هاما في عملية الشفاء الذاتية للجسم.

قلت: كيف يتم العلاج بهذا الترياق؟

قـالت: هم يسـتخدمون لـذلك أي نحلـة من خليـة أو قفـير بواسطة ملقط، ويضعونها على جزء من الجسم حتى تلسـعه على أن تبقى في موضعها مدة تتراوح بين عشر وخمس عشرة دقيقة.

قلت: فهل يحددون لذلك عددا من اللسعات؟

قـالت: يختلـف عـدد اللسـعات في الجلسـة الواحـدة، وعـدد الجلسات، بحسب طبيعة المرض ومقدرة المريض على التحمـل.. فلمعالجة التهاب الأوتار مثلا قد يحتاج المريض إلى ما بين جلستين وخمس جلسات علاجية فقط، يتعرض في كل منها إلى لسعتين أو ثلاث لسعات.

بينما قد تستلزم معالجة الأمراض المزمنة كالتهاب المفاصـل مثلا عدة لسعات في الجلسة الواحدة مـرتين إلى ثلاث مـرات في الأسبوع لمدة ثلاثة أشهر تقريبا.

قلت: فهل كل المعالجين يستعملون النحـل.. ألا يستخلصـون سمه ليحقنوا به.

قالت: هم يفعلون ذلك.. وهو خلاف الأصل.. فأكثر المعالجين بسم النحل في أرضكم لا يسـتخدمون النحـل الحي، بـل يحصـلون منـه على السـم ويحقنونـه تحت الجلـد.. وتعطى الحقن كمعـدل

وسطي مرة واحدة إلى مرتين في الأسبوع.. أمـا عـدد الحقن في كل جلسة، فيتجاوز بين حقنة واحدة إلى ثلاثين حقنة بحسب الـداء الذي تجري معالجته.

ولهذا كلمـا زاد عـدد الحقن أو اللسـعات اسـتغرقت الجلسـة العلاجية وقتا أطول.

قلت: فهل لهذا العلاج تأثيرات جانبية؟

قـالت: لا ينبغي اسـتخدام النحـل لمعالجـة المرضـى الـذين يعـانون من الحساسـية الشـديدة وداء السـل وداء الزهـري وداء السيلان وداء السكري العابر المعتمد على الأنسولين.

قلت: فغير هؤلاء هل تحدث لهم بعض الآثار الجانبية؟

قالت: من التأثيرات الجانبية الشـائعة الـتي تتجلى لـدى حقن المريض أو لسعه الشعور بالألم والحكاك والتورم.

قلت: قد ذقت من ذلك.. فلذلك تجديني أرهبك.

قالت: وهذه الآثـار لا ضـرر فيهـا على الصـحة.. فقـد ورد في مجلة رعاية المريض في عـام 1999 أن مـدير معهـد Monmouth pain في نيوجرسي أعطى خلال السنوات الخمس عشرة الأخـيرة 34 ألف حقنة لمئة وأربعـة وسـبعين مريضـا، ولكنـه لم يلحـظ أي تعقيدات هامة على مرضاه.

الحجامة

يعلم الله كم امتلأ قلـبي بمحبـة هـذه النحلـة المملـوءة خـيرا وبركة، لقد قلت لها، وهي توشك أن تغادرني: إلسعيني بلسعة من لسعاتك أتذكرك بها.

قالت: لا.. لم يؤذن لي في ذلك.. ولو أذن لي لفعلت من غير أن تطلبني.. ألم تعلم أني لا أفعل إلا ما يطلب مني؟

قلت: نسيت أنك تتلقين الأوامر من السماء.. فاعـذريني.. فلا أزال ملطخا بتراب الأرض، وأعراف أهل الأرض.

قـالت: لا بـأس عليـك.. فبإمكانـك أن تطـير إلى الأعـالي إن تسلقت جبال الإرادة بعزيمة أهل الله.

قلت: لا تنسينا من دعائـك.. فـإن دعـاء المسـافر مجـاب، ولا أراك إلا قد أزمعت سفرا.

قالت: أجل.. فقـد جـاءتني رسـالة تطلب مـني زيـارة زهـرة بعيدة.. هي في انتظـاري.. لأسـتخدم رحيقهـا في علاج داء أصـاب مسكينا في ذروة جبل شاهق ليس له من يعالجه.

قلت: فاذهبي.. فقد جلست معك ما أضاع كثيرا من وقتك.

سارت النحلة، وبقيت مبهوتا فيما قالت، قلت لنفسي: لو كان الأمر إلي لاستبدلت كل تلك المصانع التي يفخرون بها بخلايا كبيرة تجمع جميع نحل العالم.. وتغذى بأغذية جميع نباتات الأرض.. لأبعث بها إلى المرضى، لأريحهم من السموم والسكاكين.

فجأة ظهر رجل بلباس عصري.. ولكنه يحمل آثارا لعصور قديمة كثيرة، فقلت: من أنت يا رجل.. دعني.. فإني متوسم جديد.. وتوسمي يحتاج إلى استرخاء لأسمع أصوات الكائنات.

قال: ألست من الكائنات؟.. بل من أشرافهم.. أنسيت بني لحمك ودمك؟

قلت: صدقني.. لقد انشغلت بأكوان الله الجميلة عن أكوانكم.. فصرت أستحيي من بشريتي.

قال: لا.. ففي البشر الرسل والأولياء والصديقون.. ولا يضرك من انحرف من البشر.. فهم لا يضرون إلا أنفسهم.

قلت: صدقت.. ولكني لا أزال أحمل همومهم.

قال: أنت إذن كالدم الذي يحمل الهموم.. فيحتاج إلى مشرط الجراح.

قلت: دعنا من مشارط الجراحين، فقد علمت من علوم النحل ما يغنينا عن الجراحين.

قال: لا.. لقد دعانا الحبيب الذي علمنا العلاج بالنحل إلى العلاج بالمشرط.

قلت: اعرف ما تقول يا رجل.. فالسنة قد دخلها الموضوع والمكذوب والمنكر والشاذ..

قال: لا.. أنا لا أتكلم إلا عن الأحاديث الصحيحة.

قلت: من أنت أولا؟.. ولم جئت؟

قال: أنا رسول معلم البركة إليك لأعملك دواء من الأدوية المباركة.

قلت: لقد أخبروني أن المتوسمين لا يتعلمون إلا من الأشياء نفسها.

قال: أنا حجام.. ولا يعملك الحجامة إلا حجام.

قلت: أنا أبحث عن الأدوية التي نزلت من السماء.. ودعتنا لها النصوص الممتلئة بالقداسة.

قال: وأنا أقوم بهذا النوع من العلاج.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إن في الحجم شفاء)(1)، وقوله ﷺ:(إن جبريل أخبرني أن الحجامة

1) مسلم.

أنفع ما تداوى به الناس)[1]، وقوله ﷺ:(إن كان في شيء مما تداوون به خير فالحجامة)[2]، وقوله ﷺ:(ما مررت ليلة أسري بي على ملأ من الملائكة إلا كلهم يقول لي: عليك يا محمد بالحجامة)[3]

قلت: أكل هذه النصوص في فضل الحجامة؟

قال: وغيرها كثير.. فالنبي ﷺ يعتبرها من أصول الأدوية، فيقول:(إن خير ما تداويتم به اللدود[4] والسعوط والحجامة والمشي، وخير ما اكتحلتم به الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر)[5]، ويقول:(خير الدواء الحجامة والفصاد)[6]، ويقول:(إن أفضل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري[7]، فلا تعذبوا صبيانكم بالغمز[8][9]، بل كان ﷺ يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول:(من أهراق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء)[10]

قلت: ولكني سمعت الناس يذمون مهنة الحجامة، فكيف ترضاها لنفسك.

قال: كذبوا.. وكذبوا الحبيب ﷺ.. ألم يسمعوا قوله ﷺ:(نعم العبد الحجام يذهب بالدم ويخف الصلب وتجلو عن البصر)[11]

قلت: لقد رغبتني في الحجامة.. فأخبرني ما مبدأ اهتمامك بها؟

قال: أنا عبد القادر الذي يطلق عليه عبد القادر[12].

قلت: كلنا عبيد القادر.. فأيهم أنت؟

قال: رجل من بني عمومتك من بلاد الشام.

قلت: مرحبا بابن البلاد المباركة.. أخبرني عن أسرار ما اكتشفتموه من العلاج بالحجامة.

قال: لقد بدأت مع مجموعة من كبار الأطباء في جامعة

---

1) الخطيب.
2) أبو داود وابن ماجة والحاكم.
3) الترمذي، وقال حسن غريب، وابن ماجة.
4) اللدود: هو بالفتح من الأدوية: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.
5) الترمذي وقال حسن غريب، والحاكم.
6) أبو نعيم في الطب.
7) القسط: عقار معروف في الأدوية طيب الريح، تبخر به النفساء والأطفال. النهاية 4/60 وسنتحدث عنه في هذا الفصل.
8) الغمز: العصر والكبس باليد، النهاية 3/385.
9) مسلم.
10) أبو داود وابن ماجة.
11) الترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس.
12) أقصد: المفكر والباحث عبد القادر يحيى، وهو المشرف العام على الأبحاث العلمية للحجامة، من موقع الحجامة.

دمشق بالبحث في هذا.. وقد توصلنا إلى نتائج علاجية باهرة.

قلت: فهل تحقق الشفاء بها؟

قال:أجل.. لقد استطاعت الحجامة أن تهزم عروش أمراض ظلت مستعصية ومستحيلة الشفاء، فكان النجاح منقطع النظير لم يسبق لعلاجٍ طبي أو دواءٍ في العالم أن حققه، وخصوصاً عندما يتم الحديث عن أمراض مثل السرطانات والشلل والناعور والقلب القاتل والشقيقة والسكري وغيرها(1).

قلت: أكل هذا تحقق؟

قال: أجل.. بحمد الله ومنته.. وقد وصل الأمر إلى الدرجة التي بدأت المراكز الدولية الاهتمام بهذا الكشف بعد أيام قليلة من إعلان نتائجه الطبية والمخبرية حتى وصل الأمر إلى أطباء القصر الملكي البريطاني الذين أبدوا اهتماماً كبيراً بهذا البحث الطبي، وجرت اتصالات بينهم وبيني وبين الفريق الطبي السوري للتعرف على الطريقة التي يمكن بها علاج مرض الناعور الوراثي (الهيموفيليا) المتفشي في الأسرة المالكة البريطانية، نظراً لِمَا

---

1) نحن ننقل هذا مع علمنا بكثرة المخالفين لهؤلاء الأطباء احتراما لوجهة النظر المتفائلة من هذا النوع من العلاج الذي دلت عليه النصوص... واحتراما لأهل الخبرة وتصديقا لهم فيما رأوه من نتائج.

ومن باب الموضوعية نذكر أنه حصلت قبل فترة في سورية ضجة كبيرة حول الحجامة بسبب هذا، وقد دعت نقابة أطباء سورية إلى عقد ندوتين في دمشق حول الحجامة نوقشت فيهما واقع الحجامة في القطر... وأشار الدكتور رمضان رمضان نقيب الأطباء في سورية في مستهل الندوة إلى ما ادعي من دراسة علمية نشرت حول الحجامة في الإعلام وفي بعض الكتب المتفرقة، فهي تفتقد بالكلية لمنهجية البحث العلمي.. وبما أنه لا توجد معايير أو استطبابات للحجامة بالمفهوم الطبي الحديث وبالتالي فإن انتشار الحجامة بالشكل الحالي يشكل خطراً على الصحة العامة، وإذا ما كان هناك بعض الاستطبابات الطبية فيجب أن تحدد حسب دراسات علمية تقوم بها جهات علمية مسؤولة.

وأكد الدكتور عبد الغني عرفة أن الحجامة تطبيق للنظرية العلمية القائلة بوجود جهاز مناعي ذاتي في الجسم وأن هذا الجهاز يصيبه الكسل أحياناً فهو بحاجة إلى إعادة تنشيطه، وقد أكدت التجارب الكثيرة أن الحجامة كفيلة بذلك.

أما استطباباتها العلاجية فهي تطبق في الحالات التي يكون فيها الجهاز المناعي متراخياً، ولا أقول معطلاً، كما في حالات الشقيقة والآلام العصبية المختلفة وفي أمراض اضطرابات التغذية كالسكري وفي ارتفاع الضغط الدموي.

وبين الدكتور عبد المالك الشالاتي أن الحجامة تفيد بدون شك في بعض الأمراض وليس في كل الأمراض، وهي شائعة في كل أنحاء العالم، وهي نوع من الطب البديل الذي له جمعياته المنتشرة هنا وهناك.

وتساءل الدكتور أحمد ديب دشاش: لماذا الحجامة الآن، وهل عجز الطب عن مداواة بعض الأمراض ونريد تجربة الحجامة، وهل تفضل الحجامة مثلاً لأنها أكثر فعالية؟ ثم هل يتم تطبيقها في أماكن أو بأيد ووسائل عقيمة نظيفة تضمن سلامة المريض من انتقال العدوى بمرض خطير كالإيدز مثلاً؟ إذن لابد من إجراء دراسة تقيم فعالية الحجامة حسب المنهج العلمي. انظر مقدمة كتاب: الحجامة والقسط البحري للدكتور محمد نزار الدقر.

تحقق من نتائج باهرة على مستوى هذا المرض(2).

كما حضر وفد ياباني إلى سورية من أجل هذا الحدث الطبي العظيم.. أما الحكومة السويدية، فقد طلبت رسمياً من الحكومة السورية كتاب الحجامة.. ومثلها القصر الملكي السعودي الذي أبدى بالغ الاهتمام بهذا الفن الطبي، وأرسل القصر الملكي السعودي مراسل صحيفة الرياض الشهيرة في دمشق لعقد مجلس صحفي للإطلاع العلمي الطبي الموثوق عن مضمون وفعالية هذا الدواء والتقصي واستلام التحاليل الطبية المخبرية والسريرية، ومقابلة مرضى الشلل والسرطان والناعور والتليف الكبدي وغيرها من الأمراض الذين تم شفاؤهم شفاءً تاماً.

قلت: ولكن الحجامة قديمة على ما أعلم.. فكيف تعتبرون هذا كشفا حديثا؟

قال: الحجامة قديمة العهد، وقد طبقها الأنبياء الكرام وأوصوا بها الناس، وقد جاء الرسول ﷺ فأحيا بعد موت ذِكْرها، وطبَّقها بأصولها، وله الفضل في سنِّها للمسلمين وللعالمين أجمعين.

إلاَّ أنها ـ وبعد عصر مديد ــ نُسِيت قوانينها نتيجة الإهمال والعبث، حتى اندثرت هذه القوانين وضاعت إلاَّ ما ندر منها..

بالإضافة إلى أن هناك أيدٍ أثيمة دسَّت الكثير عليها، فأقلع الناس عنها ونسوها.

قلت: لكن كثيرين ممن أعرفهم جربوها.. فلم يجدوا فيها أي نفع.

قال: سبب ذلك يرجع إلى أنهم لم يقوموا بتنفيذها ضمن القوانين المشروعة لها، فالقوانين اندثرت وضاعت، فهم ينفذوها شتاءً، صيفاً، أو بعد بذل مجهود وتعب جسمي، أو بعد الطعام وليس على الريق.

قلت: فهل توصلتم أنتم إلى قوانينها، وأسرار الشفاء فيها؟

قال: أجل.. لقد أعاد العلامة محمد أمين شيخو هذه السنة بإحيائه لقوانينها الدقيقة، فقد جاء بقوانينها ووضعها موضع تنفيذها الصحيح من الجسم.. كما جاء بالسر العام لآلية شفائها، وهو التخلص من الدم الفاسد.

لقد أعاد هذا الفن العلاجي الطبي بذلك الشكل الفعال العلمي المفيد ونشرها بقوانينها وأصولها في كافة معارفه.. وهم نشروها طبعاً في عامة الناس وهكذا حتى صارت ولها انتشار واسع في الكثير من البلاد والعباد.

---

2) وهذا ما صرحت به إذاعة لندن الرسمية BBC في نشراتها الأخبارية الرسمية.

قلت: فحدثني عن أسرار الشفاء.. وقوانينها.

قال: إن الشروط التي بينها العلامة محمد أمين شيخو والتي اعتمدها الفريق الطبي في بحثه العلمي تتلخص في أربعة أمور.

قلت: أنتم أيضا تتحدثون عن الأربعة.

قال: ماذا تقصد؟

قلت: لا بأس.. فهذا نوع من الفضول.. ما الأول منها؟

قال: أولها وأهمها **المكان** الذي تجرى فيه الحجامة.

قلت: حدثني عن آلية عمل الحجامة أولا.. ثم حدثني عن مكانها.

قال: تعمل الحجامة على إحداث نوع من الاحتقان الدموي في منطقة الكاهل من الجسم باستعمال كؤوس خاصة مصنوعة من الزجاج تعرف بإسم (كاسات الهواء).. وهي ذات بطن منتفخ، ثم عنق متطاول قليلاً بقطر أصغر من البطن ينتهي بفتحة مستديرة منتظمة.

وقد كانت هذه الكؤوس تتخذ قديما من القرون المجوّفة لبعض الحيوانات أو يصنعونها من عيدان النباتات الصلبة المجوّفة مثل أغصان خشب البامبو عند أهل الصين، وقد تطورت فيما بعد إلى كؤوس مصنوعة من الزجاج اليدوي لسهولة تنظيفها وتعقيمها وشفافيتها التي تسمح للحجَّام برؤية الدماء المستخرجة من المحجوم.

قلت: فحدثني الآن عن مكانها.

قال: تطبق الحجامة على منطقة الكاهل، وهي أعلى مقدم الظهر تحت لوحي الكتفين، وعلى جانبي العمود الفقري.

وقد ورد في النصوص ما يدل على مراعاة الرسول ﷺ لهذه المنطقة خاصة، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يحتجم في الأخدعين والكاهل(1)، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يحتجم على هامته وبين كتفيه وهو يقول:(من أهراق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء)(2)

قلت: ما سر اختيار هذه المنطقة بالضبط(3)؟

---

1) الترمذي وأبو داود وإسناده صحيح.

2) أبو داود بإسناد حسن.

3) وقد روي احتجام رسول الله ﷺ في غيرها، ففي الحديث: كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثاً:واحدة على كاهله واثنتين في الأخدعين، أخرجه أحمد وأصحاب السنن وإسناده صحيح، وفي حديث آخر أنه ﷺ احتجم وهو محرم في رأسه لصداع كان به، رواه البخاري، وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ احتجم على وركه من وثء كان به » أخرجه أبو داود والنسائي.

قال: لأنها أركد منطقة في الجسم، وخالية من المفاصل المتحركة، والشبكة الشعرية الدموية فيها أشد ما تكون تشعباً وغزارة، مما يجعل سرعة تيار الدم تقل، وبالتالي تحط رسوبيات الدم رحالها فيها.

زيادة على ذلك، فقد قمنا بدراسة هذه المسألة مخبرياً فوجدنا أن الحجامة على منطقة الكاهل تقل فيها الكريات البيض، وعند إجراء الحجامة في مواضع الساق والأخدعين وعلى الظهر بالقرب من الحوض كان دم الحجامة في هذه المناطق يماثل الدم الوريدي.

قلت: ما سر التأثير الذي يحدثه الاحتجام في هذه المناطق؟

قال: إن زيادة الدم الفاسد في البدن يجعله يتراكم في أركد منطقة فيها وهي الظهر، ومع تقدم العمر تسبب هذه التراكمات عرقلة عامة لسريان الدم العمومي في الجسم، مما يؤدي إلى ما يشبه الشلل في عمل كريات الدم الفتية، وبالتالي يصبح الجسم بضعفه عرضة لمختلف الأمراض.

قلت: فإذا احتجم ماذا يحصل؟

قال: إذا احتجم عاد الدم إلى نصابه، وذهب الفاسد منه، وزال الضغط عن الجسم، فاندفع الدم النقي العامل من الكريات الحمر الفتية ليغذي الخلايا والأعضاء كلها ويخلّصها من الرواسب الضارة والأذى والفضلات.

قلت: أيمكن أن يكون هناك دم فاسد في الجسم؟

قال: أجل.. وهو الحاوي على نسبة عظمى من الكريات الحمر الهرمة وأشباحها وأشكالها الشاذة، ومن الشوائب الدموية الأخرى، ويشتد وجوده في منطقة الحجامة.

قلت: أليس الدم في الإنسان مقدرا بالمقدار الذي يحتاج إليه الجسم؟

قال: بلى..

قلت: فكيف لا تؤثر إزالة بعض الدم في عمليات الجسم؟

قال: نحن لا ننزع بالحجامة دما كثيرا.. ولا دما نقيا.. بل إن كمية الدم الفاسد المستخرج بعملية الحجامة الطبية للمرة الأولى يكون حوالي (100-150)غ، بينما تصل كمية الدم المأخوذ عند التبرع بالدم إلى (450)غ.

قلت: فعملية الحجامة إذاً لا تكلف شيئا كثيرا من الدم.

قال: ألم تسمع بأن أنفع الأدوية أرخصها ثمنا؟

قلت: ولكن الجراثيم.. ألا تخافون من وجودها في الكاسات

أو المشارط؟

قــال: ألنــا تقــول هــذا الكلام؟.. ألســنا أطبــاء من أهــل الاختصاص؟.. نحن نعقم الكاسات بعد الانتهاء من عمليـة الحجامـة بشكل جيد، وذلك إن أمكن، وإلاَّ نقوم بإتلاف هذه الكؤوس بشـكل نهائي في مكان خاص بالنفايات.

قلت: لا.. أقصد غيركم.. فقد ذكرت لك بأن الحجامة أصبحت وسيلة كسب جديدة للرقاة.

قال: هذا صحيح للأسف.. وليس الأمر قاصـرا عليهم.. بـل إن الشيء العجيب والمستنكر أن نسمع بقيام بعض الأطباء اللامبـالين باستغلال اهتمام الناس بعملية الحجامـة في هـذه الفـترة ليحققـوا من ورائها غاياتهم المادية حتى ولو كانت على حساب صحة الناس ضـاربين بـالقوانين العلميـة الصـارمة في الدقـة للحجامـة عـرض الحائط..

ونحن نتبرأ من تلك الممارسات لعملية الحجامة، والتي يشوه هـؤلاء حقيقتهـا السـامية ونفعهـا العميم للإنسـانية نتيجـة تجـرؤهم بالقيام بمثل تلك العمليات بطرقٍ تؤدي إلى ضـرر النـاس والطعن بالطب بأرقى مستوياته.

قلت: عرفت السر الأول.. فما **السر الثاني**؟

قال: مواقيتها.. ألم تعلم بأن لكل شيء مواقيته الخاصة به؟

قلت: فما مواقيتها؟

قال: أربعة..

قلت: لم أسأل عن أعدادها.. فأنا أعلم أنها أربع.. فهـل هنـاك غير الأربع؟

قال: هناك الميقات السنوي، والفصلي، والشهري، واليومي.

قلت: فحدثني عن الميقات السنوي.

قال: يستحب لكل صحيح أو مريض إجراءها في السـنة مـرة على الأقـل، وقـد أشـار إلى هـذا قولـه ﷺ:(نعم العـادة القائلة(1)، ونعم العادة الحجامة)(2)

قلت: هذا المريض عرفناه.. فلم الصحيح؟

قال: هي للصحيح وقايـة، وللمـريض علاج.. فالحجامـة وقايـة وعلاج.

قلت: فحدثني عن ميقاتها الفصلي.

قال: لقد أشار النبي ﷺ إلى هـذا الميقـات بقولـه:(اسـتعينوا

---

1) القائلة: المقيل والقيلولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نـوم. يقـال: قال يقيل قيلولة، فهو قائل.

2) الديلمي.

على شدة الحر بالحجامة، فإن الدم ربما يتبيغ(1) بالرجل فيقتله)(2)

قلت: فأنتم تجرون الحجام في الصيف؟

قال: لأن الحر يكون في فصل الصيف، فالحجامة حتماً تكـون قبله، أي في فصل الربيع.

قلت: أتجرون الحجامة في فصل الربيع؟

قال: نحن نجريها في كل وقت.. ولكن هذا أفضل أوقاتها..

قلت: فما التفسير العلمي لاختيار هذه المواقيت؟

قال: قبل أن نبدأ في التفسير العلمي لهـذا الموعـد لا بـد أن تعلم أولا أن من وظائف الدم تنظيم حرارة الجسم، فالماء يشـكِّل النسبة العظمى في الدم (90بالمائة)من بلازما الـدم، ولمـا كـانت للماء خصائص أساسية تميِّزه بصفة خاصة عن غـيره من السـوائل المعروفة في الطبيعة مما يجعلـه خـير سـائل مسـاعد على تنظيم حرارة الجسم في الكائن الحي.

قلت: عـرفت هـذا عنـد زيـارتي للمـاء.. فهـو من الأغذيـة المباركة.

قال: وانطلاقا من القدرة العالية للماء على تخـزين الحـرارة، والتي تعلو قدرة أي سائل آخر أو مادة صلبة.. فإن المـاء الموجـود بالـدم يخـتزن الحـرارة الـتي يكتسـبها أثنـاء مـروره في الأنسـجة النشطة الأكثر دفئاً ويحملها معه إلى الأنسجة الأخـرى الأقـل دفئـاً أثناء حركته بين أجزاء الجسم المختلفة.

فللدم قدرة عالية على توصيل الحرارة تعلو على قدرة غـيره من الأنسجة المختلفة في الجسم.

وعلى هذا فالـدم هـو المتلقي الأول والمتـأثِّر الرئيسـي الأول بـالحرارة الخارجيـة من بين كـل أنسـجة الجسـم المـؤثرة على الجسـم، فهـو يمتص الحـرارة من جزيئـات الجسـم المحيطـة بـه لينقلها للأقل دفئاً والعكس.

ونظراً لـدورة الـدم المسـتمرة في الجسـم فهـو يعمـل على تنظيم حرارة الجسم وتدفئة الأجزاء الباردة وتبريد الأجـزاء الدافئـة حتى تظل حرارة الجسم ثابتة باستمرار.

قلت: ولكن فصل الربيع قد يكون باردا.. فماذا تفعلون؟

قال: الأمر يحدُّه قانون عام لا يمكن لنـا تجـاوزه، وهـو فصـل الربيع والذي يشمل نيسان، وأيار، وربما نهاية آذار، وبداية حزيران، في اليوم السابع عشر إلى السابع والعشرين، من الشهر القمـري

---

1) أي غلبة الدم على الإنسان، يقال: تبيغ به الدم إذا تردد فيه.
2) الحاكم في تاريخه.

فقط، بارتفاع الحـرارة في آذار، وكـذا بانخفـاض الحـرارة في أول حزيـران إذا تصـادفا مـع نقص الشـهر القمـري.. وبـذا نكـون قـد استفدنا من ثلث السنة لإجراء عملية الحجامة.

قلت: فحدثني عن الميقات الشهري.

قال: لقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين)(1)، وقد ورد أنه ﷺ كان يحتجم في الأخدعين والكاهل، وكـان يحتجم لسـبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين)(2)

قلت: ما سر تخصيص هذه الأيام في هذين الحديثين؟

قال: لعلك تعلم أن للقمر تأثيره الفعلي على الأرض.

قلت: أجل.. فإن القمر على الـرغم من أن كتلتـه تبلـغ جـزءاً من ثمـانين جـزءا من كتلـة الأرض إلا أنـه يبلـغ من القـرب قربا(3) يجعل له قـوى جذبـه ذات أثـر عظيم.. فالمحيطـات ترتفـع لتكـوِّن المد، وحتى القشرة اليابسة لا تخلو من التأثيرات.

فقارة أمريكا الشمالية قد ترتفع بمقدار خمسة عشر سنتمتر عندما يتوسط القمر سماءها.. بل للقمر فعل في صعود النسغ في الأشجار الباسقة الارتفاع.

قال: انطلاقا مما ذكرته لاحـظ الأسـتاذان الفرنسـيان جـوبت وجاليه دي فوند أن للقمر تأثيرا على الحيوانات، فمنذ مولده كهلال إلى بلوغه مرحلة البـدر الكامـل يكـون هنـاك نشـاط جنسـي عنـد الحيوانات والدواجن والطيور حتى أنهما لاحظا أن الــدواجن تعطي بيضاً أكثر في هذه الفترة منها في فترة الشيخوخة، أي عندما يبــدأ القمــر في الانضــمار التــدريجي إلى أحــدب فــتربيع أخــير، ثم إلى المحـاق، فهنـاك فـترة نشـاط وفـترة فتـوة في الحيوانـات ترتبـط بأوجه القمر، وذلك حسب ملاحظتهما الخاصة.

وقد لاحظا على الدواجن وبعض الحيوانات المستأنسة ومثلها الأسماك ومحارات المحيط الهندي والبحر الأحمر أنها تنتج بويضات في فترات معينة لأوجه القمر.

قلت: كل هذا أصبح معروفا.. ولكني أريـد تـأثيره على الـدم.. وبالتالي تأثيره على الحجامة.

قال: القمر يبلغ ذروة تأثيره في مرحلة البدر منه، فيـؤثِّر على ضغط الدم رافعاً إياه، مهيجاً الدم مما يثير الطبيعة، وهذا ما عاينتـه بعض الدول الغربية من ارتفاع نسبة الجرائم والاعتداءات في هـذه

1) الترمذي وقال حسن غريب.
2) الترمذي وقال: حسن غريب.
3) قدر وسطيا بـ (385000 كم)

الليالي والأيام.

ففي الأيــام من الأول وحــتى الخــامس عشــر من الشــهر القمــري يهيج الــدم ويبلــغ حــده الأعظمي، وبالتــالي يحــرك كــل الترســبات والشــوائب الدمويــة المترســبة على جــدران الأوعيــة الدمويــة العميقــة منهــا والســطحية وعنــد التفرعــات وفي أنســجة الجسم عامة، تماماً كفعله في مياه البحار، فيكون بمثابــة الملعقــة الكبيرة في تحريكه لها لكي لا تترسب الأملاح فيها، ويصبح بإمكــان الدم سحبها معه لأهدأ منــاطق الجســم حيث تحــط ترحالهــا هنــاك بالكاهل وذلك بعدما يبدأ تأثير القمر بالإنحسار من (17-27).

أما من (17-27)فيبقى للقمر تأثير مــد ولكنــه أضــعف بكثــير مما كان عليه، ولما كانت الحجامة تُجري صباحاً بعد النوم والراحــة للجسم والدورة الدموية، ويكون القمر أثناءها ما يزال مشرقاً حتى لدى ظهور الشمس صباحاً، فيكون له تــأثير مــد خفيــف يبقى أثنــاء إجراء الحجامة وهذا يســاعدنا في عملنــا، إذ يبقى لــه تــأثيرٌ جــاذب للدم من الداخل إلى الخارج (الدم الداخلي للــدم المحيطي والــدم المحيطي للكأس)وهو ذو أثر ممتاز في إنجاز حجامة ناجحة مجدية من حيث تخليص الجسم من كل شوائب دمه.

قلت: فلنفرض أن الحجامة أجريت في أيام القمــر الوســطى أي في من الثاني عشر إلى الخامس عشر؟

قال: إن فعل القمر القوي في تهييج الــدم يفقــد الــدم الكثــير من كرياته الفتية.

قلت: وفي الأيام الأولى للقمر.

قــال: في أيامــه الأولى، أي عنــد كونــه هلالا لا يكــون قــد أدَّى فعلــه بعــد في حمــل الرواســب والشــوائب الدمويــة من الــداخل للخارج للتجمُّع في الكاهل.

قلت: لقد وردت بعض النصوص تحدد أيامــا معينــة للحجامــة، كقولــه ﷺ (إن يــوم الثلاثــاء يــوم الــدم، وفيــه ســاعة لا يرقأ(1)(2)، وقوله:(الحجامة على الريق أمثل وفيهــا شــفاء وبركــة، وتزيــد في الحفظ والعقل فاحتجموا على بركــة اللــه يــوم الخميس، فــاجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت ويــوم الأحــد واحتجمــوا يــوم الاثــنين والثلاثاء، فإنه اليوم الذي عافاه الله فيــه أيــوب من البلاء، واجتنبــوا الحجامة يوم الأربعاء فإنــه اليــوم الــذي ابتلي فيــه أيــوب ومــا يبــدو

---

1) يرقأ: يقال: رقأ الدمع والدم والعرق يرقأ رقوءا بالضم إذا سكن وانقطع. النهاية 2/248.

2) أبو داود.

جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء وفي ليلة الأربعاء)[1]

قال: لعلك تلاحظ التضارب بين الحديثين.. فالأول ينهى عن الحجامة يوم الثلاثاء بينما يأمر بالحجامة فيها في اليوم الثاني.

قلت: أجل.. ذلك واضح.. فبم تفسره؟

قال: هذا التناقض إن دلَّ على شيء فهو يدل على عدم صحة هذه الأحاديث[2].. أما الصحيح الذي يقبله المنطق الواضح من خلال الواقع العملي والذي تجده موافقاً لحديث رسول الله ﷺ فهو الذي لا يحدد الأيام، وإنما يحدد التاريخ الذي يلي منتصف الشهر القمري كما مر معنا.

زيادة على هذا.. فإن قوله ﷺ:(إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم إحدى وعشرين)[3] يدل على عدم صحة الأحاديث التي تنهى عن معظم أيام الأسبوع.

قلت: لا أرى فيه ما تقصد.

قال: لو فرضنا أن يوم سبعة عشر من الشهر القمري أتى يوم الجمعة.. فهذا يعني أن يوم تسعة عشر سيكون حتماً يوم أحد، ويوم إحدى وعشرين سيكون يوم ثلاثاء.

ولنفترض أيضاً أن يوم سبعة عشر أتى يوم خميس، فسيكون يوم تسعة عشر يوم سبت، ويوم إحدى وعشرين يوم إثنين.. وهكذا فإن عدم ثبات الأيام بالنسبة للتواريخ للشهر القمري لكونه متبدلا من شهر لشهر، ومن سنة لسنة يثبت بطلان الأحاديث والادعاءات التي تنهى عن الأيام رغم دخول الموعد المحدد للحجامة في الربيع من كل سنة وبعد منتصف الشهر القمري وتؤكد بطلانها بشكل واضح جلي.

قلت: هذا تحليلك.. وهو قد يغضب المحدثين.. أفلا أدلك على ما هو ألطف منه وأكثر أدبا؟

قال: علمني مما علمك الله.

قلت: حاولوا أن تبحثوا في أسرار الأيام كما بحثتم في أسرار القمر.. فلله في الأيام من البركات ما لا يقل عما تعرفونه.

قال: فكيف نعمل مع التعارض؟

---

1) ابن ماجه كتاب الطب في أي الأيام يحتجم رقم (3487)وابن السني وأبو نعيم - عن ابن عمر.

2) قال ابن القيم: وكل الأحاديث التي ذكرت فيها الأيام ضعيفة، وقال الفيروزبادي في سفر السعادة: وباب الحجامة واختيارها في بعض الأيام و كراهتها في بعضها ما ثبت منه شيء، أي في السنة.

وقال ابن حجر وورد في الأوقات اللائقة بالحجامة أحاديث ليس فيها شيء (أي من الصحة)على شرطه، فكأنه أشار إلى أنها تصنع عند الاحتياج ولا تتقيد بوقت دون وقت.

3) ابن ماجة.

قلت: هذا سهل جدا.. اذهبوا للمحدثين.. فهم صيادلة الحديث وصيارفته.. وسيميزون المقبول من المردود.

قال: دللتني على خير.. دلك الله على كل خير.

قلت: فحدثني عن الميقات اليومي.

قال: لها بداية ونهاية كل يوم.

قلت: فما بدايتها؟

قال: تجرى الحجامة في الصباح الباكر بعد شروق الشمس لما ذكرنا من الفوائد.

قلت: فما ميقات انتهائها؟

قال: حسب حرارة الجو، فإن كانت الحرارة بارتفاع الشمس لا تزال معتدلة نستمر حتى الظهيرة، فهو جائز، لكنه غير مستحب،فالأفضل منه هو الساعات الأولى من النهار، لأن الحجامة تتم على الريق، فإن بقي الإنسان لساعات متأخِّرة قبل حلول الشمس وسط السماء، فلربما يتداركه التعب ويشعر بدوار لتأخُّره في الإفطار واحتجامه، فلكي نتفادى كل هذه الاحتمالات، ولكي ننفِّذ حجامة صحيحة مفيدة أتمَّ الفائدة نسارع في ساعات النهار الباكرة ونحتجم بين الساعة السابعة للعاشرة، وفي حال الضرورة الحادية عشر فالثانية عشرة.

قلت: وما الضرر في التأخر؟

قال: عندما نتأخَّر لساعات متأخِّرة للظهيرة فإننا نتحرَّك ونعمل، ومن شأن هذا أن يحرِّك الدم قليلاً، ويجرف القليل مما تقاعد من شوائبه في منطقة الكاهل، وبالتالي تكون الفائدة من الحجامة غير تامة.

قلت: عرفت السر الثاني.. فما **السر الثالث**؟

قال: سن المحتجم..

قلت: وهل هناك سن معينة للاحتجام؟

قال: أجل.. وهو يختلف بين الذكور والإناث، فنبدأ في الذكور من الثانية والعشرين، ونبدأ مع الإناث بعد تخطي سن اليأس.

قلت: لم تؤخرون الإناث إلى هذا السن؟

قال: لأن الله تعالى جعل لهن مصرفاً طبيعياً تستطيع من خلاله أن تتخلَّص من الدم العاطل، فبالمحيض تبقى دورتها الدموية في قمة نشاطها، وعندما تبلغ المرأة سن اليأس يتوقف المحيض، فتصبح خاضعةً لنفس ظروف الرجل الذي وصل إلى سن العشرين، وتدخل بمرحلةٌ فيزيولوجيةٌ جديدةٌ تقود إلى تغيرات نفسية وجسدية تمهِّد لنشوء أمراضٍ عديدة كارتفاع الضغط ونقص

التروية والسكري وغيرها، وهنا تصبح الحجامة أمراً لا بديل عنه أبداً يعيد للمرأة استقرارها النفسي والجسدي، فإن ترفعت عن إجـراء عملية الحجامة البسيطة غدا الجسم مرتعاً ومعرضاً للأمراض.

قلت: ولم لا تجـرى للرجـل الحجامـة في مرحلـة الطفولـة والبلوغ؟

قال: لأن جسمه بتطلَّب كميات كبـيرة من الحديـد.. فهـو في طور النمـو، وهـذه الكميـات لا يؤمِّنهـا الغـذاء كاملـةً لهـذا الجسـم النامي، إنما يجري سدُّ النقص عن طريـق هضـم الكريـات الهرمـة والتالفة في الكبد والطحال وبلعميات عامة الجسم مشكِّلةً الحديـد الاحتياطي المخزون الموضوع لحاجة الجسم.

فالجسم عامة ونقي عظامه يسـتفيد من هـذه الكريـات بعـد تحويلها التحويلات المناسبة إضافة لبنـاء كرياتـه الحمـراء بسلسـلة من العمليات، أما بعد العشـرين عامـاً، فيتوقـف الاسـتهلاك الكبـير للكريات الحمر التالفة لتوقـف عجلـة النمـو ويصـبح الفـائض منهـا كبيراً يجب التخلُّص منه.

قلت: عرفت السر الثالث.. فما **السر الرابع**؟

قال: هو ما يرتبط بالحجامة من غذاء وصوم وغيره.

قلت: سمعت أنك ذكرت بأن الحجامة تكون على الريق.

قال: أجل.. وقد أشار إلى هذا الحديث الذي ذكرته، فقد قـال ﷺ فيه:(الحجامة على الريق أمثل وفيها شـفاء وبركـة)(1).. ولهـذا يحظر على المرء المحتجم تناول أية لقمة صباح يوم حجامتـه، بـل يبقى صائماً عن الطعام ريثما ينفذها، ويجـوز لـه تنـاول فنجـان من القهوة أو كأس من الشاي، لأن كمية السكر الموجودة فيهـا تكـون قليلة، فلا تحتـاج للعمليـات الهضـمية المعقـدة الـتي من شـأنها أن تحـرك الـدم، وتـؤدي إلى تنشـيط الـدورة الدمويـة والتـأثير على الضغط الدموي وضربات القلب.. كما أن هـذه الكميـة القليلـة من الشاي أو القهـوة تحتـوي على منبـه عصـبي بسـيط يجعـل المـرء يستقبل الحجامة بصحوة.

قلت: مـا الضـرر الـذي يحصـل بعـدم صـيام المحتجم قبـل الحجامة؟

قـال: الأكـل ينشـط جهـاز الهضـم في عملـه، وتنشـط بـذلك الـدورة الدمويـة لتتوافـق متكافئـة مـع عمليـات الهضـم، فـتزداد ضربات القلب، وينشط جريان الدم ويرتفـع الضـغط، وهـذا يـؤدي إلى تحريك الراكـد والمتقاعـد من الرواسـب الدمويـة في الأوعيـة

1) ابن ماجه والحاكم وابن السني وأبو نعيم عن ابن عمر.

الدموية السطحية والأعمق لمنطقة الكاهل المتجمعة خلال النوم.

ومثل ذلك في عمليات توزيع الغذاء الناتج عن الهضم، فإنه ينشط الدم لكي ينقل هذه الأغذية لكافة أنسجة الجسم، وهذا الوضع لا يناسب الحجامة، وفيما إذا أجريت الحجامة بمثل هذه الظروف فإن المُستخرَج هو دم عامل، فضلاً عن أننا فقدنا الفائدة المرجوة من الحجامة، فإن المرء المحتجم يعاني أيضاً من دوار أو إغماء بسيط نتيجة تقليل الوارد الدموي للدماغ.

قلت: وبعد الحجامة.. هل يظل المحجوم صائما؟

قال: لا.. بإمكان المحجوم أن يتناول من الطعام ما سهل هضمه وتمثله، كالخضار والفواكه والسكاكر.. ولهذا عادةً ما يُقدَّم للمحجومين طبقٌ من سلطة الخضار الممزوجة مع قطع من الخبز المحمَّر والمتبَّلة بالزيت والخل مصحوباً بطبق من الزيتون.

قلت: واللبن.. ذلك الغذاء المبارك؟

قال: لا.. يحظر تناوله، وتناول مشتقاته كالجبن واللبن والقشدة والأكلات المطبوخة مع أحد هذه الأنواع طيلة يوم الحجامة، أي: طوال نهاره وليله.

قلت: لم؟.. أأنت من تلاميذ الماكروبيوتيك؟

قال: لا.. أنا من تلاميذ المباركوبيوتيك.. ولكن اللبن ومشتقاته يؤديان في الغالب للغثيان والقيء، ويعملان على اضطراب في الضغط بما يؤدي للضرر.

قلت: لم؟

قال: لاحتواء اللبن على مادة الكالسيوم، وهي تؤدي إلى اضطرابات في ضغط الدم.

قلت: حدثتني عن أسرار البركات، فحدثني عن بركات الشفاء.

قال: هي من الكثرة بحيث لا أطيق أن أذكرها لك في هذا المجلس.

قلت: الحجامة كالعسل إذن؟

قال: هي لا تصل إلى مرتبته.. ولكنها ببركات الله لا تقل عنه.

قلت: مع كل ما ذكرت فإني لا أزال محتارا.. فدلني على ما يزيل حيرتي.

قال: لقد قدر الله مقادير الشفاء كما قدر أسبابها.. فمن الخلق من يكون شفاؤه في الحجامة.. فلا يشفى إلا بها.. فلا ينبغي أن نحرمه من ممارستها.. ومنهم من قدر الله شفاءه في الحبة السوداء، أو في نوع من أنواع العسل.. والطبيب الناصح يمارس

كل ذلك وغير ذلك إلى أن يظفـره اللـه بالـدواء الشـافي والتريـاق المبارك.

قلت: ألا يصبح المريض بذلك فأرا للتجارب؟

قال: لا.. يصبح فأرا إذا سقيتموه بسمومكم التي تنشر الأدواء حيثما حلت.. فإذا نفعت لم تنفع إلا قليلا لا بركـة فيـه.. أمـا الأدويـة المباركة فحيثمـا حلت نفعت، وحيثمـا وقعت شـفت.. فـإن تخلـف شفاؤها في أمر لسبب نجهله لم يتخلف في آخر.

قلت: فهلا تذكر لي أسبابا لتخلفها؟

قال: أسباب ذلك كثيرة منهـا مـا نعلمـه ومنهـا مـا لا نعلمـه.. وأهمها الإيمان.. فالإيمان بحد ذاته شفاء.

قلت: الإيمان بماذا؟

قال: بصدق رسول الله ﷺ في الإخبار عن تأثيرهـا.. والإيمـان بصـدق الملائكـة في نصـحها.. فقـد نصـحتكم بالاستشـفاء بهـا في أعظم رحلـة قـررت أعظم الأحكـام.. فـآمنوا بظـواهر النصـوص تفلحوا وتصحوا.

قلت: بورك فيك وفي نصحك.. فحدثني عن بركات الأنواع.

قال: الحجامة نوعـان: رطبـة، وقـد عرفتهـا، وجافـة.. فأصـخ سمعك لتعرف أسرارها.

قلت: كلي آذان صاغية.

قال: الحجامة الجافـة هي عمليـة تكـوين احتقـان دمـوي في الموضع المطلوب، بواسطة كأس الهواء بدون تشريط، ومن خلال الحجامة الجافة يتم وضع الكأس على الموضع المحـدّد طبقـاً لنـوع المـرض، بعـد عقمـه بـالمطهرات الطبيـة، ويتم شـفط الهـواء من خلال الخرطوم حتى يتم تفريغ الهواء، ومن ثم يترك الكـأس هكـذا لمـدة تـتراوح من 3 إلى 5 خمس دقـائق، ثم يـنزع الكـأس فنجـد دائرة حمراء على سطح الجلد مكان فوهة الكأس.

والحجامة الجافة تنقل الأخلاط الرديئـة من مواضـع الألم إلى سطح الجلد، وبذلك يختفي جزء كبير من الألم.

وقد يتمّ أحيانًا دهن الموضع بزيت الزيتون أو زيت النعنـاع، ثم الشفط البسيط وتحريـك الكـأس على وحـول المكـان المطلـوب، لجذب الدم وتجميعه في طبقة الجلد.

قلت: لقـد رأيت من العامـة من يفعـل هـذا.. وهم يـدعونها كؤوس الهـواء، حيث تشـعل ورقـة أو قطعـة قطن داخـل الكـأس لتفريغ الهواء، ثم توضع مباشرة على جلد المريض.

قـال: ذلـك صـحيح.. فـالهواء يسـخن داخـل الكـأس فيتمـدد

بالحرارة، وعند ملامسته للجلد يبرد الهـواء فينكمش ويقـل حجمـه فيحدث فراغاً داخل الكأس ممـا يجـذب الجلـد إلى جهتـه، ويؤولهـا آخـرون أن الإحـتراق نفسـه يسـتهلك الأوكسـجين ضـمن الكـأس، ويحدث فراغاً يجذب إليـه الجلـد ويحـدث تـبيغ الـدم في موضـعها، حيث يتغير لون الجلد فيصبح بنفسجياً لعدة ساعات نتيجة لاحتقـان الدم فيه وتمر عليه أيام قبل أن يعود إلى الجلد لونه الطبيعي.

قلت: فهل لهذا النوع من الحجامة أثره العلاجي؟

قـال: أجـل.. فالحجامـة الجافـة تفيـد في تخفيـف أو إزالـة الاحتقان من المناطق الواقعة حولهـا، علاوة على حـدوث تـأثيرات انعكاسية أخرى ذات تأثير بين في تسكين الألم وتخفيف الاحتقان.

ومن أهم استطباباتها آفـات الرئـة الحـادة واحتقانـات الصـدر الناتجة عن الإصـابات القلبيـة والرئويـة، احتقانـات الكبـد، التهابـات الكلية، التهاب التامور وفي العصابات القطنية الوربية.

ويمكن أن تقوم الحجامة الجافة مقام الاستدماء الـذاتي لـدى الأطفــال أو لــدى من يتعــذر العثــور على أوردتهم من الكهــول. والاستدماء الذاتي يكون بنقل الدم من وريـد المـريض وحقنـه في عضله الإليوي، وهي طريقة عامة لإزالة التحسـس وتقويـة الـدفاع الذاتي للمريض.

قلت: فهل يدخل الاجتهاد في الحجامة وأنواعها؟

قال: أجل.. بشـرط أن يكـون ذلـك من المختصـين الخـبراء.. وقد حصل من ذلك الكثير..

قلت: فاذكر لي ما يمكن الاستفادة منه.

قـال: من ذلـك مـا يسـمى بالحجامـة المدلكـة، وقـد كتبت اختصاصـية العلاج الفيزيـائي الأمريكيـة أنيتـا شـانون Anita Shanon تقول عن هذا النـوع:(الحجامـة المدلكـة هي تطـوير حـديث لعلاج قديم وتعتبرإضافة فعالة لعملية حفـظ الصـحة ومتممـة لعلاج عـدد من الأمراض الشائعة، ولقد اعتمدت التطبيقات العلاجيـة للحجامـة من خلال إحـداث تـبيغ في الجلـد المحجـوم من أجـل تصـريف السوائل الفائضـة والسـموم.. وحـل التصـاقات وتنشـيط الأنسـجة الضامة.. وتنشيط الدوران الدموي في الجلد والعضـلات القريبـة.. وتنشيط الجهاز العصبي المحيطي)

وتتـابع الـدكتورة شـانون بحثهـا فتقـول: التطـبيق المفضـل للمحـاجم هـو السـطح الواسـع للظهـر، ونتائجهـا لا تصـدق خاصـة كمعالجــة مضــافة للتــدليك، وهي مســكنة بشــكل فعــال للجهــاز العصبي كما تساعد على دخول العضوية في حالـة من الاسـترخاء،

وليس نادراً أن تؤدي إلى غطيط عميق، وهي مفيدة جـداً لمعالجـة ارتفاع الضغط الدموي، والقلق والتعب، والصـداع المـزمن، والآلام العصبية، والتقفـع العضـلي، إذ أن العضـلات المتقلصـة والمحتقنـة تتلين وتسترخي بسرعة بعد دقائق من الحجامة التالية للتدليك.

وترى د. شانون أن تخلية الهـواء من الكـؤوس يحـاكي فعلهـا فعـل الضـغط الـدائري للمسـاج العميـق دون إحـداث أي انزعـاج. وحركة الكؤوس يمكن أن تكون دائرية أو خطية وهي مناسبة لحل العقد الجاسئة أو المعندة من الجلد المؤوف. واحمرار الجلد مكان التطبيق يدل على حضور جيد للـدوران الـدموي في سـطح الجلـد الـذي يمكنـه عنـد تطـبيق المروخـات والحلالات النباتيـة المائيـة المسكنة فوراً بعد الحجامـة أن تمتص عميقـاً في الأنسـجة وتـؤدي إلى فاعلية سريعة.

وتقــول د. شــانون: إن زيــادة الــورود الــدموي الهائــل إلى المنطقة تحضر إليها التغذيـة الكافيـة وتـؤدي إلى سـحب السـموم خارج المنطقـة عن طريـق العـود الوريـدي. وفي الحقيقـة شـعور المرضى لا يمكن وصفه (يكاد لا يصدق)والمرضى كثيراً ما يصفون شعورهم بدفء عميق ودغدغة لطيفة تستمر في المنطقة لما بعد انتهاء الحجامة.

قلت: بورك فيك.. فقد عرفت أسرارا كثيرة كنت أجهلهـا من الأحاديث المخبرة عما جعل الله في الحجامة من شفاء.

قال: هذا واجبنـا ــ نحن المؤمـنين ــ نحـو هـدي نبينـا ﷺ.. فلا ينبغي أن نقصر في التعرف على هديـه وأسـراره.. بـل يبحث كـل في محله ومنزله الذي أنزله الله.

قلت: بالمناسبة.. لقد ورد في الحديث أن النـبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً وكواه عليه(1).

قال: نعم.. أعرف هذا الحديث.

قلت: ألا يتعارض هذا مع المواضع التي ذكرتها للحجامة؟

قال: لا.. هذاالحديث لا علاقة له بالحجامة(2).. بل هو يتحـدث عن عملية أخرى اسمها الفصد(3) أو الفصـادة، وهي شـق أو قطـع للعرق أو الوريد لاستخراج الدم، وهي بـذلك تختلـف عن الحجامـة التي تجري بتشريط الجلد، وليس شق العرق.

قلت: فهل هي من العلاج المبارك؟

---

1) مسلم.
2) انظر: كتاب الحجامة والقسط البحري تأليف الدكتور محمد نزار الدقر.
3) عرف بأنه طرح لكمية من الدم من الدورة الدموية لغاية علاجيـة بحتـة بطريقـة البزل للوريد بإبرة أو جرح الوريد أو تشطيبه وأحياناً ببزل الشريان.

قال: كل ما ورد في النصوص من العلاج علاج مبارك.
قلت: لا أقصد هذا.. بل أقصد استعمالها ومدى نجاعته.
قال: إن الفصد علاج عريق في القدم، وقد ورد ذكره في أوراق البردي الفرعونية، كما خصص له كل من أبو قراط وجالينوس مقالة مفردة.. وأول نظرية متكاملة عللت مقاصد الفصد وضعها أرسطو في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم إن جالينوس ـ وإن كان قد انتقد ارسطو في تفسيره لمنافع الفصد ـ أقر بفوائده الجمة، وأنه يهدف إلى تعديل الأخلاط في الجسم أو تحريكها إذا كان يرجع أسباب المرض إلى خلل في هذه الأخلاط.
وقد كان الفصد الوقائي شائعاً في أوربا حتى ظهور الطباعة عام 1462.
وفي القرن السابع عشر كان الفصد واسع الانتشار في إيطاليا، يدلنا على ذلك تلك الآنية الجميلة التي خصصت لجميع دم الفمصود. ورغم ظهور الأطباء في القرن الثامن عشر في الفصد على اختلاف مذاهبهم الطبية.
وفي أمريكا، وفي عام 1800 نجد أن بنيامين روش اعتمد في معالجته على إحداث نزف غزير لمعالجة الحمى الصفراء حيث يعطي المرضى الملينات ويعالجهم بالفصادة.
وعرف الفصد أوج تطبيقه في بداية القرن التاسع عشر حيث كان 75 بالمائة من نزلاء المشافي يفصدون في أوربا حتى أن مجلة الجراح الشهيرة أخذت اسمها من أداة الفصد، وكان الجراح الفرنسي بروسي من أهم الدعاة إليه وكان يعالج به مرضى الالتهاب الحبني واضعاً قواعد للفصد تعتمد على النبض والحالة العامة، كما دعا بروسي بتطبيق العلق وكانت ممرضته تسأل الوافد الجديد عن مكان ألمه ثم تعلق له من 10 ـ 30 علقة وفق إجابته.
قلت: وأطباء المسلمين؟
قال: الأطباء المسلمون في عصر نهضتهم طبقوا الفصد مؤكدين أثره الوقائي، وهذا ما يؤكده ابن سينا إذ قال:(يجب أن تعلم أن هذه الأمراض مادامت مخوفة ولم يوقع فيها، إباحة الفصد فيها أوسع، فإن وقع فيها ليترك الفصد أصلاً)
ويرى أبو القاسم الزهراوي أن الفصد إما أن يستعمل لحفظ الصحة، وإما أن يستعمل في علاج الأمراض.
قلت: فما الحالات العلاجية التي كان يستخدم لها الفصد

وأثبت جدواه(1)؟

قال: لقد جاء في الموسوعة الطبية السوفياتية الكبرى مقالا مهما عنها كتبه البروفسور ب.كونيايف وآخرون، وقد ذكروا أن للفصادة على العضوية تأثيرات كثيرة.. وأن الطرح المقصود لكمية كبيرة من الدم في وقت قصير تعادل تأثيرات النزف الدموي الحاد، فهي تنقص الدم الجائل وينخفض معها إلى حد ما الضغط الشرياني، وخاصة الوريدي مما يملك تأثيرات إيجابية حالة وجود فرط توتر وريدي ناجم عن قصور البطين الأيمن، وإن عودة الجائل إلى حجمه الطبيعي يتم بسرعة عقب الفصادة بسبب موه الدم، إذ تزيد نسبة الماء فيه أكثر من 15 بالمائة من الحدود السوية، وموه الدم هذا مرتبط بآلية عصبية ـ خلطية ناظمة لحجم الدم الجائل.

وذكروا أن الفصادة العلاجية تعتبر مثيرة لارتكاس العضوية الدماغية، كما أن ما تستدعيه من إعادة توزيع بعض العناصر في العضوية كالماء والشوارد والعناصر المكونة للدم تترافق مع زيادة نشاط آلية التنظيم العام والموضعي لدينمية الدم يؤهب لتراجع الاضطرابات في الدوران الدموي، وهذا ما يوضح ما نراه بعد الفصادة من تحسن الحالة العامة للمرضى وزوال الآلام في الرأس وخلف القص.

وزيادة على هذا(2)، فقد أكد اختصاصي القلب جيروم سوليفان في المركز الطبي في شارلستون بولاية كارولينا الجنوبية أن فقدان الدم بانتظام قد يؤدي إلى حماية الإنسان من النوبات القلبية، فعندما يفقد الجسم كمية من الدم، فإنه يفقد أيضاً عنصر الحديد الذي يخزنه الجسم في صورة مركب الفريتين.

وهو يذكر أن الناس الذين يحتوي دمهم على نسبة قليلة من الحديد هم الأقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية.

ويرجع هذا إلى أن الحديد المختزن يعتبر عاملا شديد الخطورة، وقد تأكد هذا بعد سلسلة من الأبحاث أجراها عدد من الأطباء الفلنديين، الذين تابعوا مجموعة من الرجال من متوسطي العمر لمدة خمس سنوات حيث وجدوا أن الرجال من متوسطي العمر لمدة خمس سنوات، حيث وجدوا أن الرجال الذين أصيبوا بنوبات قلبية هم الذين تزداد نسبة الحديد في دمائهم.

وعلاج هذه الحالة هو فقدان الدم بشكل منتظم، وهي

---

1) انظر: الموسوعة الطبية الفقهية للدكتور أحمد محمد كنعان ـ دار النفائس
2) عن مجلة العربي العدد 434 يناير 1995.

مشكلة محلولة عند النساء بسبب الدورة الشهرية عندهن.

قلت: وعند الرجـال.. فنحن لا نجـد من يقـوم بهـذ النـوع من الفصد.

قال: يوجد ذلك على مستوى واسع.

قلت: أين؟

قـال: في كـل المستشـفيات.. وذلـك بـالتبرع بالـدم بشـكل منتظم، وبحـد أدنى ثلاث مـرات في السـنة.. فتجمـع بـذلك بين علاجين نبويين: الفصادة والصدقة.

قلت: وهل أثبت التبرع بالدم جدواه كنوع من الفصادة؟

قال: أجل.. وقد قام البروفسـور سـالونين وثلاثـة من زملائـه من جامعة كيوبيو بفلندا بدراسة على 2682 شخصاً، ولمـدة سـت سنوات عن فائدة الفصـادة عن طريـق التـبرع بالـدم في أمـراض القلب والأوعية فتبين أن 38 بالمائـة من أمـراض القلب والأوعيـة قد اختفت بفضل التبرع بالدم.. أي أن معظم المتبرعين بالـدم قـد تخلصـوا من آفـات القلب والأوعيـة الـتي تصـيب غـيرهم من غـير المتبرعين.

قلت: فهل هناك ما يمنع من استعمال هذا النوع من العلاج؟

قال: أجل..ولهذا لم يرد أي حديث في فضلها.. بـل ورد النص فقط في جواز استعمالها كأسلوب من أساليب العلاج.. ولهذا تمنع الفصادة مطلقاً عند وجود هبـوط مرضـي في الضـغط الـدموي أو وجــود نقص في حجم الــدم، كمــا أن من مضــادات اســتطباباتها النسبية التصلب العصيدي الدماغي، وفقر الدم من أي منشأ خاصة إذا ترافق مع ميل لتشكل الخثرات.

وهناك بعض الاختلاطات التي تنجم عن الفصادة غير المراقبة بسبب هبوط الضغط أو نقص الخضاب وعدد الكريـات الحمـر في الـدم الجائـل كحصـول فقـر دم موضـعي دمـاغي عنـد المصـابين بالتصلب العصيدي يعالج بإعادة حجم الدم بحقن المصورة أو نقــل كمية من الدم.

كما قد يحصل غشيان عند الأشخاص الضـعفاء عنـد السـحب السريع للدم حيث توقـف العلميـة فـوراً، وينشـق المـريض الغـول النشادري.

الحبة السوداء

بعــد أن أمتعــني بحديثــه عن الحجامــة والفصــد، وآثارهمــا العلاجيـة، ذهب كمـا أتى من غـير أن يـترك لي أي فرصـة لمزيـد

التعرف عليه وعلى فريق البحث المبارك الذي أجرى كل تلك الأبحاث، وأخرج للعالم أسلوبا جديدا من الأساليب التي تعيد الابتسامة للأنين.

لقد ابتسمت من كل قلبي، وأنا أشعر بأن الله تعالى، وإن قدر المرض، فإنه قدر من أنواع العلاج ما يمكن أن يحيط بكل مرض، ويقتل كل داء، وينشر العافية في كل بدن.

لقد صرت أنظر إلى المرض كما أنظر إلى الجوع.. فإن الله خلق للجائع من أصناف الطعام ما يسد جوعه في كل مرة بكل جديد مغن نافع.. وهكذا المرض أرسل له من أنواع العلاج ما يملأ صاحبه بالابتسامة والأمل..

بينما أنا كذلك إذ سقطت حبة سوداء على وجهي، فمددت يدي لأزيحها، فقالت بصوت رخيم: لا.. دعني هنا.. فهذا المكان أفضل لي.

قلت: هو أفضل لك.. ولكنه لا يناسبني.. إن مكانك إما أن يكون سلة المهملات.. أو قدر المطعومات.

قالت: أأنت أيضا تحتقرني.. أتحمل مثل قومك فيروسات العنصرية؟

قلت: لا.. لم أقصد النظر إلى لونك.. فلا يهمني سوادك أو بياضك.. ولكني تعودت أن لا أترك شيئا يسقط على وجهي أو بدني إلا أزحته.

قالت: يمكنك أن تفعل ذلك مع غيري.. أما أنا.. فلا ينبغي أن تنظر إلي إلا باحترام وتقدير وإجلال.

قلت: من أنت حتى تريدين مني هذه المعاملة الخاصة؟

قالت: أنا الحبة السوداء.

قلت: حبة البركة.

قالت: شكرا على هذه التسمية.. ولو أني أفضل ألا تسموني بها.

قلت: لم.. قومي يسمونك بهذا الاسم.. وهم يحترمونك بذلك.

قالت: أحب الاسم الذي سماني به حبيبي ﷺ، فقد قال: (عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كلّ داء إلا السَّام(1)(2)

قلت: لقد أخبر ﷺ عن بركاتك الشفائية العظيمة، فذلك

---

1) الموت.
2) البخاري ومسلم.

أطلقوا عليك حبة البركة.
قالت: أنا من قوم يقولون بسد الذرائع، فأخشى أن يحصــروا البركة في، كما حصر بعضكم السنة في اللحية والقميص.
قلت: أتضحين بهذا الشرف العظيم لأجل سد الذريعة.
قالت: ليس لأجل ذلك فقط.
قلت: فما هو الشيء الآخر الذي يجعلك تضـحين بهـذا الاسـم الجميل؟
قالت: إن كوني حبة سوداء يذكرني بالنقطة التي تحت الباء.
قلت: أتعرفينها؟
قالت: وقد ذقت من حلاوتها ما ترونه من بركاتي.
قلت: ولكني أرى لطعمك مرارة لا أتحملها.
قالت: تلك مرارة أشواقي.. فإني منذ جلسـت ذلـك المجلس الشريف تحت الباء، وقلبي يتفطر شوقا إليه.
قلت: عهدي بالعاشقين تنور وجوههم، فكيف اسود وجهك.
قالت: ليكتب فيه محبوبي بحروف النور بركات الشفاء.
قلت: ألا يؤذيك لونك؟
قــالت: من عرفــه لا يؤذيــه شــيء.. ألم تســمع حــديث ابن عباس؟
قلت: بلى.. فقد قال لـه ﷺ:(ولـو اجتمعـوا على أن يضـروك بشـيء لم يضـروك إلا بشـيء قـد كتبـه اللـه عليـك، جفت الأقلام ورفعت الصحف)(1)
قلت: فحدثيني عن نفسك وعن بركاتك.
قالت: ألا تكفيك منزلتي؟
قــالت: أنــا من قــوم لا يكفيهم إلا مــا يملأ صــدورهم بأخبــار المخابر(2).
قالت: لقد عرفت بركـاتي من قـديم، ولا يهمـني أن يعرفـني قومك أو غير قومك..
قلت: ألم نكلف بخطاب الناس على قدر عقولهم؟
قالت: بلى..
قلت: فرحمتك بهم أن تخاطبيهم بما يفهمون.
قالت: صدقت.. وسأحدثك بما يفهمون، فسل عما بدا لك.
قلت: لقد ذكرت أن بركاتك عرفت من قديم.
قالت: أجل.. ولكن الذي حفظها هـو رسـول اللـه ﷺ، فلـولاه

1) أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عباس.
2) الإعجاز الطبي في السنة النبوية، للدكتور كمال المويل.

لكنت كغيري في غمار النسيان.

قلت: فمن عرفك من الشعوب؟

قالت: لقد عرفني المصريون القـدماء، ولكن لم يعـرف على وجه التحديـد كيفيـة اسـتخدامهم لي إلا أن اكتشـاف زيـتي ضـمن مقتنيات أحد ملوكهم يدل بصـورة قاطعـة على مـدى أهميـتي في هذه الفترة.

ويشير العهد القديم في سـفر أشـعياء إلى أهميـتي والطـرق المتبعة حينئذ للحصـول على زيـتي، وقـد عـرف العـبرانيون نبـاتي الذي كان ينمو بصورة واسعة في مصر وسوريا، باسم كيتساه.

وكتب ديسـكوريدس، وهـو طـبيب يونـاني شـهير عـاش في القرن الأول الميلادي: أن بذور حبة البركة كانت تستخدم في علاج الصـداع واحتقـان الأنـف وآلام الأسـنان، بالإضـافة إلى اسـتخدامها لطارد الديدان، كذلك استخدمت كمدر للبول واللبن.

بركات التكوين:

قلت: حدثتني عن تاريخك، فحدثيني عن أسرار بركاتك.

قالت: لقد حدثتك بأن بركتي مستمدة من عبوديتي، فكل من تحقق بعبودية الله نال من بركات الله.

قلت: أقصد ما يفهمه قومي.. فهم لا يؤمنون بمثل ما قلت.

قالت: لا بأس.. سـأحدثكم عن كفـني الـذي أتكفن بـه.. لقـد عكف العلماء منـذ زمن على معرفـة كيفيـة عملي، وخاصـة دوري في عملية التئام الجروح، والـذي اسـتدعى معرفـة مكونـاتي، وقـد وجـــدوا أني أحتـــوي على العديـــد من الفيتامينـــات والمعـــادن والبروتينيـات النباتيـة، بالإضـافة إلى بعض الأحمـاض الدهنيـة غـير المتشبعة(1).

بالإضــافة إلى احتــوائي على العديــد من الأحمــاض الدهنيــة الأساسـية والمهمـة لصـحة الجلـد والشـعر والأغشـية المخاطيـة، وكذلك عمليـة ضـبط مسـتوى الـدم وإنتـاج الهورمونـات بالجسـم وغيرها من الوظائف الحيوية المهمة.

بالإضافة إلى كل هذا أحتوي على مادة النيجيللون، وهي مادة بلّورية تم استخلاصها لأول مـرة في عـام 1929، وقـد اسـتخدمت منذ ذلك الحين باعتبارها المادة الفعالة الموجودة ببذرتي.

ويعد النيجيللون أحد مضادات الأكسدة الطبيعية مثل فيتـامين

---

1) إن (100)غ من الحبة السوداء تحتوي على: (19.3)غ ماء، و(17.9)غ بروتين، و(12.9)غ دهن، و(10.80)ملـغ كالسـيوم، و(1)ملـغ كالسـيوم، (20)ملـغ فيتـامين أ، و(2.6)ملغ نياسين، و(6.3)غ ألياف، و(7.8)غ رماد.
والقيمة الغذائية تساوي (364)سعرة حرارية.

ج وأ وكـذلك الجلوتـاثيون، والـتي تلعب دوراً أساسـيًّا في حمايـة الجسم ضد مخاطر ما يسمي بالشوارد الحرة.. وهنـاك العديـد من الأبحاث التي نشرت مؤخراً عن دور الحماية الذي يلعبه النيجيللون في حماية الجسم من مخاطر العديد من المواد الغريبة.

قلت: وزيتك؟

قالت: إن الـزيت الطيـار الـذي وضـعه اللـه في يحتـوي على مادة النيجيللون، وهي مادة مضادة للهسيتامين، ومنها فائدة الحبـة السـوداء في علاج الربـو بتوسـيع القصـبات، وفي علاج ارتفـاع الضغط الدموي بتوسيع الأوعية الدموية، وفي علاج بعض الأمراض الهضمية بإزالة التشنجات المعدية والمعوية.

قلت: أرى فريقا من قومي يفصـلون زيتـك، ويبيعونـه بـأغلى الأسعار.. ويزعمون له خواص علاجية خطيرة.. فهل ذلك صحيح؟

قالت: ألا تعرف قومك؟

قلت: أعرفهم وأجهلهم.

قـالت: لقـد أهلكهم حب الـدينار والـدرهم، فراحـوا يتلاعبـون بأجساد الخلـق لأجلهمـا.. ألم تعلم كيـف حولـوا الرقيـة إلى شـبكة يصطادون بها؟

قلت: بلى.. وقد سمعت من ذلك الكثير.

قالت: فكذلك هم يصطادون بزيتي، ويتلاعبون به.

قلت: ولكن الرسول ﷺ أخبر عن بركاتك..

قالت: أخبر عن بركـات الحبـة السـوداء.. لا عن بركـات زيت الحبة السوداء.. فإن كانوا مستنين بهدي النبوة، فليأخذوا الحـروف بمعانيها.. ولا يبتدعوا.

قلت: لكنهم إن فعلوا ذلك لم يقدموا جديدا.. فالحبة السوداء تباع عند كل عطار، بل عند البقالين..

قالت: وما يضرهم أن يجعلني الله غذاء ودواء.

قلت:....

قالت: أنت تريد كلام المخابر.. لا مجرد كلام.

قلت: لم تجاوزي ما في نفسي.

قالت: لقـد أخـبر المختصـون الصـادقون أن فوائـدي تتوقـف على عدم طحني إلا عند الاستعمال، لأني إذا سحقت وتركت ـ ولو لعدة ساعات قبل استعمالي ـ فإن المادة الفعالة تتطاير مني، لأنها عبارة عن زيت طيار.. لكن إذا سحقت، ثم مزجت مع عسل مزجاً جيداً، وحفظت في علبة قاتمة اللون ومحكمة الغلق، فإني أحتفـظ بفائدتي.

قلت: فما أفضل طريقة للاستفادة من بركاتك؟

قالت: بسيطة جدا كبساطتي.. لا تكلف فيها ولا تجارة.. وهي فوق ذلك سنة المصطفى ﷺ.

قلت: شوقتني، فما هي؟

قالت: لقد حدث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى تقمح(1) كفا من شونيز وشرب ماء وعسلا(2).

قلت: أيكتفي بسفك؟

قالت: أجل.. فإن أضفت إلي ما فعل رسول الله ﷺ تكون قد نلت ثلاث بركات: بركتي، وبركة الماء، وبركة العسل.

قلت: ولكني قد لا أطيق ذلك؟

قالت: فافعل بعض ما يفعله بعض قومك.

قلت: وما يفعلون؟

قالت: يضعون ملعقة مني على صحن يحتوي على اللبن الزبادي، ويغمر بزيت الزيتون.. ثم يجعلون ذلك من أطباق الفطور في الصباح أو العشاء.

قلت: هذه وصفة طيبة.

قالت: وأطيب منها وصفة الحبيب، بأبي هو وأمي.

قلت: فما المقدار الذي أنتفع به منك؟

قالت: إن كنت على دين قومك، فليس هناك دليل علمي كاف يشير إلى ذلك، إلا أن الدراسة التي أجريت في أمريكا وأشارت إلى فائدة الحبة السوداء في تنشيط الجهاز المناعي، استخدمت جراما واحدا من الحبة السوداء مرتين كل يوم(3).

قلت: أهذا صحيح؟

قالت: لا زالت أبحاثكم قاصرة في هذا المجال، ولولا أن معلم البركة نهاني أن أتكلم لك بغير ما يعرفه قومك لذكرت لك ما ينقضي دونه العجب.

قلت: ولم نهاك؟

قالت: هذا من العلوم التي تحتاجون أنتم لامتطاء سنن الله للبحث فيها..

قلت: لا بأس.. فإن قولك هذا يشجع على إجراء المزيد من البحوث بطمأنينة وثقة.

---

1) تقمح: أي استف كفا من حبة السوداء يقال: قمحت السويق بالكسر إذا استففته. النهاية (4/107)

2) الخطيب البغدادي عن أنس.

3) ذكر بعضهم أن بعض الأمراض الداخلية يكفي فيها جرعات صغيرة، أما بعضها الآخر، فيحتاج لجرعة أكبر... وذكر أن الجرعة الفعالة حوالي ملعقة صغيرة.

قـالت: أنـا منجم من منـاجم الصـحة، لكن لمن عـرف كيـف يستعملني.

قلت: أيخطئون في استعمالك؟

قالت: كثيرا..

قلت: اذكري لي أمثلة على ذلك.

قالت: أنا دواء.. وينبغي أن أستعمل بمقدرا محـدد، وقـد ذكـر بعضهم أنه لا ينصح باستعمالي بشكل يومي مستمر.. بل أسـتعمل لمـدة 14 يومـاً، ثم يكـرر العلاج بعـد أسـبوعين أو أكـثر، لإمكانيـة حدوث الأعراض الجانبية.

قلت: فهل ذكروا بعض المحاذير من استعمالك؟

قالت: الأصل أني من الأدوية المباركة.. وهي لا محاذير فيها.. ولكن سـوء الاسـتعمال جعـل البعض يحـذر من اسـتعمالي لمن يعانون من انخفاض ضغط الدم، أو نوبة الربو الحادة..

ومثل هؤلاء يحذر النساء الحوامل من استخدامي خلال فـترة الحمل، لأن الزيت الثابت للحبة يسـقط الجـنين.. ومثلهن الاطفـال الرضع.. ومثل ذلك استخدامي مع أدوية كيماويـة أو عشـبية أخـرى خشية حدوث تداخلت دوائية(1).

بركات الشفاء:

قلت: حـدثتني عن بركـات التكـوين، فحـدثيني عن بركـات الشفاء.

قالت: لقد اخبر ﷺ عن بركات الشفاء التي أودعهـا اللـه في، فقال ﷺ: (إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)(2).. وفي حـديث آخـر يـأمر ﷺ بالاستشـفاء بي، فيقـول:(عليكم بهـذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السأم)(3)

وقد وردت أحاديث أخرى بصيغ أخرى تؤكد هذا، فقد قال ﷺ: (الشونيز(4) دواء من كـل داء إلا المـوت)(5)، وقـال ﷺ:(الشـونيز دواء من كل داء إلا السام)(6)

قلت: صدق رسـول اللـه ﷺ، ولكن شـراح الحـديث خصصـوا العموم الوارد في الحديث، فذكر بعضـهم أن هـذا من العـام الـذي يراد به الخاص، لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع

---

1) ومثل ذلك استخدام الحبة السوداء كعلاج للاشخاص الذين يستخدمون الاسبرين بصفة مستمرة وكذلك الورفارين مرقق الدم.
2) البخاري ومسلم.
3) النسائي وابن ماجة.
4) هو الحبة السوداء.
5) ابن السني وأبونعيم عن بريدة.
6) الترمذي.

الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدواء بمقابلها، وإنما المـراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة.

وذكر آخـر اسـتدلال عقليـا على هـذا، فـذكر أن العسـل عنـد الأطباء أقرب إلى أن يكـون دواء من كـل داء من الحبـة السـوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسـل لتـأذى بـه، فإن كان المراد بقوله في العسل فيه شـفاء للنـاس الأكـثر الأغلب فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى.

وقال غيرهما: كان النبي ﷺ يصف الدواء بحسب مـا يشـاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافـق مـرض من مزاجه بارد، فيكون معـنى قولـه:(شـفاء من كـل داء)أي من هـذا الجنس الذي وقع القول فيه(1).

قالت: لقد أخطأوا في التأويل.. أيستدركون على رسول اللـه ﷺ.. كيف يقولون هذا، وقد قال ﷺ:(شفاء من كل داء)

قلت: للأسف.. قد اتفق الشراح على هذا.

قالت: لا.. لم يتفقوا.. ألم تسمع ما قال الشيخ أبـو محمـد بن أبي جمرة، فقد أتاه الله علما وحكمة؟

قلت: فما قال؟

قـالت: لقـد قـال: تكلم النـاس في هـذا الحـديث، وخصـوا عمومه، وردوه إلى قول أهل التجربة، ولاخفاء بغلط قائل ذلك، لأنا إذا صدقنا أهـل الطب، ومـدار علمهم غالبـا إنمـا هـو على التجربـة التي بناؤها على ظن غالب، فتصديق من لا ينطق عن الهـوى أولى بالقبول من كلامهم(2).

قلت: بورك فيه.. فقد غار على حديث المصـطفى ﷺ من أن يمسه التبديل والتغيير.

قالت: وقد أثبت علمكم ما قال.. وسـيثبت المسـتقبل تأويـل كل ما قال.. فكلام رسول الله ﷺ لا يتخلف.

قلت: فحدثيني عن بركات شفائك التي عرفوها.

قالت: لن أحدثك على ما قال القدماء.. فلن تفهم كثـيرا ممـا ذكروا.. بالإضافة إلى أن ما ذكروه لم يقدرني حق قدري.

قلت: ستحدثيني عن الدراسات المعاصرة.

قالت: أجل.. وهي ـ مع الجهد الذي تبذله ـ لا تزال قاصرة.

قلت: فمن يجري هذه البحوث؟

قالت: لقد تم نشره عشـرات البحـوث مـؤخرًا في الـدوريات

---

1) فتح الباري: 10/145.
2) فتح الباري: 10/145.

العلمية المختلفة عن فوائد استخدامي.. وهي تؤكد جميعـا الفوائـد العديدة التي وصفتها النصوص.

ومعظم هذه الأبحاث يأتي من أوروبا وتحديدًا النمسا وألمانيا، والتي تأتي في مقدمة الدول الداعية لإحيـاء طب الأعشـاب كطب بديل.

وانطلاقـا من هـذا ظهـرت مستحضـرات طبيـة متنوعـة بين أقراص وكبسولات وأشربة وزيوت في العديد من الـدول الأوربيـة، والولايات المتحدة، بالإضافة إلى بلدان العالم العربي والإسلامي.

قلت: فهل تعتبرين هذه الدراسات كافية للتنويه بقدرك؟

قالت: لا.. لقد ذكرت لك أنها قاصرة جدا.. فمعظم ما تم من دراسات كانت دراسات بدائية أجريت على الفئران، وكانت نتائجهـا مشجعة، ولكن يقتضي الأمر إجـراء المزيـد من الدراسـات لتوثيـق النتائج واستخلاص التوصيات.

قلت: فاذكري لي بعض هذه التجارب لأتبين المنهج الـذي يتم على أساسه معرفة فوائدك.

قـالت: سـأذكر لـك أربعـة أنـواع من التجـارب، أمـا إحـداها، فبمسـحوقي، وأمـا الثانيـة، فبخلاصـتي المائيـة، وأمـا الثالثـة، فبخلاصتي الكحولية، وأما الرابعة فبزيتي الطيار.

قلت: فحدثيني عن النوع الأول.

قـالت: لقـد كشـفت بعض البحـوث أن معالجـة الإنسـان أو الجـرذان بمسـحوقي أدت الى زيـادة عـدد ونشـاط بعض خلايـا المناعة مثل خلايا T الليمفاوية القاتلة وتنشيط الخلايات المبلغمة في التقام الجراثيم، كما أوضحت البحوث قدرة هذه الحبـوب على زيادة افراز ادرار اللبن في الأغنام.

قلت: والنوع الثاني؟

قالت: لقد كشفت الدراسات التجريبية عن قـدرة الخلاصـات المائية لحبة البركة على تنشيط افراز بعض عوامل تنشيط المناعة من الخلايا اللمفاوية مثل مادتي انترليوكين1، وانترليوكين 3، وإلى تنشيط بلغمه الجراثيم، وكـذلك إضـعاف إفـراز السـوائل المعديـة الحمضية، ومنع حـدوث القـرح المعديـة التجريبيـة المحدثـة بمـادة الاسبرين في الجرذان.. بالإضافة إلى علاج بعض أمـراض الديـدان المعوية في الأغنام والديدان الشريطية في الاطفال.

قلت: والنوع الثالث؟

قـالت: لقـد كشـفت الدراسـات التجريبيـة أن للخلاصـات الكحوليـة للحبـة السـوداء عـدة تـأثيرات، مثـل الفتـك بالعديـد من

الجـراثيم مثـل الاشـريكية القولونيـة والزائفـة الزنجاريـة وبعض الفطريـات مثـل الرشاشـية.. بـل إبـادة بعض الخلايـا السـرطانية وإرخاء عضلات الأمعاء وكبح التقلصـات والآلام التجريبيـة المحدثـة ببعض الكيماويات.. وعلاج بعض المصابين ببعض الديـدان المعويـة مثل الـدودة الشـريطية والصـفرا الخراطيـني.. وتثبيـط الالتهابـات والآلام ومنع تسوس الأسنان ومنع انخفاض مستوى الهيموغلـوبين، وعـدد كريـات الـدم البيضـاء المحـدث ببعض العقـاقير المضـادة للسرطان مثل عقار سيسبلاتين.

قلت: والنوع الرابع؟

قالت: لقـد كشـفت الدراسـات التجريبيـة قـدرة هـذا الـزيت الطيار في جرعات صـغيرة على إحـداث بعض التـأثيرات كتخفيض ضغط الدم الشرياني، وتخفيض سرعة النبض القلبي في الجـرذان والـوبر بتـأثيره المنشـط على بعض المسـتقبلات السـروتونية في المخ.. وزيادة سرعة التنفس وتقلصـات في رغـامي حيـوان الـوبر عن طريق افراز مادة الهستامين.. وزيادة افراز مادة الصفراء في الكلاب.. وزيادة اخراج حمض اليوريـك المسـبب لمـرض النقـرس في البول.. والفتك بالعديد من الجراثيم مثل السـلمونيلله والتيفيـة والصـنمة الهيضـية والزانفـة الزنجاريـة وبعض الفطريـات مثـل الرشاشـية السـوداء وبعض الديـدان المعويـة.. وإرخـاء عضـلات الامعاء وكبح التقلصات المحدثة ببعض الكيماويات فيهـا.. وتخفيض مستوى سكر الدم في الأرانب والجرذان الصـحيحة المصـابة بـداء السكر التجريبي بعد معالجتها بجرعات 5 مليجرام/ كيلوجرام حقنا في الصفاق بدون أي تأثير على مستوى الانسولين في الدم.

امـا مـركب الفابـاينين فقـد اكتشـفت قـدرتها على تثبيـط الالتهابات التجريبية عبر افـراز مـادة هيـدروكورتيزون وتثبيـط نمـو بعض الجراثيم خصوصا تلك المرتبطة بالتهابات حب الشـباب، كمـا أن لها القدرة على تثبيـط نمـو بعض الأورام السـرطانية في أكبـاد الجـرذان وزيـادة افـراز المخـاط من الشـعب الهوائيـة في بعض المرضى المصابين بالتهابات رئوية وبالأخص المزمنة.

قلت: حدثتني عن الدراسـات الـتي أجـريت عليـك، فحـدثيني عن استخداماتك التي توصلت هذه الدراسات إليها.

قـالت: لقـد دل مـا ذكـرت من الدراسـات وغيرهـا على استعمالات صحية كثيرة لي.. سأقتصر لـك منهـا على مـا أرى أنـه ينفعك، ويملؤك يقينا بما وضع الله في من بركات الشفاء.

قلت: فحدثيني بارك الله فيك.. وقد فعل.

قـالت: لقـد ثبت حـديثاً من خلال الدراسـات والأبحـاث الـتي أجــريت علي أني ألعب دوراً هامــاً في تقويــة وتنشــيط الجهــاز المناعي في جسم الإنسان.

وبما أن قدرة الجسـم على مجابهـة الأمـراض مرتبطـة بقـوة جهازه المناعي، فإنني بتقويتي لهذا الجهاز أشكل شفاء ودواء لكل الأدواء، فلذلك أفيد في معالجة كل الأمراض، بما فيه السرطانات، والأدواء التنفسية التي تصيب الإنسان.

قلت: فما سر تقويتك للجهاز المناعي؟

قـالت: لقـد أثبتت الدراسـات أنَّني أنشـط جهـاز المناعـة في جسم الإنسان بزيادة نسبة التائيـات المناعيـة مقارنـة مـع التائيـات المثبطة، ومن هنا كانت فائدتي في مكافحة الأمراض بشكل عـام، والأمراض الفيروسية بشكل خاص.

قلت: فحدثيني عن بعض ثمرات هذا العلاج.

قالت: في الأمراض التنفسية أفيد في علاج الزكام والسـعال والرَّبـو.. وفي الأمـراض الهضـمية أفيـد في علاج عسـر الهضـم، وغازات المعدة والأمعاء وضعف الشهية للطعـام، وداء المتحـولات الزحارية، والديدان الشريطية، وديدان الأسكاريس..وفي الأمـراض الجلديــة أفيــد في علاج الجــرب والقوبــاء الجلديــة، والالتهابــات الجلدية، والبثور الجلدية، وحب الشباب.

الأمران

بعد انصراف الحبة السوداء شـعرت بمـرارة تقـرص لسـاني، فمـددت يـدي إلى لسـاني لأرى سـر هـذه المـرارة، فنـادتني نبتـة بصوت رخيم: لا تمسح المرارة، فلولاها ما عرفت الحلاوة.

قلت: من أنت يرحمك اللـه.. فـإن صـوتك قـد ملأني شـوقا.. والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

الثفاء:

قـالت: أنـا الـتي قـال في الحـبيب المصـطفى ﷺ:(عليكم بالثفاء(1) فإن الله جعل فيه شفاء من كل داء)(2)

قلت: أأنت التي ذكـرت مـع الصـبر، في قولـه ﷺ:(مـاذا في الأمرين من الشفاء: الثفاء والصبر)(3)؟

---

1) الثُّفّاء نبات عشبي حـولي قـائم من الفصـيلة الصـليبية موطنـه منطقـة الشـرق الأوسـط والحجـاز ونجـد. وأزهـاره بيضـاء متعـددة. و من أسـماء الثفّـاء _ الرشـاد _ في سورية _ البقدونس الحاد _ يؤكل من غير طبخ حيث تضاف أوراقه الغضة إلى السـلطات والحساء ومع اللحوم والسمك كمادة مشهية، مسهلة للهضم.

2) ابن السني وأبو نعيم في الطب.

3) أبو داود في مراسيله والبيهقي.

قالت: بلى.. وقد جاء معي إليك لترى من بركاتنا ما تستحلي به المرارة، كما تستحلي الحلاوة.
قلت: لا أعرف أن المرارة تستحلى.
قالت: بل إن حلاوتها لا تقل عن حلاوة الحلاوة.
قلت: لكن..
قاطعتني وقالت: إن مرارتنا أحلى بكثير من تلك الحلاوات التي يقتلونكم بها، ويملأون أجسادكم وأوراحكم سموما.
قلت: سلمت لك.. فإني أعلم عداوتك وعداوة إخوانك لسمومنا.
قالت: أتعلم سر مرارتي؟
قلت: لعلها مرارة الأحزان..
قالت: القلب الذي يعرفه لا يعرف الأحزان..
قلت: وهو لا يعرف المرارة.. فكيف عرفتها أنت؟
قالت: أنا لا أختار لنفسي حلاوة ولا مرارة.. فعبوديتي تجعلني أختار ما يختار لي، وحبي الذي ملأ به صدري يجعلني لا أشعر بحرارة ولا برودة، ولا مرارة ولا حلاوة، ولا شيء مما تشعرون به وتتألمون، أو تفرحون.
قلت: فقد قطعت مراحل في الطريق إليه.
قالت: أنا لم أسر حتى أقطع.
قلت: فكيف وصلت إلى هذه المرتبة؟
قالت: من لم يوصله لم يصل.. ومن لم يحركه لم يتحرك.
قلت: أتقولين بالجبر؟
قالت: جبر المحبين، لا جبر المتكلمين، ألم تسمع ما قال حاديهم:

أريدُ وصالَه ويريدُ هَجْري فأتركُ ما أريدُ لما يريدُ

قلت: سلمت لك ما ذكرت.. فحدثيني عن سر بركاتك.
قالت: نحن لم نتجاوز الحديث عنها.
قلت: أقصد ما يعرفه قومي من العناصر والمركبات.. والآثار الشافيات.
قالت: ما أقل فقهكم.. لا تتبركون بالحب القدس.. وتتبركون بالطوب والجدران.
قلت: نحن من قوم لا نعرف من الحضارة غير الجدران..ألم يصفنا ﷺ بأنا من المتطاولين في البنيان.. فلذلك لا نرى منك غير ما فيك من العمران؟
قالت: لا مناص لي من خطابك وخطاب قومك على قدر

عقولكم.. يذكر قومك أني من أكثر النباتات غنى بـاليود.. وهـذا مـا يجعلـني سـهلة الهضـم، كمـا أني أحتـوي على الحديـد والكـبريت والكلس والفوسفور والمنغنـيز والـزرنيخ، وأنـا غنيـة بالفيتـامين ج، وأحتـوي على نسـبة قليلـة من الفيتـامين أ وب PP, والكـاروتين..

وتدل دراسـات حديثـة على احتـوائي على عنصـر (سـكوالين)وهـو مفيد؛ إذ يستخدم كقاتل للبكتيريا ويسـتخدم أيضـاً كمضـاد للأورام، وهو مقوٍ لمناعة الجسم أو منبه لمناعة الجسم.

قلت: بورك في تكوينك.. فما بركات شفائك؟

قالت: لقد اتفق الأقدمون والمحدثون على أني أفيـد التقويـة العامة، وأني فاتحة للشـهية، مـدرة للبـول، طـاردة للريـاح، مهدئـة ومخفضة لضغط الدم، صالحة لعسر النفس، وللربـو وجلاء الصـدر من البلغم والنيكوتين، فعالة في تفتيت الحصى والرمال ومكافحـة للسرطان والروماتزم والسكري والسل.. أفيد في أمـراض الجلـد، ولتنقيه البول وطارد للسموم، وضد النزلات الصدرية والصداع.

ويـرى الـدكتور جـان فالينـه أنـني مقويـة ومرممـة ومشـهية، ومفيـدة لمعالجـة فقـر الـدم، وضـد داء الحفـر، ومـدرة للبـول، ومقشعة ومهدئة، ومنشـطة لحيويـة بصـيلات الشـعر، حيث تطبـق عصـارته على فـروة الـرأس لمنـع تسـاقط الشـعر، ولمعالجـة التقرحات الجلدية.

قلت: رأيت بعض قومي يستعملونك حساء.

قالت: بورك فيما يفعلون.. فهذا الحساء طارد للدود، ومكافح للتسـمم.. وينصـح بتناولـه المصـابون بـالتعب والإعيـاء، وللحوامـل والمرضعات والمصابين بتحسس في الطـرق التنفسـية والجلديـة، كما في الأكزيما، وهو نافع للبواسير النازفة.

قلت: ورأيت بعض قـــومي يســـتعملون مغلى بـــذورك أو منقوعها أو مسحوقها؟

قالت: نعم ما فعلوا.. فهذا صـالح لمعالجـة الزحـار والإسـهال والأمراض الجلدية وتضخم الطحال.

ويمكنهم أن يصنعوا كمادة من مسـحوقي كمسـكن لمعالجـة آلام البطن والآلام الرئوية وغيرها.

قلت: فكيف نستعملك؟

قالت: يكفيكم كأس من مغلي الرشاد صباحاً ومساءً، ويضاف إليه العسل.

قلت: أتنصحيني بالمداومة على هذا؟

قالت: لا.. ينبغي أن تسـتعملني بجرعـات متوسـطة، ولفـترة

محددة.. والمناسب هو ملعقة صغيرة في اليوم، ولمدة (30)يوماً.
أما كثرة استخدامي ـ سواء بزيادة حجم الجرعة عن ملعقة صغيرة من مطحون حب الرشاد أو زيادة المدة ـ فإنني لا أنصحك بها.
قلت: وما أضرار الإفراط في تناولك؟
قالت: ألا تعلم أني أحتوي على مركب (البنزايل أيزو تايوسيانيد)؟
قلت: وما به هذا المركب؟
قالت: هذا المركب يعمل على تثبيط الأورام السرطانية في الحيوانات عموماً، ومنها الإنسان.. فهو مادة مثبطة للبكتيريا والفطريات.
ولكن إذا أخذ بكميات زائدة، فإنه يسبب أمراض الغدة الدرقية، ولذلك فإن هذا المرض يكثر عند النساء بدل الرجال، لأن النساء يستخدمن حب الرشاد أكثر من الرجال، وربما بجرعات زائدة.

الصبر:

ما إن انتهى الثفاء من حديثه حتى تقدم الصبر، وهو يقول: أنا الصبر(1).. أخو الثفاء.. وكلانا أخبر رسول الله ﷺ عن بركاته.. وأنا أروي حديثا عني .. ذكر فيه الرسول ﷺ أن الرجل إذا اشتكى عينيه ضمدهما بالصبر(2).
قلت: فقد وصفك رسول الله ﷺ في هذا الحديث للعيون.
قال: أجل.. وقد قال ابن سينا يثبت هذا:(إنه ينفع من قروح العين وجربها وأوجاعها، ومن حكة المآق، ويخفف رطوبتها)
ومثله قال أبو بكر الرازي:(وهو أيضا نافع للعين مجفف للجسد)
وقال إسحق بن عمران:(إنه ينفع من ابتداء الماء النازل في العين، وينقي الرأس والمعدة وسائر البدن من الفضول المجتمعة فيها)
وقال داود الأنطاكي:(والاكتحال به يحد البصر، ويذهب الجرب والحرقة وغلظ الأجفان)
قلت: صدقوا جميعا.. ونحن نحترمهم غاية الاحترام.. ولكن.. أنت تعلم قومي.
قال: أجل.. قتلهم الغرور، فلا يسمعون إلا أنفسهم.

---

1) مقالة للدكتور حسان شمسي باشا.
2) مسلم.

قلت: أجل.. فأنت تعلم ذلك.. ولا أحسب إلا أنك عانيت منهم.

قال: أجل.. ولولا ما حباني الله به من الصبر لفررت منهم حيث لا يروني ولا ينتفعون بي.

قلت: فحدثني عما قاله قومي.

قال: لقد نشرت مجلة Cuits الأمريكية الشهيرة مقالا عن الصبر عام 1986 تقول فيه: (لقد تبين من خلال الدراسات السريرية الحديثة أن للصبر دورا في معالجة الالتهابات الجلدية الشعاعية، وسحجات الجلد السطحية، وفي تقرح قرنية العين، وفي قروح الرجلين)

قلت: فما سر هذا؟

قال: ما ملأني الله به من الصبر.

قلت: قومي لا يفهمون هذا.. فحدثهم عن العناصر والمركبات.

قال: لقد اكتشف العلماء وجود أربع مواد كيميائية فعالة في الصبر.

قلت: فما أولاها؟

قال: برادي كينياز، وهي مادة تزيل الألم والحكة والاحتقان، ولها فعل مقبض للشرايين، مما يخفف الانتفاخ والاحمرار الحاصل مكان الالتهاب.. وهذا ما يفسر إدخال شركات الأدوية ومستحضرات التجميل مادة الصبر في المستحضرات التي تعالج حرق الشمس.

قلت: فالثانية؟

قال: لاكتات المغنيزيوم.. وقد ثبت أنها تمنع تشكل الهيستامين، وهي المادة التي تسبب الحكة في الجلد..وهكذا أخفف من الحكة والالتهاب، وهذا ما يفسر فاعليتي في علاج لدغات الحشرات.

قلت: فالثالثة؟

قال: مضاد البروستا نلاندين.. وهي تخفف الألم والالتهاب مثلما تفعل حبوب الأسبرين.. وهكذا تعمل هذه المواد الثلاثة معا على تخفيف الألم والالتهاب، وتسكين الحكة والحرقان.

قلت: فالرابعة؟

قال: هي مادة الانتثراكينون.. ويعزى لها الفعل المسهل للصبر.

قلت: لقد وضع الله تعالى فيك مزيجا من مواد مسكنة، وأخرى مهدئة للحكة والالتهاب.

قال: أجل.. ولهذا وصفني رسول اللـه ﷺ ضـمادا على عيـني المريض الملتهبتين.

قلت: لقد سمعت حديثا عن دورك في تلطيف الجلد.

قال: أجل.. لقد روت أم سلمة قالت: دخل عليّ رسول اللـه ﷺ حين توفي أبو سلمة، وقد جعلت علي صبرا، فقال:(ماذا يـا أم سلمة؟)فقلت: إنما هو صبر يا رسول الله، ليس فيـه طيب، فقـال ﷺ:(إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل)

قلت: فقد ذكر ﷺ أنك تشب الوجه، أي تلونه وتحسنه.

قال: أجل.. وقد أثبتت الدراسات العلميـة الحديثـة أن للصـبر تأثيرا مرطبا للجلد، فيلطف الجلد وينعمه.

قلت: فما سر هذه الخاصية؟

قـال: يعـزو العلمـاء ذلـك إلى أنـني أحبس المـاء في الجلـد فيرطبه وينعمه.. ولهذا تجد في أسواق قومك مركبات مختلفة من كريمات ومستحضرات دوائية، وقد دخل في تركيبها مادة الصبر.

قلت: إن بعض قومي يصفونك لالتهاب المفاصل الرثواني.

قال: صـحيح هـذا.. وهـو مـرض مـؤلم جـدا، وقـد يـؤدي إلى حـدوث تشـوه في المفاصـل، وإعاقـة شـديدة في حركتهـا.. وهـو يصيب المفاصل الصغيرة في اليدين والقدمين بشكل خاص.

وقـد نشـرت مجلـة النقابـة الطبيـة لأمـراض الأقـدام بحثـا استخدمت فيه موضـعيا على مفاصـل ملتهبـة عنـد الفـئران.. وقـد أظهـرت الدراسـات الحديثـة أنـني فعـال في علاج هـذا الالتهـاب.. وهناك تجارب علمية تجرى حاليا على الإنسان.

قلت: ألا زالت بعض بركات شفائك لم تكشف بعد؟

قال: أجل.. ألم يقل ﷺ:(ماذا في الأمرين من الشفاء: الثفاء والصبر)(1)، فهـذا الحـديث يحمـل الدلالـة الواضـحة على البركـات الكثيرة التي أحملها.

السنا والسنوت

ذهب الأمران، وجـاءني اثنـان كأنهمـا أخـوان، فقلت: لا شـك أنكما السنا والسنوت.

قالا بصـوت واحـد: أجـل.. فقـد جمـع رسـول اللـه ﷺ بيننـا.. فلذلك ترى الأخوة بيننا متصلة، والمحبة بيننا منعقدة.

قلت: لقــد قــال رســول اللــه ﷺ فيكمــا:(عليكم بالســنا

1) أبو داود في مراسليه والبيهقي.

والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام، وهو الموت)[1]
قالا: أجل.. فنحن من أدوية السماء التي أنزلها الله على عباده، وبارك فيها.
قلت: فحدثاني عن نفسيكما.

السنا:

تقدم السنا، وقال: أما أنا، فقد وردت في النصوص تبين ما في من البركات، فعن أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ سألها بماذا كنت تستمشين[2]؟، فقالت: بالشبرم[3]، فقال ﷺ: (حار جار)، ثم استمشيت بالسنا، فقال النبي ﷺ:(لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا)[4]
قلت: فقد وصفك ﷺ كدواء ملين.
قال: لا.. لقد اعتبرني ﷺ من الأدوي المباركة التي لا يحد تأثيرها.
قلت: ولكن الحديث ورد في تسهيل البطن.
قال: النصوص المقدسة لا تخصص بمناسباتها.. بل تراعى فيها الألفاظ الواردة فيها.. لأنها خرجت ممن لا ينطق عن الهوى.
قلت: لن أجادلك في هذا.. فأنت أدرى بما وهبك الله من بركات.. ولكني مع ذلك لن أسلم لك حتى تخبرني بما قالوا.
قال: ألا تسلم لما قال حتى تسمع ما قالوا؟.. ما أضعف إيمانك؟
قلت: اعذرني.. فإني لا أزال رقيق الدين..
قال: فاسأل الله أن يعمقه، فلا خير في دين رقيق.
قلت: حدثني عن بركاتك التي يعرفها قومي.
قال: سأحدثك أولا عن بركات تكويني التي تهتمون بها، فأوراقي وثماري تحتوي على جلوكوزيدات انثراكينونية، وتعرف بمجموعة سنوزايد، ويوجد منها أربعة أ، ب، ج، د، كما أحتوي على جلوكوزيدات نفثالينية، ومواد هلامية ومواد فلافونيدية وزيت طيار.
وقد قامت شركات الأدوية في عصركم بتركيب العديد من

---

1) الترمذي وابن ماجة وأحمد.
2) أي بأي دواء تستطلقين بطنك، حتى يمشي ولا يصير بمنزلة الواقف، فيؤذي باحتباس النجو، ولهذا سمي الدواء المسهل مشيا على وزن فعيل. وقيل لأن المسهول يكثر المشي والاختلاف للحاجة، وقال الجزري في النهاية: أي بما تسهلين بطنك، ويجوز أن يكون أراد المشي الذي يعرض عند شرب الدواء إلى المخرج، انظر: تحفة الأحوذي: 6/213.
3) هو حب يشبه الحمص يطبخ ويشرب ماؤه للتداوي. النهاية 2/440ـ وهو من الأدوية التي أوصى الأطباء بترك استعمالها لخطرها وفرط إسهالها.
4) أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم، قال الترمذي: حسن غريب.

الأدوية التي تحتوي على مركباتي منها برسنيد، وسناكوت.

بالإضافة إلى أن هناك أدوية أخرى تحتوي على مركباتي مع بعض المواد الأخرى، ومنها أجيولاكس وسينتولاكس وميوسينم وجليسينيد.

قلت: حدثتني عن بركات تكوينك، فحدثني عن بركات الشفاء.

قال: سأبدأ بما ورد في الحديث.. وهو اعتباري علاجا ملينا، فقد نص الخبراء على أني من أفضل الملينات؛ وذلك لأن مفعولي لا يبدأ إلا في القولون، حيث يتم تحللي بواسطة البكتيريا القولونية.

قلت: فأنت لا تؤثر على المعدة، ولا على الأمعاء الدقيقة؟

قال: أجل.. وبالتالي لا أؤثر على امتصاص الغذاء، كما تفعل معظم الملينات والمسهلات، ولا أسبب إمساكا بعد الإسهال.. بل لا أسبب أي تقلصات في الأمعاء، كما تفعل معظم المسهلات الأخرى(1)، وقد يحدث بسببي مغص خفيف سرعان ما يزول.

قلت: ألا يؤثر على الحامل؟

قال: أنا لا تمتصني الأمعاء، وبالتالي لا أؤثر على الجنين، كما لا أؤثر على الرضيع، وقد نصت الموسوعة الصيدلانية بأن الأم المرضع تستطيع استعماله لأنه لا يفرز في لبنها من خلال الثدي.

قلت: عرفت هذه البركة العلاجية، فهل هناك غيرها.

قال: أجل.. وكثير.. غير ما لم تكتشفوا.

قلت: فاذكر لي ما يطمئن به قلبي.

قال: لقد ذكر القدماء من منافعي الكثير.. ويكفيك ما قاله الموفق عبداللطيف البغدادي في الاربعين الطبية، ونقلها عنه ابن القيم والسيوطي، قال: (السنا دواء شريف مأمون الغائلة، وقريب الاعتدال، لأنه حار يابس في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شريفة فيه، وخاصيته النفع من الوسواس وتشنج العضل وانتشار الشعر، ومن القمل والصداع العتيق (المزمن)والجرب والبثور والحكة)

وقال الرازي:(السنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة)

وقال ابن البيطار:(اذا خلط بالحنا فانه يسود الشعر واجوده المكي، ينفع من الشقاق العارض في البدن وينفع من الصداع

---

1) يقول البروفسور سبلر وهو من الخبراء العالميين فى هذا المجال، في مقال له:« إن أكثر الأدوية شيوعا في معالجة الإمساك هي الأدوية المستخلصة من نبات السنا... وفي القولون تقوم تلك المركبات بتحريض أعصاب القولون على القيام بحركة إجمالية، يتبعها مرور البراز بشكل طبيعي »

المزمن ومن البثور والحكة)

وقال داود الانطاكي..

قلت: أخبرني بما قال قومي.. وبما يفقهونه؟

قال: لقد قامت أبحاث كثيرة على أوراقي وثماري، أثبتت فائدتي كأفضل مسهل، بالاضافة الى تنقتي للدم، والفتك بالفيروسات والفطريات.

وأعتبر أحد النباتات المهمة المسجلة في دساتير الأودية الأوروبية والأمريكية والهندية والصينية.

ويوجد حالياً في الهند مستحضر مكون من محلول مائي مركز من السنامكي حيث أستعمل لتنقية الدم.

ويوجد استخدام جديد يستعمل ضد الفيروسات وتكاثرها، حيث تم استخلاص راسب بروتوني من نوع السنا المعروف باسم سنا سيام واعطى نتائج 100 بالمائة لوقف نمو الفيروسات.

وقد تم استخلاص جلوكوزيدات من نباتي فيستولا ودكورا، واستخدمت ضد الفطريات.

قلت: فهل تستعمل خارجيا؟

قال: أجل.. يمكن استخدم منقوع أوراقي على هيئة حقنة شرجية للاطفال كمسهل، وذلك باستعمال منقوع غرام واحد لكل سنة من العمر، أما الكبار، فنسبة الحقنة الشرجية من 10-ـ 15 غرام لكل 500 مليليتر من الماء.

قلت: فهل هناك محاذير من استعمالك؟

قال: يجب عدم استعمالي في حالة وجود سدد بالأمعاء وفي الالتهابات المرضية الحادة في الامعاء، وفي حالة التهاب الزائدة الدودية، ويجب عدم استعمالي من قبل المرأة الحامل ومثها المرضع.

السنوت:

تقدم السنوت(1)، فقال: وأنا لا أقل عن أخي السنا بركات، وقد ذكرنا في حديث واحد.

قلت: فحدثني عن بركات تكوينك..

قال: أنا أتكون من زيوت طيارة، أهم مركباتها مركبي الانيثول والغينشون.. وتعود الرائحة المميزة لي إلى المركب الأخير.

كما أحتوي على مركب الاستراجول بالإضافة إلى فيتامينات

1) وهو يعرف بالسنوت والرازيانج والشمار والبسباس والكمون والشمرة والشمر المر والشمر الحلو والحلوة والشمر الكبير وشمر الحدائق والشمر الوحشي والشمر الزهري.

أ، ب، ج، ومعـادن الفسـفور والكالسـيوم والكـبريت والحديـد والبوتاسيوم.

قلت: فما هي بركات العلاج بك؟

قـال: لقـد اسـتخدمت من آلاف السـنين لعلاج كثـير من الأمراض(1)، وقد ذكر الأطباء من منـافعي أني أفتح السـدد، وأحـد البصـر، وخصوصـاً صـمغي، وأفـرز الحليب، وأدر البـول والطمث، وأفتت الحصاة وبالأخص ما كان مني رطبـاً طريـاً، وأحلـل الريـاح، وأنفـع من التهيج في الوجـه وورم الأطـراف، والتبخـر بي يسـكن الصداع، ويدفع ضرر السموم والهوام.

قلت: أريد ما قال أطباء قومي.. فلكل جيل أطباؤه.

قال: لقد درسـت دراسـة مستفيضـة، وقـد أثبت الألمـان أني من أفضل الأعشاب لعلاج تعب المعـدة، ومشـاكل الهضـم، ولعلاج النفخة والغازات ولإزالة المغص.

وذكـروا أن أفضـل طريقـة لاسـتخدامي هي سـحق ثمـاري ووضعها في كأس مملوء بالحليب وشـربه، كمـا أوصـوا بأنـه يمكن إعطـائي للأطفـال دون سـن الثانيـة كمضـاد لآلام المغص، وذلـك بسحق ملعقة صغيرة ونقعها في ملئ فنجان قهوة عربي لمدة 15 دقيقة، ثم يسل الماء ويضاف إلى حليب الطفل، ويمكن أن يعطوا الأطفـال نفس الوصـفة لإيقـاف الاسـهال، كمـا يمكن اسـتخدامي لتهدئة وتنويم الأطفال.

وقد أثبت العلماء أن مركب الاستراجول الذي أحتوي عليه له تأثير مشابه لتأثير الهرومات الأنثوية، حيث اتضح أنه يزيد من افراز الحليب لدى المرضعات، ويساعد في إدرار الطمث.

كما أثبتت السلطات الصحية الألمانية اسـتعمالي في أشـكال مختلفة مثل الأشربة، مثل شراب العسل بالسـنوت لعلاج احتقـان الجهاز التنفسي، حيث يـذيب المخـاط المفـرز في قنـوات الجهـاز التنفسي، وبالتالي يعمل كطارد للبلغم.

وأصبحت في كثير من دساتير الأدوية الأوروبية أسـتخدم لهـذا الغرض، كما أثبتت الدراسات العلمية أن لي تأثيراً قاتلاً لبعض أنواع البكتيريا، ولهذا أستخدم لايقاف الاسهال المتسبب عن البكتيريا.

بالإضـافة إلى هـذا.. فـإن لي وصـفات علاجيـة كثـيرة، أثبتت

---

1) للسنوت تاريخ قديم فقد زرعه الصينيون القدماء والهندوس والمصريون وزرعـه الرومان وأكلوا عروقه وأوراقه العطرة الزكية الرائحة. وكان السنوت من أفضـل المـواد الطبية المستخدمة في العصور الوسطى وكـانت تضـاف أوراقـه الطازجـة إلى مـأكولات السمك والخضروات وذلك عند الأغنياء، أما الفقراء فتوكل أوراقه كمادة مشهية في أيـام الصيام.

فعاليتها.
قلت: فهل هناك محاذير من استعمالك؟
قال: نعم هناك بعض المحاذير، وخاصة عند استعمال زيتي حيث إنه مركز واستخدام جرعة عالية منه تسبب احتقاناً وهبوطاً في القلب، وقد تسبب دوخة وغثياناً، بالإضافة إلى ظهور طفح جلدي، وربما سببت حدوث نوبة تشنجية تشبه نوبة الصرع.
قلت: وكأنك تنصح بعدم استعماله.
قال: أجل.. فقد جعل الله البركة في أجزائنا جميعا لا في زيوتنا وحدها.. ألم تسمع بما حصل للحبة السوداء المسكينة؟
قلت: بلى.. فهل هناك أضرار أخرى؟
قال: الأصل أنه لا ضرر في كل الأدوية المباركة.. ولكن الضرر في سوء استعمالها.. فالحامل ــ مثلا ــ يفضل عدم استعمالها لي كدواء لأني أسبب تنشيط الرحم، أما إذا كانت تستخدمني استخداماً عادياً مع الأكل بكمية معقولة، فلا ضرر من ذلك.

القسط البحري

بعد انصراف السنا والسنوت، سمعت صوتا غريبا لا يكاد يفهم قوله، فقلت: من أنت يرحمك الله.
قال: أنا الذي قال في رسول الله ﷺ:(إنَّ أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري)(1)
قلت: لا أعرفك..
قال: وما يضرك جهلك بي بعد أن عرفني حبيبي ﷺ وأوصى بي.
قلت: لم أجهلك جهلا بمكانتك.. ولكنك لا تنبت بأرض قومي.
قال: كيف تسمع حديث رسول الله ﷺ، وهو يأمر بي، ثم لا تحدثك نفسك بالبحث عني وعن منافعي.
قلت: اعذرني في تقصيري في حقك.
قال: بل اعتذر لرسول الله ﷺ، وتقصيرك في حقه.. بل اعتذر لنفسك، وتقصيرك في حقها، وفيما يصلح لها.
قلت: صدقت.. فنحن ندرس كلام من نرفعهم حرفا حرفا وكلمة وكلمة، ثم يمر علينا مثل ما ذكرت من النصوص، ولا نلقي له بالا.
قال: ليس ذلك النص فقط، بل إنه ﷺ ذكرني إجمالا وتفصيلا.

1) البخاري.

قلت: سمعت الإجمال، فهات التفصيل(1).

قال: لقد وصفني رسول الله لبعض الأدواء، فقال:(لا تعـذبوا صـبيانكم بـالغمز(2) من العـذرة(3)، وعليكم بالقسـط)(4)، وقـال: (عليكم بهذا العود الهندي، فإنَّ فيه سبعة أشفية: يسعط(5) به من العذرة، ويلدُّ(6) به من ذات الجنب(7)(8)

قلت: صدق رسول الله ﷺ، فهل وجدت من يبحث فيما قـال رسول الله ﷺ ؟

قال: هناك من بحث في هذه النصوص، ولكنه لم يوفها حقهـا من البحث.

قلت: فما وجدوا فيك من بركات؟

قـال: لقـد وجـدوا أني أحتـوي على مـادة الهليـنين، وحمض البنزوات، وكلاهمـا من المـواد المطهـرة للجـراثيم..ولهـذا ذكـرني رسول الله ﷺ لعلاج اللـوزات، والتهـاب اللهـاة، والتهـاب البلعـوم، وهو المقصود بالعذرة فيما سمعت من أحاديث.

قلت: لقد ذكرك رسول الله ﷺ لعلاج ذات الجنب.

قال: لقد ذكر أطباؤكم أن احتوائي على هذه المواد المطهرة القاتلـة للجـراثيم، وذاك مـا يعلـل دوري في علاج ذات الجنب الجرثومية، وذات الرئة الجرثومية.

قلت: فلم جمع رسول الله ﷺ في الحديث الأول بينـك، وبين الحجامة؟

قال: هذا سر بديع يدل على مدى حرصه ﷺ على صحتكم.

قلت: فما فيه من الصحة؟

قال: إن الجمع بين الحجامة وبيني له مغـزى طـبي في ضـوء احتـوائي على حمض البـنزوات، والهيليـنين المطهـرتين والقـاتلتين للجـراثيم.. فهـو يـدل على دوري في تعقيم مشـرط الحجامـة، إذا طلي به، ودوره في تعقيم الجروح المحدثة بهذا المشرط.

قلت: ما شاء الله.. ما أعظم نصحك يـا رسـول اللـه.. وكـأن رسول الله ﷺ يعلمنا سرا من الأسرار المهمة للعلاج.

---

1) انظر: الإعجاز الطبي في السنة النبوية، تأليف الدكتور كمال المويل.
2) الغمز: الضغط بالأصابع.
3) العذرة: بضم العين و سكون الذال هي التهاب الحلق واللوزات.
4) البخاري.
5) السعوط: هو تناول الدواء عن طريق الأنف بالتقطير.
6) اللَّدود: قال ابن حجر العسقلاني: اللَّدود بفتح اللام و بمهملتين،هو الـدواء الـذي يصب في أحد جانبي فم المريض.
7) ذات الجنب: قال عنه ابن حجر العسـقلاني:« هـو ورم حـار يعـرض في الغشـاء المستبطن للأضلاع »
8) البخاري.

قــال: أجــل.. زيــادة على أن الجمــع بين القســط البحــري والحجامة يحمل سرا لطيفا، وهو: الوقاية من التشوهات والندبات، وقـد أدرك هـذا المتقـدمون فقـال موفـق الـدين البغـدادي:(وفي جمعه ﷺ بين الحجامة والقسط سرٌّ لطيـف، وهـو أنـه إذا طلي بـه مشرط الحجامـة لم يتخلـف في الجلـد أثـر المخاريـط)، ثم قـال: (وهذا من غرائب الطب)

قلت: لقد نهى النبي ﷺ في الحـديث عن غمـز العـذرة، فمـا سر ذلك؟.. وما علاقته بك؟

قــال: غمــز العــذة هــو ضـغط اللــوزات والحلــق الملتهــبين بالأصابع.. وقد كان أسلوبا من أساليب العلاج.. فنهى النبي ﷺ عنـه ووضع البديل الشرعي له(1).

قلت: فلم نهى النبي ﷺ عن الضغط على اللوزتين؟.. ألكونـه لا يفيد في علاجها؟

قال: ليس ذلك فقط.. بل هـو يسـبب ألمـاً شـديداً للمـريض، وقـد يسـبب نزيفـا دمويـا.. بـل قـد يسـبب انتشـار الالتهـاب إلى المناطق المجاورة.

قلت: فما معنى قوله ﷺ في الحديث الـذي رويتـه:(ويُلـدُّ بـه ذات الجنب)؟

قال: اللـدود هـو مـا يسـقى في أحـد جـانبي الفم، وفي هـذا إشارة إلى طريقة إعطاء الدواء للمريض عندما لا يتمكن غالبـاً من تناوله بيده، أو يرفض تناوله، كما يحصل عنـد الأطفـال غالبـاً، فـإذا رفض الطفل تناول الـدواء فيجب إعطـاءه إيـاه عنـوة، وذلـك بفتح فمه وسقيه الدواء في أحد جانبي فمه.

قلت: فلم لم يــترك ﷺ أهــل المــريض يســقون مريضــهم بالطريقة التي يشاءون؟

قـال: لقـد خشـي ﷺ أن يسـقوا المـريض في وسـط فمـه.. وذلك قد يؤدي إلى الشردقة.. فدل على الطريقــة المثلى لإعطــاء المريض الدواء.

قلت: ما أرحمك يا رسول اللـه.. ومـا أعظم حرصـك علينـا.. حتى الدواء تعلمنا كيف نتناوله.

تقدم مـني نبـات أجهلـه، فقلت: من أنت يرحمـك اللـه.. ومـا الذي جعلك تقدم مع القسط؟

---

1) مع نهي النبي ﷺ عن غمـز العـذرة نجـد أنّـه لا زال شـائعاً في بعض المنـاطق، فيسمون العذرة بنات الأذن، ويسمون غمزها، أي ضغطها بالأصابع رفع بنات الأذن.

قال: أنا أخ من إخـوان القسـط، يقـال لي: الـورس(1).. وقـد نعتني ﷺ لذات الجنب، كما نعت الورس، فقد روي من حديث زيـد بن أرقم عن النـبي ﷺ أنـه كـان ينعت الـزيت والـورس من ذات الجنب، قال قتادة: يلد به، ويلد من الجانب الذي يشتكيه(2).

وفي حديث آخر، قال زيد بن أرقم: نعت رسـول اللـه ﷺ من ذات الجنب ورساً وقسطاً وزيتاً يلد به(3).

وقد وصفني في نواح أخرى، فقد صح عن أم سـلمة قـالت: كانت النفساء تقعد بعد نفاسـها أربعين يومـاً، وكـانت إحـدانا تطلي الورس على وجهها من الكلف.

قلت: فما قال فيك الأطباء؟

قال: لقد ذكروا أن مصـدر قـوتي في الحـرارة واليبوسـة في أول الدرجـة الثانيـة.. وذكـروا من منـافعي أني أنفـع من الكلـف، والحكة، والبثور الكائنة في سطح البدن إذا طلي بي، وأن لي قـوة قابضـة صـابغة، وأني إذا شـرب مـني نفعت من الوضـح، ومقـدار الشربة مني وزن درهم.

وقد ذكروا أني في مزاجي ومنافعي قريب من منافع القسط البحـري، وإذا لطخ بي على البهـق والحكـة والبثـور والسـفعة نفـع منها.

قلت: لم أقصد ما قال أولئك.. بل قصدت ما قال هؤلاء.

قال: ومن أولئك.. ومن هؤلاء؟.. لا أفهمك.

نبهني القسط البحري، وقال: أخي الورس لم يخـرج بعـد من زمانه.. فدعه مع من يعرفه من الأطباء.. أو ابحث لـه عمن يعـرف به الناس من أطباء قومك.

قلت: كيف ذلك؟

قال: اذكر لهم أن طبيبا أمريكيـا أو أوروبيـا أخـبر أن للـورس فوائد صحية.. فسترى المخابر كلها تبحث عنه.. وتلهث في بحثها.

الحناء

بعد انصراف القسط البحري والـورس بقيت متـأملا مـا ذكـرا من تقصـيرنا فيمـا جـاء عن رسـول اللـه ﷺ من أصـناف الهـدي..

---

1) الورس: هو بزر أصـفر يجلب من بلاد اليمن، ويـدخل في البخـورات... قـال أبـو حنيفة اللغوي: الورس يزرع زرعاً، وليس ببري، ولست أعرفه بغـير أرض العـرب، ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن.
وقال الاصمعي:« ثلاثـة اشـياء لا تكـون الا بـاليمن وقـد ملأت الارض: الـورس واللبـان والعصب (يعني برود اليمن)»

2) الترمذي.

3) ابن ماجه.

وبينما أنا في ذلك الاستغراق إذ شممت رائحة طيبة لنبتة أعرفها طالما رأيت أهلي يستعملونها، نادتني من غير أن أسألها: لا شك في معرفتك لي.. فأنا الحناء.. تلك النبتة الطيبة التي ورد ذكرها في الأحاديث الكثيرة.

قلت: أجل.. فقد استعملك ﷺ، ودعا لاستعمالك.

قالت: ولذلك.. فأنا من أدوية السماء.. ولكنكم بعتموني بأدوية الأرض.

قلت: صدقت.. فقد كانو يستشفون بك ويتجملون.. فعوضوك بالأصباغ.. وعوضوا الاسشفاء بك بالمراهم.

قالت: ولكن لي أهلا لا زلت أحن إليهم.

قلت: تقصد سلف هذه الأمة الصالح.

قالت: وأقصد خلف هذه الأمة الفالح.

قلت: ألا يؤلمك انصراف الناس عنك؟

قالت: أما صالحوهم، فيؤلمني.. وأما غيرهم.. فلا أبالي.

قلت: حدثيني عن سر بركاتك.

قالت: تقصد الحقيقة أم الرسوم؟

قلت: الحقيقة والرسوم.

قالت: أما الحقيقة.. فيكفي لبركاتي أن تمتد عيني حبيبي ﷺ إلي.. كيف وقد استعملني ودعا إلي.

قلت: والرسوم؟

قالت: ما يفهمه قومك من العناصر والمركبات.

قلت: فحدثيني بما يفهم قومي.

قالت: أنت تستعملون أوراقي وأزهاري.. أما أوراقي، فتحتوي على غليكوزايدات مختلفة أهمها اللاوزون، وهي المادة المسئولة عن التأثير البيولوجي الطبي، وعن الصبغة واللون الأسود، كما أحتوي على مواد راتنجية وتانيتات تعرف بـ حماتانّين.

أما أزهاري، فتحتوي على زيت طيار، له رائحة زكية وقوية، ويعتبر أهم مكوناته مادة الفوبيتا إيونون.

قلت: هذه بركات تكوينك، فما بركات استعمالك؟

قالت: لقد نلت الحظوة عند الجميع، فقد ذكر سلفكم عني أني محلل نافع من حرق النار، وإذا مضغت نفعت من قروح الفم والسلاق العارض فيه وأني أبرئ من القلاع.. وأن الضماد بي ينفع من الأورام الحارة الملتهبة.. وأني إذا ألزقت بي الأظافر معجوناً حسنها ونفعها، وأني أنبت الشعر وأقويه وأنفع من النفاطات والبثور العارضة في الساقين وسائر البدن.

وقد ذكـرني ابن سـينا، فقـال:(الحنـاء فيـه قبض وتحليـل بلا أذى، ويسـتعمل في الطب الشـعبي كقـابض وفي التئـام الجـروح والحروق وغسول للعيون وكمروخ لمعالجة البرص والرثية)

قلت: هـذا كلام مجمـل.. فحـدثيني عن التفصـيل.. وهـو كلام السلف.. فحدثيني عن كلام الخلف.

قالت: سأذكر لك أربعة أصول من البركة التي ملأني الله بهـا ورد النص عليها من السلف، وورد التدليل عليها من الخلف.

قلت: فما هي؟

قالت: الجمال، والعلاج، والتطهير، والحماية.

قلت: فلنبدأ بسر أسرار الوجود.

قالت: تقصد الجمال.

قلت: وهل تحيا الحياة بلا جمال؟

قـالت: لقـد بـارك اللـه في.. فجعلـني إكسـيرا من أكاسـير الجمال.. فلهذا كان حبيبي ﷺ يستعملني، ويدعو إلى استعمالي..

قلت: أكان ﷺ يستعملك؟

قالت: أجل.. ألم تسمع ما جاء في الحـديث من أن أم سـلمة أخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ، فإذا هو مخضـوب بالحنـاء والكتم(1).

قلت: لم أسمع هذا.. لكني سمعت أنسـا يقـول: لم يختضـب النبي ﷺ.

قالت: لقد أجاب أحمد بن حنبل عن هذا وقـال: قـد شـهد بـه غير أنس على النبي ﷺ أنه خضب، وليس من شهد بمنزلـة من لم يشهد.

قلت: صدقت.. فلعل أنسا لم تبلغه أحاديث الاختضاب.. أو لم يلتفت إلى خضابه ﷺ.. وعلى العموم، تكفي شهادة أم سلمة

قالت: حتى لو قلنا بعدم خضابه ﷺ، فيكفي أنه دعا إليـه.. ألم تسمع قوله ﷺ:(إنّ أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم)(2)

وحدث ابن عباس قال: مـر على النـبي ﷺ رجـل قـد خضـب بالحناء، فقال ﷺ:(ما أحسن هذا؟)، فمـر آخـر قـد خضـب بالحنـاء والكتم، فقال:(هذا أحسن من هذا)، فمر آخر قد خضب بالصفرة، فقال:(هذا أحسن من هذا كله)(3)

قلت: عرفنا ما ورد عن السلف.. فحدثينا بما ذكر الخلف.

قالت: أنا أستخدم كصـبغة منـذ آلاف السـنين، فكـل التقاليـد

---

1) البخاري.
2) الترمذي وقال حديث صحيح.
3) سنن أبي داود.

والعادات في أغلب مجتمعات إفريقيا وآسيا، ومثلها جميع الدول الإسلامية تستعملني للتزيين بوضعي كصبغة للشعر والأظافر والأقدام وراحة الأيدي وظهورها.

وقد انتشر استعمالي لصبغ الشعر والنقش به على الأيدي والأرجل في السنين الأخيرة في أوروبا وأمريكا الشمالية مما جعل الشركات الأمريكية والأوروبية لصناعة مستحضرات التجميل تتنافس لإنتاج العديد من مركبات التجميل التي يدخل في صناعتها أوراق الحناء.

بل وجدت العديد من صبغات الحناء للشعر وذات الألوان المختلفة من اللون الاشقر حتى اللون الاسود أو الداكن، ثم أغلف بعلب جذابة وأباع بأسعار أضعاف السعر الذي يباع به المنتج في الدول العربية أو الآسيوية.

قلت: هم لا يتركون شيئا إلا تاجروا فيه.. فكيف تطمعين في أن يرحموك؟

قالت: أنا لم أمنعهم من التجارة في.. ولكني متأسفة لتلاعبهم بي.

قلت: كيف ذلك؟

قالت: هم يضيفون إلى أوراقي المجففة والمطحونة صبغة كيميائية تعرف بارافينلين داي امين بنسب وكميات مختلفة تعطي الألوان من الأصفر الذهبي إلى اللون الأحمر الداكن الى اللون الاسود الغامق.

وهذه المادة خطيرة إذا وجدت بكمية عالية.

وقد يضيفون إلى وأوراقي المجففة والمطحونة أوراق نباتية تسمى انديقو وهي مادة آمنة الاستخدام وهي تصنع في المعامل، وتعطي اللون الأزرق عند إضافة الماء عليها، وعند خلط أوراق الحناء المجففة والمطحونة مع صبغة الانديقو تعطي صبغة نباتية سوداء.

قلت: فحدثيني عن بركات علاجك.

قالت: لقد وصفني ﷺ بالنفع.. وذلك يكفي لدلالتك على ما وضع الله في من بركات الشفاء.

قلت: لم يبلغني الحديث.. فأسمعيني.

قالت: عجبا لكم.. سنة رسول الله ﷺ بينكم بأيسر سبل الحصول عليها.. ثم تزعم أنها لم تبلغكم.. إن من كانوا يختضبون بي كانوا يرحلون البلاد، ويقطعون الجبال والوهاد من أجل حديث واحد.. ثم يظلون متأسفين إن فاتهم حديث لرسول الله ﷺ.. ثم

تزعم أنت بأن الحديث لم يبلغك.. أنت الذي لم تبلغ الحـديث.. أمـا هو فموجود في كل المصنفات أمامك.

قلت: اعذريني.. ولا تغضبي..

قالت: كيف لا أغضب.. وأنتم تحفظـون كلام بعضـكم بعضـا.. وتنسون كلام المعصوم.

قلت: لقــد أبلغت في نصــحي.. ولــك علي أن لا أفــرط في تحصيل سنة أو بحث عن هدي.

قالت: أما إذا قلت ذلك.. فقـد كـان ﷺ إذا صُـدع غلَّف رأسـه بالحناء، ويقول:(إنه نافع بـإذن اللـه)(1)، وكـان لا تصـيبه قرحـةٌ ولا شوكةٌ إلا وضع عليها الحناء(2)..

بل إنه ﷺ قرنني بالحجامة التي عرفت فضائلها، فقد روى أنَّه ما شكا إليه أحـد وجعـاً في رأسـه إلا قـال:(احتجم)، ولا شـكا إليـه وجعاً في رجليه إلا قال له:(اختضب بالحناء)(3)

قلت: فهل قال الخلف في ذلك شيئا(4)؟

قالت: لقد ذكروا أني أفيد في علاج الصداع.. وفي نوع خـاص منه، وهو الصداع الناجم عن فرط التوتر الشرياني.

قلت: فما سر ذلك؟

قالت: هم يرجعون ذلك لامتلاكي خاصيتين اثنـتين، فأنـا أنظم ضربات القلب، وأنبهه من جهة، وأسبب ارتخـاء العضـلات وتوسـيع الأوعية الدموية من جهة أخرى.

قلت: فكم ملعقة أشرب منك لأجل ذلك؟

قالت: ما تقول؟.. هل سمعت أن النبي ﷺ شربني؟

قلت: لا.. لقد ورد ـ حسب ما رويت ـ أنه يغلف رأسه بالحناء.

قـالت: فلمـاذا تتجـاوز هديـه؟.. لعلـك تقيس الشـرب على التغليف.. ما أفلح من قاس.

قلت: رويدك.. لقد ذكرت أنك تنفعين لوجع الرأس.. ولم أكن لأتصور قدرتك على ذلك من غير شرب.

قالت: الزم هديه ﷺ.. واستعملني كما استعملني.

قلت: بأن أضع عجينتك على الجبهة.

قالت: هكذا فعل.. فلا تتجاوز ما فعل.

قلت: فلنفرض أني تجـاوزت.. أليس هـذا من الأمـور العاديـة التي لا تخضع للأحكام الشرعية.

---

1) ابن ماجة.
2) إبن ماجة.
3) أحمد،و أبو داود.
4) انظر: الإعجاز الطبي في السنة النبوية، للدكتور كمال المويل.

قـالت: لقـد فعـل بعض من يزعمـون لعقـولهم الـذكاء من العطارين الذين يتخذون البشر فئران تجارب.

قلت: فماذا حصل؟

قالت: لقـد جـاء إلى مختـبر قسـم تحليـل الأدويـة والسـموم بمستشفى من المستشفيات عينة من محلـول الحنـاء اسـتخدمت من مريض وصفت له عن طريق أحد محلات العطارة حيث سببت له العديد من المشاكل الصـحية أدخـل بسـببها المستشـفى ورقـد على سـريرها لعـدة أسـابيع، وخضـع لعـدة تحاليـل طبيـة، وأنـواع مختلفة من الاشعة.

قلت: لماذا.. هل تناول سما؟

قالت: لا.. لقد تناول محلول الحناء لفترات طويلة عن طريـق مـدعي العلاج الشعبي الذين كـثرت الامـراض الجسـمية والصـحية بسبب وصفاتهم الشعبية.. والتي لا تعتمد على أي أساس علمي.

قلت: فما مخاطر استعمالك الداخلي؟

قالت: خطره كبير على الجهاز الهضمي والجهاز الدموي..

قلت: فعودي.. حدثينا عن منافع العلاج بك.

قالت: عجينتي اذا وضعت على الرأس تفيـد في حالـة ضـربة الشـمس والصـداع، وخاصـة إذا أضـيف للعجينـة ملعقـة من خـل التفاح.

قلت: لقد وصفك ﷺ لعلاج الجروح والقرح.. فما سر ذلك؟

قالت: ذلك يرجع لامتلاكي خاصيتين اثنتين:

أما أولاهما، فاحتوائي على مضادات حيويـة فعالـة ضـد أنـواع كثيرة من الجراثيم.

وأمـا الثانيـة، فـاحتوائي على مـواد قابضـة للقضـاء على الالتهابات الفطريـة بالقضـاء على الرطوبـة، وإزالـة الوسـط لنمـو الفطور.

قلت: فكيف تستعملين؟

قـالت: أسـتعمل في علاج الأورام والقـروح بعجـني وتضـميد الأورام بي.

قلت: فحدثيني عما وضع الله فيك من بركات التطهير؟

قالت: لقد ثبت علمياً أنني إذا وضعت في الرأس لمدة طويلة بعد تخمري.. فإن المواد القابضة والمطهرة الموجـودة بمحتويـاتي تعمل على تنقية فروة الـرأس من الميكروبـات والطفيليـات، ومن الإفرازات الزائدة للدهون.. كما أنني أعمل على الإقلال من إفـراز العرق عند مفرطي التعرق.

وفوق ذلـك أطهـر الـرأس من قشـر الشـعر والتهـاب فـروة الرأس.

ولا أزال أستعمل كغرغرة لتطهير قروح الفم واللثة واللسـان وآلام الحلق.

قلت: فحدثيني عما وضع الله فيك من بركات الحماية؟

قالت: انطلاقا مما عرفت سابقا.. فـإن لي أدورا عظيمـة في حماية الجلد من التشققات.. ذلك أن الفطريات المتسببة في هـذه العلل ترهبني، فلا تكاد تقترب مني.

الحلبة

انصرفت الحناء وتركتني.. فجاءت خلفها حية حلبة تختـال في مشـيتها، فقلت: مـا هـذا الزهـو؟.. ألم تبلغـك أحـاديث النهي عن الاختيال؟

قالت: اختيالكم ناشئ عن كبر.. واختيالي ناشئ عن نشاط.

قلت: وتعرفين التأويل.. والهرب من مستلزمات النصوص!؟

قـالت: لا.. ولكـني اسـتننت في مشـيتي بـأبي دجانـة، عنـدما اختال في مرضاة الله، لا في مرضاة هواه.

قلت: وكيف أمنت نفسـك.. أفلا يمكن أن يكـون ذلـك خدعـة لبس بها الشيطان عليك؟

قالت: ومن الشيطان؟

قلت: الذي يغوي الإنسان.. ألا تعرفينه؟

قـالت: لا أعرفـه.. ولا أسـمع بـه.. أنـا من عـالم.. وأنتم من عالم.. فلا تحكم علي بأحكام عالمك.

قلت: عذرا.. نسيت أني أتحدث مع حلبة.

قـالت: إن قلت هـذا جهلا بقـدري.. فـاعلم أن النص قـد ورد بـذكري والثنـاء علي، فقـد ورد في الحـديث أن النـبي ﷺ عـاد بعض أصحابه بمكة، فقال: ادعوا له طبيباً، فـدعي الطـبيب، فنظـر إليـه، فقال: ليس عليه بأس، فاتخـذوا لـه فريقـة، وهي الحلبـة مـع تمـر عجوة رطب يطبخان، فيحساهما، ففعل ذلك، فبرئ.

قلت: ليس في هذا الحديث شيء من فضلك.. بل كل ما فيه إذن العلاج بك.

قالت: فقد ورد في الحديث قوله ﷺ:(لـو تعلم أُمـتي مـا في

الحُلبةِ لاشتروا ولو بوزنها ذهباً)[1]

قلت: هذا حديث ضعيف.

قالت: فقد ورد في حديث آخر قوله ﷺ:(استشفوا بالحلبة)[2]

قلت: مهما يكن من أمر.. فحدثيني عن أسرار بركاتك.

بركات التكوين:

قالت: سأحدثك ــ أولا ــ عن بركات تكويني التي يهتم لها قومك[3].

قلت: فحدثيني.

قالت: لقد ذكروا من خلال تحليلي أني غنية بالمواد البروتينية والفسفور والمواد النشوية.. وأني لا أختلف في ذلك عن زيت كبد الحوت، كما أحتوي على مادتي الكولين والتريكونيلين، وهما يقاربان في تركيبهما حمض النيكوتينيك، وهو أحد فيتامينات (ب)، كما تحتوي بذوري على مادة صمغية وزيوت ثابتة وزيت طيار يشبه زيت البانسون.

وأحتوي على مادة الميوسيليج التي تدخل في صناعة الحبوب والكبسولات للعمل على تماسكها وعدم تفتيتها، كذلك أحتوي على مادة السابونين والديوسجانين التي تعمل على تحفيز إفراز الهرمونات الجنسية الأنثوية، وأدخل في صناعة حبوب منع الحمل والكورتيزونات التي تعمل كمسكنات للأمراض الصدرية والروماتيزم.

وهكذا اعتبروني صيدلية متكاملة يمكن استخدامي خارج وداخل الجسم.

بركات الشفاء:

قلت: فحدثيني عن بركات الشفاء التي وضعها الله فيك.

قالت: لقد عرفني الناس من قديم.. واستعملوني في أغراض كثيرة.. ولولا نجاح استعمالي ما داوموا عليه.

قلت: ففيم استعملوك؟

قالت: لقد قالوا عن حبة الحلبة ـ التي هي أنا بلا فخر ــ: إنها إذا طبخت بالماء لينت الحلق والصدر والبطن.. وأنها تسكن السعال والخشونة والربو، وعسر النفس.. وأنها جيدة للريح والبلغم والبواسير.. وأنها محدرة الكيموسات المرتبكة في

---

1) رواه الطبراني وفيه سليمان بن سلمة الخبايري وهو متروك، انظر: مجمع الزوائد: 5/44، مسند الشاميين: 232، المعجم الكبير: 20/96.

2) ذكره ابن القيم ولم يذكر ما فيه من التصحيح والتضعيف ولم أجده.

3) انظر: التداوي بالنبات و الطب النبوي، للدكتور عبد الباسط محمد السيد.

الأمعاء.. وأنها تحلل البلغم اللزج من الصدر، وتنفع من الدبيلات وأمراض الرئة، وتستعمل لهذه الأدواء في الأحشاء مع السمن والفانيذ.

وذكروا أن دقيقي إذا خلط بالنطرون والخل، وضمد به، حلل ورم الطحال، وقد تجلس المرأة في الماء الذي طبخت فيه، فتنتفع به من وجع الرحم العارض من ورم فيه، وأنه إذا ضمد بي الأورام الصلبة القليلة الحرارة، نفعتها وحللتها، وإذا شرب مائي نفع من المغص العارض من الرياح، وأزلق الأمعاء.

قلت: ولكن....

قاطعتني، وقالت: وأني إذا أكلت مطبوخة بالتمر، أو العسل، أو التين على الريق حللت البلغم اللزج العارض في الصدر والمعدة، ونفعت من السعال المتطاول منه.

وأني نافعة من الحصر، مطلقة للبطن، واني إذا وضعت على الظفر المتشنج أصلحته، ودهني ينفع إذا خلط بالشمع من الشقاق العارض من البرد.

قلت: لحظة فقط....

قاطعتني، وقالت: وأني يمكن أن أؤكل مطبوخة للتغذية وفتح الشهية ولزيادة الوزن، كما يشرب مغلاي حيث أنه ينفع في بعض الإضطرابات المعدية والصدرية.... كما أعطى للفتيات في زمن البلوغ لتنشيط الطمث، ومثل ذلك لفقر الدم ولضعاف البنية والشهية وللنحفاء.

قلت: لحظة فقط....

قاطعتني، وقالت: كما أني أزيل الكلف من الوجه.. ويستخدم مغلى بذوري كغرغرة لعلاج التهابات اللوزتين.. بل ذكروا أن منافعي أضعاف ما ذكروا.

قلت: أريد أن تذكري لي ما قال المحدثون من الأطباء.

قالت: المحدثون متفرغون للسموم التي ينتجونها.. فلذلك لم يجدوا الوقت الكافي للنظر في منافعي.

قلت: ألم يبحثوا فيك؟.. عهدي ببعضهم يهتمون بمنافع الأعشاب.

قلت: بحثوا.. ولكنهم مقصرون جدا.

قلت: فما قالوا؟

قالت: لقد ذكروا فائدتي لمرضى السكري.. فقد أجريت في الهند بحوث عديدة عليها في القرن الحالي، وأثبتت أن 2 جرام من الحلبة المطحونة تعادل وحدة أنسولين، لذلك تستخدمها الهند

حالياً في علاج مرض السكر من النوع الأول، أي المعتمدين على الأنسولين من الخارج.. ومثل ذلك النوع الثاني، أي غير المعتمدين على الانسولين من الخارج.

قلت: فما سر ذلك؟

قالت: يرجع ذلك ـ كما يقولون ــ إلى احتوائي على سلاسل البيتيدات المرتبطة بالزنك، والتي يعزى إليها التأثير على سكر الدم، وهذا علاوة على زيادة ما بي من الأحماض الأمينية والكبريتية، فهي التي تساعد على تحويل السلاسل البيتيدية لمصنعات البنكرياس إلى إنسولين فَعال.

قلت: فما علاقة هذا بمرضى السكري؟

قالت: ألا تعلم أن مرضى السكر من النوع الثاني يعانون نقصاً في الرابطة الكبريتية التي تربط هذين الخيطين لتعطي جُزيء الإنسولين الفعال، لذلك فإن إمداد الكبريت في صورته العضوية في النباتات يزيد من تحول هذه الخيوط، التي غالباً ما تفرز في صورة طبيعية إلى الأنسولين الفعال.

قلت: هذه فائدة عظيمة.

قلت: وهناك غيرها كثير.

قلت: ففيم تستعملين أيضا؟

قالت: تشير الأبحاث إلى أن بذوري تحتوي على مادة مضادة للالتهاب، لذلك أستخدم في حالات آلام المفاصل، كما أن كماداتي تستخدم في علاج الجروح.

قلت: فما ذكروا غير هذا؟

قالت: لقد ذكروا أن بذوري تحتوي على مادة ديوسجنين، وهي مادة لها مفعول شبيه بمفعول هرمون الاستروجين الأنثوي، ولذلك أستخدم في علاج متاعب المرأة في سن اليأس.

قلت:....؟

قالت: وتشير الابحاث الى أني يمكن أن أعيد للقولون عافيته، وأخلصه من المخاط الزائد، ولهذا أوجد في محلات العطارة على هيئة كبسولات ومحببات تباع في الصيدليات، وتؤخذ عادة صباحاً ومساءً لهذا الغرض.

قلت:....؟

قالت: وقد أفادت مجموعة من الدراسات الطبية بأنني من أهم الأعشاب المدرة لحليب الأم.. وقد أوضح خبراء التغذية أن تناول المرضعات لملعقة كبيرة من الحلبة المسحوقة أو شربها مع الماء أو الحليب يساعد في زيادة إدرار حليب الثدي.

قلت:....؟

قالت: كما أن أوراقي والبذور المستنبتة مني تؤكل لاحتوائها على فيتامينات لتقوية الجسم والدم، فأنا احتوي على البروتينات، والكربوهيدرات، والهرمونات، والسكريات، كما تغلى بذوري وتحلّى بالسكر أو العسل، وتعطى للتدفئة أو التغذية في فصل الشتاء.

كما أنه يمكن استخدام مسحوق بذوري بعد خلطه بالسمن والسكر؛ ليعطي قيمة غذائية عالية، ومثل ذلك تستخدم البذور المسحوقة بعد تحويلها إلى شراب بعد الولادة لإدرار اللبن من الثدي.

وأعطى للفتاة المراهقة لتنظيم الدورة الشهرية، ولفتح الشهية، ومعالجة فقر الدم، كما يمكن استخدام بذوري في علاج السعال الديكي، والربو، والأمراض الصدرية، والبواسير، والإمساك، والبقع الداكنة، والكلف بالنسبة للبشرة.

قلت: والاستعمال الخارجي؟

قالت: يمكن أن أطحن واستخدم كلبخة مع الماء الساخن على مكان الخراج لإنضاجه، وللإصبع الداحس، وخراريج الثدي والشرج.

أدوية خاصة

الكمأة:

انصرفت حبة الحلبة مختالة كما دخلت، فجاءت بعدها الكمأة(1) في غاية التواضع والمذلة، فتعجبت منها، وقلت: ما بالك أيتها الكمأة المباركة.. ألم يبلغك ما ورد فيك من الأحاديث التي تشبهك بالمن.. فقد قال فيك:(الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء من للعين)(2)؟

قالت: بلى.. وكيف لا أحفظ قول حبيبي ﷺ.. ولولاه لكنت في طيات الخمول.. لقد قال ذلك بعد أن اتهمني أصحاب النبي ﷺ فقالوا:(الكمأة جدري الأرض)فصحح ذلك، وقال ما قال بأبي هو وأمي.

قلت: فلم لا تختالين كما اختالت أختك الحلبة؟

قالت: كل منا له مقام معلوم لا يجاوزه.. أما مقامها فدعاها لما دعاها له من الخيلاء.. أما مقامي فهو مقام الحزن المتدفق من بحار التوكل.

---

1) الكمأة: نبات فطري وتشبه في شكلها البطاطا مع اختلاف اللون والرائحة، تنمو في الصحارى، وتحت أشجار البلوط.

2) البخاري.

قلت: الحزن.. وهل في أرض السلام حزن؟
قالت: حزن العارفين.. لا حزن الغافلين.
قلت: تقصدين الحزن الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة:92)
قالت: أجل.. فلذلك جعلني الله دواء للعين..
قلت: وكيف تزعمين التوكل؟
قالت: ألا تراني بلا ساق ولا أوراق.. ولا تحرث أرضي ولا تزرع.
قلت: فمن أين يأتيك رزقك رغدا؟
قالت: ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(آل عمران:37)
قلت: تلك مريم ـ عليها السلام ـ
قالت: كل من توكل على الله عامله الله كما يعامل مريم ـ عليها السلام ـ.. ليس عند ربك إلا العدل والفضل.
قلت: فحدثيني عن أسرار بركاتك.
قالت: لقد نطق بها الحبيب.. ألا يكفيك؟
قلت: بلى.. هو على العين والرأس.. ولكنك تعرفين قومي.. وما ملأونا به من الأوهام.
قالت: لا بأس عليك.. فالله يغير من حال إلى حال.. لقد ذكروا أني غنية بالبروتين، حيث أحتوي منه على 13بالمائة وأحتوي على الفسفور، والبوتاسيوم، والصوديوم(1).
قلت: فما المن الذي أخبر رسول الله ﷺ أنك منه؟
قالت: لقد ذكروا أنه من جنس المن الذي نزل على موسى عليه السلام، والذي نص عليه قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ (طه:80)
قلت: فلم سمي كذلك؟
قالت: لأنه مما امتن الله به على عباده بدون علاج، فأنا شبيه به.. ولذلك فأنا أخرج بلا مؤونة ولا كلفة، بالإضافة إلى أني من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه أي شبهة.
قلت: ولكن فيك أنواعا خطيرة على الصحة.
قالت: أجل، ذلك صنف من أصنافي يميل لونه إلى الحمرة

---

1) انظر: المعتز بالله المرزوقي: في محاضرة له بعنوان (الكمأة و ماؤها شفاء للعين)من مواد المؤتمر العالمي الأول عن الطب الاسلامي الكويت 1980.

يحدث الاختناق.
قلت: لقد وصفك ﷺ لعلاج العين.. فهل ثبت ذلك؟
قالت: أيقول رسول الله ﷺ قولا.. ثم تسأل عن ثبوته.
قلت: لم أقصد ذلك.. فرسول الله ﷺ هو سيد الأطباء.. ولكني أسأل عن اهتمام المحدثين بك من هذه الناحية.
قالت: نعم.. لقد وفق الله بعض الصادقين، فأخرج للناس جدوى العلاج بي من الناحية التي يفهمونها.
قلت: فأخبريني خبره.
قالت: في المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي ألقى الدكتور المعتز بالله المرزوقي محاضرة عن نتائج معالجته لآفات عينية مختلفة بتقطير ماء الكمأة في العين.
فقد تم استخلاص العصارة المائية منها في مختبر فيلانوف بأوديسا، ثم تم تجفيف السائل حتى يتمكن من الاحتفاظ به لفترة طويلة، وعند الاستعمال تم حل المسحوق في ماء مقطر لتصل إلى نفس تركيز ماء الكمأة الطبيعي، وهو ماء بني اللون له رائحة نفاذة.
وقد عالج به حالات متقدمة من الرمد الربيعي فكانت النتائج إيجابية حيث تم تشخيصه عند 86 طفلاً، ثم تقسيهم إلى مجموعتين عولجت بالأدوية المعتادة، ومجموعة أضيف ماء الكمأة إلى تلك المعالجات، حيث تم تقطير ماء الكمأة في العين المصابة 3 مرات يومياً ولمدة شهر كامل.
وكان الفرق واضحاً جداً بين المجموعتين، فالحالات التي عولجت بالأدوية المعتادة ظهر فيها تليف في ملتحمة الجفون، أما التي عولجت بماء الكمأة المقطر عادت الملتحمة إلى وضعها السوي دون تليف الملتحمة.

الإثمد:

تقدم الإثمد، وقال: أنا أخ للكمأة.. كلانا جعلنا الله بركة على العين.
قلت: لكنها نبات، وأنت جماد.
قال: وما الفرق بين النبات والجماد؟
قلت: نحن نسمي النبات كائنا حيا، ونسمي الجماد كائنا..
قال: ميتا..
قلت: نعم.. لكنا نكتفي بتسميته جمادا.
قال: ألم تسمعوا بأن رسول الله ﷺ يحب جبل أحد.. وجبل أحد يحب رسول الله ﷺ ؟

قلت: بلى..
قال: فهل يمكن أن يحب الميت؟
قلت: لا..
قال: فكيف تجعلوننا موتى إذن؟
قلت: هكذا يقول قومي.
قال: قومك يرددون مقولة إبليس.. فلا تتبعهم، واتبعني أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً(مريم: 43)
قلت: أنا معك فيما تقول.. ولا أدل على ذلك من حديثك معي.. ولم أجلس هذا المجلس إلا وأنا أدرك حياتك وحياة إخوانك.. ولكني جلست هنا لأستفيد من بركاتكم.
قال: لا شك في بركاتي.. فقد جرى اسمي على لسان الحبيب، كما جرى كحلي في عينيه الشريفتين.. وما كان ليلمسه شيء فيمحق.
قلت: فما قال فيك الحبيب؟
قال: لقد كان رسول الله ﷺ إذا اكتحل يكتحل في اليمنى ثلاثة يبتدئ بها ويختم بها، وفي اليسرى ثنتين(1).
قلت: هذا ما جرى في عينيه، فأين ما جرى على لسانه؟
قال: لقد قال ﷺ:(إن خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر)(2)
قلت: لقد ذكر لك رسول الله ﷺ بركتين للشفاء.
قال: أجل.. أما أولاهما.. فإني أؤثر على زمر جرثومية كثيرة، وأبيد العديد من الطفيليات كاللايشمانيا والبلهارسيا والمثقبيات والخيطيات، ولهذا أستعمل في بريطانيا لمعالجة البلهارسيا.
قلت: وما فائدة ذلك على جلاء البصر؟
قال: إن آفات العين التهابية جرثومية، وعندما تسلم الملتحمة من الاحتقان يمكن أن يكون البصر جيداً.
قلت: والثانية؟
قال: إنباتي للشعر ثابت علمياً، إذ أن من خصائصي الدوائية تأثيري على البشرة والأدمة، فينبه جذر الشعرة، ويكون عاملاً في نموها، لذا يستعملون مركباته (طرطرات الإثمد والبوتاسيوم)لمعالجة بعض السعفات والصلع، تطبق على شكل مرهم بنسبة 2 _ 3 بالمائة.
قلت: فما علاقة هذا بجلاء البصر؟

---

1) الترمذي والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد وقال الترمذي: حديث حسن.
2) الترمذي وحسنه وابن ماجة، وصححه ابن حيان.

قـال: لأنـه بتقويـة بصـيلات أهـداب العين تحفـظ الرمـوش، فتطـول أكـثر، وبـذلك تـزداد قـدرتها في حفـظ العين من أشـعة الشمس، وفي تصفية الغبار والأوساخ، فتزيد الرؤيـا وضـوحاً وجلاءً أكثر منها في استعمال الأكحال الخالية من الإثمد.

قلت: لقد سمعت البعض يطعن في دعوة النبي ﷺ للاكتحـال بالإثمـد، ويسـتدل على ذلـك بحصـول حـوادث انسـمام عنـد بعض الحوامل نتيجة الاكتحال به.

قال: ذلك غير صحيح.. فلعل هؤلاء الحوامـل اكتحلـوا بأكحـال مغشوشـة تحتـوي على عنصـر الرصـاص السـام، فالانسـمام إنمـا يحصل من غش الإثمد بالرصاص، وليس من الاكتحال بالإثمـد كمـا دعا إليه النبي ﷺ.

قلت: لقد اختارك النبي ﷺ على غيرك.. فهل هناك غيرك مما يكتحل به؟

قال: أجل.. هنـاك مركبـات أخـرى شـائعة تسـتخدم لتكحيـل العين غـير كحـل الاثمـد.. مثـل الهبـاب النـاتج عن حـرق الفحم او الزيت.. وغيرها.. ولكـني الوحيـد الـذي لم تثبت التجـارب أيـة آثـار جانبية لي أو ضارة سواء على العين أو على الجسم.. ولهذا لا أزال أستخدم من قديم للرجال والنساء جميعا.

المردقوش:

تقدم المردقوش، وهو يقول: لقـد ورد في حـديث لا يعلمـون مدى صحته، يقول فيـه رسـول اللـه ﷺ:(عليكم بـالمرزنجوش(1)، فإنه جيد للخشام (2)) (3)

قلت: فمـا دمت لا تـدري صـحته، فمـا جلوسـك مـع أدويـة السماء.

قال: ألم تسمع ما قال الشاعر:

أدر ذكر من أهوى ولو بملام فإن أحاديث الحبيب مدامي

قلت: بلى..

قال: فحسبي أن أوضع في ورقة واحدة مع رسـول اللـه ﷺ، فإن ذلك يكفي لملئي بالعزة والفخر.. ألم تسمع ما قال عـروة بن حزام؟

قلت: أجل.. فقد اكتفى من محبوبته بأقـل مـا يكتفي النـاس، فقال:

وإني لأهوى الحشر إذ قيل إنني وعفراء يوم الحشر ملتقيان

1) اسم من أسماء المردقوش.
2) الزكام.
3) قال ابن القيم:« ورد فيه حديث لا نعلم صحته »

قال: وقد كان من بركـات ذلـك أن قيض اللـه من يبحث في بركاتي.. أتعرف الدكتور عبد الباسط محمد السيد(4)؟

قلت: وكيف لا أعرفه!؟.. إنه على ثغر من ثغور العلم والدين.

قـال: فقـد ذكـر أنـه وجـد بـالتجريب العلمي أن المسـتخلص المائي المحتفـظ بـالزيوت الطيـارة من عشـبي لـه أثـر فعـال في تنظيم هرمونات الرنين، والآلدوسـتيرون، والبروسـتاجلاندين، وهي هرمونات الغدة الجاركلوية، وبهذا أكـون علاجـا جيـدا لضـغط الـدم المرتفع.

قلت: هذه بركة عظيمة.. فزيديني.

قـالت: لقـد وجـد أني أنظم هرمـون البرولاكـتين، وأنـه عنـد تجريبي بواقع كوبين من المستخلص المائي مني، فإني أحل محـل الدواء الكيميـائي، وبـذلك أسـتخدم في علاج حـالات عـدم انتظـام الدورة الشهرية، وعسر الطمث.

ومن ناحية أخرى فإني أستخدم بنجاح في علاج حالات تسمم الحمل، إذ أني آمن تماماً أثناء الحمل.

قلت:....؟

قال: وبسبب احتـوائي على مولـدات الهرمونـات في صـورة تربينات، لذا فإني مفسد لتنظيم الهرمونـات، وبعبـارة أوضـح أعيـد الاتزان الهرموني، وإذا أخـذني الأصـحاء فـإني لا يـؤثر في اتـزانهم الهرموني، بل يؤدي دوره في إسراع التمثيل الغذائي.

وقـد ثبت حـديثاً أن المسـتخلص المـائي المحتفـظ بـالزيوت الطيارة منه يخفض سكر الدم بنسـبة تصـل إلى 15 بالمائـة.. أمـا عن اسـتخدامه في الخشـام، أي الزكـام، فقـد وجـد أن لي علاقـة وثيقة بتوسيع الشـعب الهوائيـة.. وثبت أن لي علاقـة وثيقـة بإزالـة الصـداع النصـفي.. كمـا يسـتخدم الـزيت النـاتج مـني في علاج المفاصل، والآلام الروماتزمية، كما أني مهـدىء وطـارد للغـازات.. كما أستخدم كمضاد للميكروبـات، إذ أوضـع مـع اللحـوم المصـنعة كمادة حافظة طبيعية.

النار الشافية:

بينما أنا منشغل بحديث الناقة إذ رأيت نارا تجر ذيولها، وترفـع هامتها، فاقتربت منها، وصحت فيها: كفي من كبريائك أيتهـا النـار.. وشـمري عن سـاقيك.. واحـذري الخيلاء الـتي جـرت إبليس إلى التكبر بك على أبي آدم عليه السلام.

قالت: لا تفخر بطينك على ناري.. فيحيق بك ما حاق بـإبليس

4) انظر: التداوي بالنبات والطب النبوي، للدكتور عبد الباسط محمد السيد.

عندما افتخر بناره على طينكم.

قلت: أنــا لا أفخــر.. ولكــني أرى ذيولــك وهامتــك تنم عن كبرياءك.

قالت: أخطأت في هذا.. فلسـت ممن يفعـل ذلـك خيلاء.. أنـا أمة من إماء الله أمتلئ عبودية للـه.. ألم تسـمع قولـه تعـالى وهـو يخاطبني: يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ(الانبياء:69)

قلت: بلى..

قالت: فأنا نار الله الموقدة على الجاحدين.. وأنـا فضـل اللـه وبركته على الموقنين، ألم يقل الله تعالى مبينـا فضـلي: أَفَـرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(الواقعة:71)؟

قلت: سلمت لك في هذا.. ولكني لا أبحث الآن عنه.

قالت: فعم تبحث؟

قلت: عن أسرار الشفاء التي أنزلها الله من السماء.

قالت: فأراك لم تخطئ المجيء إلي.

قلت: فما فيك من أسرار الشفاء المنزل من السماء؟

قالت: من أنواع الـدواء الـتي وردت في السُـنَّة النبويـة قـولاً وفعلاً: الكيّ بالنار، فقد ثبتت في العلاج بذلك جملة أحاديث صحاح.

قلت: فاذكري لي منها ما أعلم به صدق دعواك.

قالت: لقد ثبت في الصحيح من حديث جابر بن عبد اللــه، أن النبي ﷺ بعث إلى أُبيّ بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً، وكواه عليه.

ولمـا رُمي سـعد بن معـاذ في أكحلـه حسـمه النـبي ﷺ، ثم ورِمت، فحسمه الثانية، والحسم: هو الكيّ.

وفي طريق آخر: أن النبي ﷺ كوى سعد بن معـاذ في أكحلـه بمشقص، ثم حسمه سعد بن معاذ أو غيره من أصحابه.

وفي لفظ آخر أن رجلاً من الأنصار رُمِي في أكحله بمشقص، فأمر النبي ﷺ به فكوى.

وقال أبو عبيد: وقد أُتِيَ النبي ﷺ برجل نُعِتَ له الكيّ، فقال:(اكووه وارضفوه)، قال أبو عبيد: الرّضف: الحجارة تسخن، ثم يكمد بها.

قلت: أراك تنتقين من النصوص مـا تشـائين.. أتؤمـنين ببعض الكتاب وتكفرين ببعض.. ألم تسمعي قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه:(وما أحب أن أكتوي)، وفي لفظ آخـر:(وأنـا أنهى أمـتي عن الكيّ)؟

ألم تسمعي حديث عمران بن حصـين، أن النـبي ﷺ نهى عن الكيّ، قال: فابتلينا، فاكتوينا فما أفلحنا، ولا أنجحنا، وفي لفظ: نهينا

عن الكي، وقال: فما أفلحنا ولا أنجحنا؟

ألم تسمعي حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: أنهم لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون؟

قالت: صدقت وصدق حبيبي ﷺ.. وقد خطفت هذه الأحاديث من لساني.

قلت: فكيف تزعمين بأنك من أدوية السماء.. وقد ورد في النصوص النهي عنك؟

قالت: أراك تأخذ ببعض الكتاب وتكفر ببعض، فقد تضمنت أحاديث الكيّ أربعة أنواع، أحدها: فعله، والثاني: عدم محبته له، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه.

قلت: فكيف تجمعين بين هذه المتعارضات؟

قالت: لا تعارض بينها بحمد الله تعالى، وقد جمع العلماء بينها بطرق من الجمع، فقال بعضهم وأحسن: فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء.

أما حديث السبعين ألفا، الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والذين وصفوا بأنهم لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها أنه محمول على من جانب اعتقاد الطبائعيين في أن الأدوية تنفع بطبعها، كما كان أهل الجاهلية يعتقدون.

ومنها أنه يحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين في الحديث: مَن غفل عن أحوال الدنيا، وما فيها من الأسباب المعدة لدفع العوارض، فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضائه، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقَى الرقاة، ولا يحسنون من ذلك شيئاً.

قلت: فلماذا لا نستن بسنة هؤلاء؟

قالت: إن هَدْي رسول الله ﷺ هو خير الهَدْي، وسُنَّته هي المتبعة دون غيرها، وقد تداوى رسول الله ﷺ وتداوى أصحابه في حياته، ومن بعده.

قلت: ولكن من الصحابة من لم يكتو!؟

قالت: لأن الكي لا يصلح له.. أرأيت لو أن شخصا لا يحتاج إلى إجراء عملية جراحية، فأجراها فأثرت في صحته ألا يندم على

ذلك؟

قلت: بلى..

قالت: فعلي هذا تحمل أحاديث النهي(1).. فالعلاج بالنار من الأدوية الخاصة بأحوال معينة.. ألم تسمع بأن آخر الدواء الكي.. فلا يصح اللجوء إلى هذا العلاج إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل.. أو استعماله في الأحوال الخاصة به، كما في مرض اللقوة(2).. فقد ورد في النصوص معالجة اللقوة بالكي.

قلت: فما اللقوة؟

قالت: هي شلل العصب الوجهي.

قلت: فكيف تشفى بالكي؟

قالت: يغلب أن البرد هو السبب في إحداثها، ولهذا فإن المعالجات الحديثة مبنية على أساس أن سبب اللقوة هو تشنج الأوعية المغذية للعصب، لذا فهم يعطون الأدوية الموسعة للأوعية، وما الأدوية المحمرة سوى ضرب من ضروب الأدوية الموسعة للأوعية.

نباتات من الجنة

ذهبت النار تجر أذيالها.. فرأيت خلفها منظرا بهيجا يشبه الجنة، فحثثت خطاي إليه.. فالتقيت في طريقي ثلاثا أعرفهن تمام المعرفة: الزنجبيل، والكافور، والزعفران، فاستوقفنني، فوقفت، وقلت: ما خطبكن أأنتن شرطيات تحلن بين الخلق والجنة؟

قلن: لا.. ولكن الجنة دار القرار.. ولا يمكنك أن تدخلها الآن.. أنسيت الصراط والميزان؟.. أم حملت معك صكا بالغفران؟.. ولو كان معك ذلك الصك أتسمح لنفسك أن تدخلها قبل مفتاح الهداية ورسول الرحمة؟

قلت: صدقتن.. فما أقل فقهي.. وما أقل أدبي.. ولكن ما بالكن جئتن من الجنة.

قلن: نحن بركة من بركات الجنة شرفن بذكر أسمائنا من ضمن أسماء نعيم الجنة.

قلت: فهل أنتن عينه؟

قلن: شتان بيننا وبين ذلك.. ولكنا مع ذلك اكتسبنا شرف أن

---

1) ولهذا قيل: إنما نُهي عنه عمران بن حصين خاصة، لأنه كان به ناصور، وكان موضعه خطراً، فنهاه عن كيه، فيشبه أن يكون النهي منصرفاً إلى الموضع المخوف منه، والله أعلم.

2) يقول الثعالبي في فقه اللغة: اللَّقْوَةُ أَنْ يَتَعَوَّجَ وَجْهُهُ ولا يَقْدِرَ على تَغْمِيضِ إِحْدَى عَيْنَيْه، وفي لسان العرب اللَّقْوة: داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق، وقد لُقِيَ فهو مَلْقُوٌّ.

نكون من أدوية السماء.

قلت: أأنتن من أدوية أهل الجنة؟

قلن: بئس ما تقول يا رجل.. أين ذهب عقلك؟.. وهل يمـرض أهل الجنة حتى يحتاجون إلى التداوي بنا؟

قلت: فحدثوني عنكن.

الزنجبيل:

تقدمت نبتة الزنجبيل(1)، وقالت: من عرفـني.. فقـد عرفـني، ومن لم يعرفني، فأنا الزنجبيـل، وقـد وردا اسـمي في قولـه تعـالى وهو يصف نعيم أهل الجنة: وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً (الانسان:17).. وأنا إن لم أكن بعيني في الجنـة إلا أن اللـه تعـالى بارك في بأنواع الشفاء.

وقد روي عن أبي سعيد الخدري قوله: (أهدى ملك الروم إلى رسول الله ﷺ جرة زنجبيل، فأطعم كل إنسـان قطعـة، وأطعمـني قطعة)(2)

قلت: فما فيك من بركات الشفاء؟

قالت: يستعمل منقـوعي قبـل الأكـل كمهـدئ للمعـدة وعلاج النقـرس، كمـا أني هاضـمة وطـاردة للغـازات، وأسـتعمل لتوسـيع الأوعية الدموية، وزيادة العرق والشعور بالدفء وتلطيف الحـرارة، وأسـتخدم كتوابـل في تجهـيز الأطعمـة ومنحهـا الطعم الممـيز، وأضاف إلى أنواع من المربّات والحلوى، وأضاف إلى المشـروبات الساخنة كالسحلب والقرفة.

وقـد أفـادت دراسـه حديثـة أني قـد أسـاعد في تخفيـف آلام الصداع الناتجه عن التوتر النفسي.

قلت: هذه بركة عظيمة، فما سرها؟

قالت: لقد أوضح الباحثون أن فعاليتي تكمن في قـدرتي على تقليل إنتاج مركبـات (بروسـتاجلاندنيز) المسـببه للألم في الجسـم فضـلاً عن كـوني راخيـاً للأعصـاب والعضـلات، حيث أسـاعد على الاسترخاء وتخفيف التـوتر، لـذلك أسـهم في تخفيـف آلام الصـداع الخفيفه.

قلت: ولكني أريد وصفة لإزالة الآلام الشديد.

قالت: إذا أردت وصفة لذلك فعليك مزجي مع البابونج وزهرة الزيرفون، فإني بذلك أعطي مشروباً أقوى وأكثر فعاليه في إزالـة الصداع والتشجيع على الاسترخاء.

---

1) انظر: شفاء العليل في عجائب الزنجبيل، تأليف: أبي الفداء محمد عـزت محمـد عارف.

2) أبو نعيم في الطب النبوي.

قلت: أهذا ما فيك من بركات الشفاء؟
قالت: لا..بركاتي كثيرة.. ألم تسمع ما قال في الأطباء؟
قلت: فما قالوا؟
قالت: لقد قـالوا:(الزنجبيـل معين على الهضـم، ملين للبطن تليينا معتدلا، نافع من سـدد الكبـد العارضـة عن الـبرد، والرطوبـة، ومن ظلمة البصر الحادثة عن الرطوبة كحلا واكتحـالا، وهـو محلـل للرياح الغليظة الحادثة في الأمعـاء والمعـدة، وهـو بالجملـة صـالح للكبد والمعدة)(1)
قلت: فاذكري لي وصفات أنتفع بها، وينتفع بها قومي.
قالت: لي وصفات كثيرة لا يكفي وقتـك لعرضـها.. فالتمسـها عند أهلها من الأطباء، لا من العطارين.

الكافور:

تقدمت نبتة الكافور، وقالت: أما أنا فقد شرفت بـذك اسـمي في نعيم أهل الجنة في قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْـرَبُونَ مِنْ كَـأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (الانسـان: 5).. وليس في الـدنيا من الجنـة إلا الأسماء.
قلت: فما بركاتك؟
قالت: كثيرة، وسأذكر مـا يعرفـه قومـك منهـا، فقـد صـرحت السلطات الألمانية الصحية باستخدام الكافور النقي لعلاج الأمراض التالية: الكحة والتهاب الشعب الهوائية والربو حيث يؤخذ بجرعـات قليلة.
ويمكن وضع الكافور الصلب النقي في وعاء بـه مـاء يغلي ثم يزاح من على النار ويشم البخار المتصاعد بمعدل ثلاث مـرات في اليوم وتكون مدة شم البخار المشبع باالكافور حـوالي 10دقـائق.. كما يمكن دهان الصدر بمرهم يحتوي على الكافور.
ويستخدم الكـافور ضـد عـدم تـوازن الجملـة العصـبية للقلب ويستخدم بنفس الطريقة السابقة. كما يستخدم في عـدم انتظـام وتناسق دقات القلب.
ويسـتخدم على هيئـة مـرهم أو مسـتحلب للتخفيـف من آلام الروماتيزم، وذلـك عن طريـق دهن الجـزء المصـاب ثلاث مـرات يومياً.
ويسـتخدم ضـد هبـوط ضـغط الـدم إمـا عن طريـق الفم أو الاستنشـاق.. ويسـتخدم ضـد آلام الظهـر وخاصـة آلام الفقـرات القطينة حيث تدهن المناطق المصابة بمرهم يحتوي على الكافور.

1) الطب النبوي:246.

قلت: أرى لك منافع عظيمة.
قالت: ولكـني عزيـزة النفس، فينـدر وجـود الأصـناف النقيـة مني.. ثم إني لا ينبغي أن يصفني إلا الأطباء.
قلت: لم؟
قالت: لأن هناك مقادير من تجاوزها أصابه الضرر.
قلت: فما المقادير النافعة؟
قالت: الجرعات اليومية الآمنة من الكافور هي مـا بين 2-ـ 4 و1جرامات موزعة على ثلاث جرعات في اليوم الواحد.. أمـا فيمـا يتعلق بالاستعمالات الخارجية، فإن الجرعة اليومية يمكن أن تكـون ما بين،5-، 19جرامات حيث تكون إما في مرهم أو كريم أو هلام.
قلت: وما الجرعات الخطرة؟
قالت: يجب أن لا تصل الجرعة إلى 6جرامـات حيث أن هـذه الجرعة قاتلة وذلـك بالنسـبة للاسـتعمال الـداخلي و1جـرام قاتلـة للطفل تحت سن الثانية، أما في الاستعمال الخـارجي فيجب أن لا تزيد كمية الكافور على 20جراماً حيث انها تعتبر جرعة مميتة.
ويجب عـدم اسـتخدام زيت الكـافور قطعيـاً داخليـاً نظـراً لاحتوائه على مادة السـافرول الـتي تسـبب التسـرطن، كمـا يجب عـدم اسـتخدام الكـافور النقي من قبـل المـرأة الحامـل وكـذلك الطفل الذي يقل عمره عن سنتين بأي حال من الأحوال.
قلت: رأيت بعض النسـوة يستنشـقن الكـافور، ويضـعنه بين ملابسهن وبين الفرش، فهل لذلك من منافع؟
قالت: إذا استنشق الكافور للتمتع برائحته أو للعلاج فلا خوف من ذلـك، ولكن يجب أن لا يبـالغ في ذلـك لأن للكـافور جرعـات محددة، فإذا زاد الاستنشاق وتعدى الجرعات الآمنة فانه قد يحـدث التسمم.
أمـا فيمـا يتعلـق بوضـع بلـورات من الكـافور بين الملابس والفراش فلا خوف من ذلك وهو مادة مطهرة وقاتـل لبعض أنـواع الحشرات وبعض أنواع البكتيريا.

الزعفران:

تقدمت زهرة زعفران، وقالت: أما أنا فإني من نباتات الجنة..
قاطعتها، وقلت: كيف تقولين ذلك؟.. وأين ذكرك في القـرآن الكريم؟
قالت: أنسيت السنة؟.. أنسيت الكلام المستخلص من عطور الهدى، والمضمخ بروائح الحقائق؟
قلت: اعذريني.. فهل ورد فيك من السنة شيء؟

قالت: لقد قال رسول الله ﷺ:(الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها(1)المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم)(2)، وقال ﷺ:(من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل في نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك، ومن جرح به جراح في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء)(3)، وقال ﷺ:(الحور العين خلقن من الزعفران)(4)

قلت: لقد ورد فيك نصوص كثيرة.

قالت: أجل.. وذلك يدل على فضلي.

قلت: فما فيك من بركات الشفاء؟

قالت: في بركات كثيرة، فزيتي مضاد للألم والتقلصات، ومزيل لآلام الطمث وآلام غشاء اللثة، ومسكن ومقو للجهاز العصبي المركزي.

وأنا أستخدم منذ القدم في علاج كثير من الأمراض مثل النزلات المعوية، وكمهدئ لاضطرابات المعدة ولعلاج السعال الديكي ونزلات البرد والتخفيف من غازات المعدة.

وأدخل في صناعة الأدوية الحديثة كتلك المستعملة لطرد الديدان المعوية والأدوية المهدئة للحالات العصبية والنفسية والأدوية المستعملة لتنشيط الإفراز البولي وكثير من الأدوية الأخرى.

وفوق ذلك أستعمل كتوابل في تجهيز الأطعمة والمأكولات.. بل قد أثبتت بعض البحوث الحديثة جدواي في الوقاية من السرطان.

قلت: اعلمي ما تقولين.

قالت: لقد ورد في أحدث دراسة نشرتها مجلة (الطب والبيولوجيا التجريبية)المتخصصة، أن باحثين في المكسيك أثبتوا أن بالإمكان استخدام الزعفران كعامل واق من السرطان أو في البرنامج العلاجي المخصص لهذا المرض.

---

1) الملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء يملط به الحائط أي يخلط. النهاية 4/357.

2) أحمد والترمذي عن أبي هريرة.

3) أحمد وابن حبان.

4) ابن مردويه، والخطيب البغدادي.

ووجد الباحثون بعد مراجعة مجموعة كبيرة من الدراسات المخبرية والأبحاث التي أجريت على الحيوانات، أن الزعفران لا يمنع فقط تشكل أورام سرطانية جديدة، ولكنه قد يسبب تقلص وانكماش الأورام الموجودة، كما يزيد فعالية العلاج الكيماوي ويشجع آثاره المضادة للسرطان.

وأوضح الباحثون أن الفوائد الصحية للزعفران قد ترجع بصورة جزئية إلى محتواه العالي من المركبات التي تعرف بالكاروتينويد التي تشمل أيضا مادتي "لايكوبين" و"بيتاكاروتين" كعوامل وقاية وعلاج من السرطان.

وأشار الخبراء إلى أن زراعة الزعفران وحصاده عملية غاية في الصعوبة لذلك فإن مصادره محدودة وغالية، منوهين إلى أن هذه الدراسة تضيف إثباتات جديدة على أن بعض الأطعمة والبهارات تحتوي على مركبات تملك خصائص واقية من السرطان.

قلت: لقد رويت أن رسول الله ﷺ أخبر بأن الحور العين خلقن من الزعفران، فهل لذلك من سر؟

قالت: لقد أثبتت الأبحاث بأني من الأدوية المفرحة المنشطة، فأنا مضادة للتشنج، أدخل السرور على قلب من يشربني، منبهة للمعدة، شديدة المفعول للأمعاء والأعصاب، منشطة مدرة للطمث، ولهذا أدخل في بعض الأدوية المستخدمة لتنشيط القلب.

قلت: فهل لاستعمالك من مخاطر؟

قالت: من أسرف في استعمالي لا بد أن يتضرر، فالأبحاث تؤكد بأن كثرة استعمالي تصدع الرأس وتنوم الحواس لذا ينصح بعدم الإكثار مني.

قلت: ومن يسرف فيك مع غلاء ثمنك؟

قالت: ثمني يدل على قيمتي.. وهو نتيجة الجهد المبذول في استخراجي، حيث أن الحصول على غرام واحد من الزعفران الأصلي يتطلب مائة زهرة وللحصول على نصف كيلو من نفس الصنف يحتاج 225 ألف زهرة من زهور الزعفران لذا كان سعره باهظا.

ولهذا احذر من الزعفران المغشوش، فبعض الجشعين يخلطني بأعشاب مشابهة لي لزيادة الوزن مثل العصفر المشابه للوني وفي سرعة الذوبان بالماء ويباع على أني زعفران صحيح.

الخاتمة

بينمـا كنت مسـتغرقا في الحـديث إلى الزعفـران، رأيت نفسي فجأة أسقط من السماء إلى الأرض سقوطا حـرا تيقنت عنده بـأن العمـر الـذي كتبـه اللـه لي قـد انتهى، وأن أجلي قـد وافاني، فسلمت نفسي لربي راضيا مطمئنا بعـد أن امتلأت من المعارف والبركات التي استفدتها من أدوية السماء.

لكن مـا هي إلا لحظـات من ذلـك السـقوط المريـع حـتى وجدت نفسي في بيتي مستلق على فراشي، وبجانبي كوب من الزنجبيل.. تذكرت حينها أني كنت مريضا، وأني كنت بين الفينـة والفينة أرشف من ذلك الزنجبيـل إلى أن جـاءني معلم السـلام وأنا على تلك الحال.

وقد حمدت الله كثيرا على أن أهلي كانوا غائبين عن البيت طيلـة الفـترة الـتي زرت فيهـا تلـك المـدائن الممتلئـة بالسـلام والطهارة.. وإلا فإنهم سيحضرون لي من الرقاة أو من الأطبـاء من يملؤني ألما وحزنا وصراعا.

تـذكرت وأنـا أنظـر إلى كـأس الزنجبيـل تلـك الـدروس العظيمة التي علمنيها معلمو البركة، فـرحت أحـاول أن أطبقهـا على نفسي، فاستلقيت مسترخيا لأحضر جميـع أعضـائي لتلقي البركات.. ثم ارتشفت جرعة من الزنجبيل بعد أن سميت اللـه، وطلبت منه أن يبارك فيها.. ثم ما لبثت إلى أن شعرت بأن تلك الجرعة تعمل عملها في جسمي، فتنشر العافيـة في كـل محـل تنزل به.. ثم ما لبثت أن قمت نشيطا معافى، وكأنـه لم يلم بي داء، ولم ينزل بي ألم.

حمدت الله على هذه النعمة العظيمة .. نعمة البركة الـتي لا تدانيها أي نعمة أخرى، واستغربت من غفلتنا ـ معشر البشر ـ عن هذا العنصر الخطير من عناصر العافية..

هذا الكتاب

أحداث هذه الرواية تدور حول رحلة يأخذ معلم السلام فيها تلميذه إلى بلاد السلام، وإلى محل يشبه المسجد الأقصى المبارك، وهناك يلتقي معلم البركة، وبالمتوسمين الذين يدلونه على كيفية الاستفادة من البركات، وكيفية التعامل معها.. وهو يمر في رحلته تلك بأربعة أقسام:

القسم الأول: مرصد البركة.. وهو المحل الذي يبحث فيه على مصادر البركة ووسائطها ومحالها ومواقيتها.

القسم الثاني: منازل البركة.. وهي اللطائف التي يتكون منها بنيان الإنسان، وفيها يعرف حقيقته وعلاقة البركات بها، لأن بركات الله تحتاج إلى محال تنزل فيها، ومنازل تحل بها.

القسم الثالث: مخزن البركة .. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أغذية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

القسم الرابع: مشافي البركة .. وهو المحل الذي يعاين فيه ما ورد في النصوص المقدسة من أدوية ورد التنصيص على ما أودع فيها من بركات.

وقد حاور تلميذ السلام في هذه الرواية كل ما مر به من أغذية وأدوية وغيرها، وتبين له من خلال الحوار أن أسباب بركتها هو تلك الأحوال الروحانية العالية التي تعيشها تلك الموجودات التي بارك الله فيها.. فقيمتها ليس في مكوناتها المادية، وإنما في أحوالها الروحية.